المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى أصحابه، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنه بحول الله وقوته تم شرح هذه الرسالة المسماة: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام المحدث المفسر شيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، وهو من علماء القرنين الرابع والخامس الهجريين، فولادته عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة، ووفاته عام تسعة وأربعين وأربعمائة، **وهذه العقيدةُ بيَّن فيها المصنفُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عقيدةَ السلفِ وأصحابَ الحديثِ في**: ألوهيةِ الربِّ وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِهِ، وأفاضَ وتوسَّعَ في الصفاتِ التي اشتد فيها النزاع بين أهلِ السُّنةِ وبين أهلِ البدعِ كصفةِ الكلامِ، وناقش أهلَ البدعِ من الجهميةِ والمعتزلةِ والأشاعرةِ الذين يقولونَ: إن كلامَ اللهِ مخلوقٌ، وإنَّ القرآنَ مخلوقٌ، وبيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا كفرٌ وضلالٌ.

كما تكلمَ عن صفةِ النزولِ، وبيَّن أن النصوصَ فيها متواترةٌ في الصِّحاحِ والسننِ والمسانيدِ، وأنه يجبُ إثباتُ صفةِ النزولِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ على ما يليقُ بجلالِهِ وعظمتِهِ.

وكذلك صفةُ الاستواءِ وصفةُ الرؤيةِ، فهذه الصفاتُ: الكلامُ والعلُوُّ والاستواءُ والرؤيةُ اشتد فيها النزاع بين أهلِ السنةِ وبين أهلِ البدعِ، ولذلك أفاضَ فيها المصنفُ رَحِمَهُ اللهُ؛ **وهذه الصفاتُ الثلاثُ هي العلامةُ الفارقةُ بين أهلِ السُّنةِ وبين أهلِ البدعِ، فمن أثبتَها فهو من أهلِ السُّنةِ، ومن أنكرَها فهو من أهلِ البدعِ.**

وكذلك بيَّن أيضاً عقيدةَ أهلِ السنة فِي عذابِ القبرِ ونعيمِهِ، وفي الجنةِ والنارِ، وفي المقتولِ هل هو مقتولٌ بأَجَلِهِ، وفي القضاءِ والقدرِ، وفي الموتِ.

وكذلك شرحَ عقيدةَ أهلِ السنةِ في الإيمانِ، وأنه قولٌ باللسانِ، وتصديقٌ بالقلبِ، وعملٌ بالقلبِ، وعملٌ بالجوارحِ، وبيَّنَ عقيدةَ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أنهم لا يُكفِّرُونَ بالذنبِ، خلافاً للخوارج والمعتزلة.

وكذلك أيضاً بيَّنَ عقيدةَ أهلِ السُّنة في الصحابة وأنهم يترضَّوْنَ عنهم ويتولَّوْنَهم ويُنْزِلُونَهم منازلَهم التي تليقُ بهم بالعدلِ والإنصافِ على حسبِ النصوصِ لا بالهوى والتعصبِ، خلافاً للرافضةِ الذين كفَّروا الصحابةَ، وفسّقوهم وطعنُوا فيهم، وعبدُوا أهلَ البيتِ، وخلافاً للنواصبِ الذين نصبُوا العداوةَ لأهلِ البيتِ.

وكذلك أيضاً بيَّنَ عقيدةَ أهلِ السنةِ في وسوسةِ الشياطينِ وفي السحرِ والسحرةِ، وأن السحرَ له حقيقةٌ وله خيالٌ. وبيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ آدابَ أصحابِ الحديثِ، وبيَّنَ علاماتِ أهل البدعِ وعلاماتِ أهلِ السنَّة.

وبيَّنَ عواقبَ العبادِ، ومشيئةَ الله، وبيَّنَ الإرادةَ وأنها تنقسمُ إلى نوعين، وتكلمَ عنِ الخيرِ والشرِّ، وتكلمَ عن الهدايةِ وأقسامِها، وبيَّنَ أنَّ أفعالَ العبادِ مخلوقةٌ للهِ، خلافاً للمعتزلةِ الذينَ يقولونَ: إن العبدَ

يخلقُ فعلَ نفسِهِ.

وكذلك بيَّنَ عقيدةَ أهلِ السنةِ في الحوضِ والكوْثَرِ، والشفاعةِ والبعثِ بعدَ الموتِ، وهو أصْلٌ من أصولِ الإيمانِ، ومن أنكرَ البعثَ فهو كافرٌ بنصِّ القرآنِ.

وذكرَ عقيدةَ السلفِ في الأسماءِ والصفاتِ، من الأخبارِ الواردةِ، وأنهم إذا ثبتَ الخبرُ والنقلُ بالعدولِ الثقاتِ الضابِطِينَ واتَّصلَ السندُ، ولمْ يكنْ فيه شذوذٌ ولا علةٌ، فإنه مقبولٌ في العقائدِ والأعمالِ والأخلاقِ وفي كل شيْءٍ.

وهذه هي عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، خلافاً لأهلِ البدعِ منَ المعتزلةِ وغيرِهم، الذين يقولون : لا نقبلُ خبرَ الآحادِ في العقائدِ، وهذا مذهبٌ باطلٌ مخالفٌ لما عليه أهلُ السنةِ والجماعةِ.

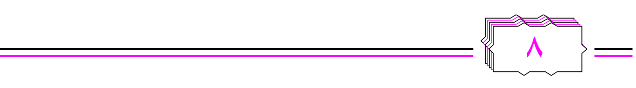
فهي عقيدةٌ شاملةٌ بَيَّنَ فيها المصنفُ رحمه الله عقيدةَ السلفِ وأصحابِ الحديثِ، وَفْقَ ما دَلَّتْ عليهِ النصوصُ من كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ ﷺ، وما أجمعَ عليْه الصحابةُ.

واسأل الله أن يثبت الجميع على الهدى وأن يتوفنا مسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

• تم إثبات المتن من النسخة التي حققها د. ناصر الجديع الطبعة الثانية سنة ١٤١٩هـ.



ترجمة المصنف

هو الإمام، العلامة، القدوة، المفسر، المذكر، المحدث، شيخ الإسلام، أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر النيسابوري، الصابونيُّ.

❐ **من أخباره :**

كان أَكثرَ أهلِ العصرِ من المشايخِ سماعاً وحفظاً ونشراً لمسموعاته وتصنيفاً وجمعاً وتحريضاً على السماعِ، وإقامةً لمجالسِ الحديثِ.

وسمع بسرخس وبهراة وسمع بالشام والحجاز.

وحدَّثَ بنِيسابورَ وخَراسانَ إلى غزنةَ وبلادِ الهندِ ثم بجرجانَ وآملَ وطبرستانَ والثغورِ إلى حَرانَ وبالشامِ وبيتِ المقدسِ والحجازِ وأذربيجان وأكثرَ الناسُ السماعَ منه ورزِقَ العزَّ والجاهَ في الدينِ فكانَ جمالاً للبلدِ زيْناً للمحافلِ والمجالسِ مقبولاً عندَ الموافقِ والمخالفِ، مُجْمَعاً على أنه عديمُ النظيرِ وسيفُ السنةِ ودامغُ أهلِ البدعةِ.

قال عن نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ: ما رويتُ خبراً ولا أثرًا في المجلسِ إلا وعندي إسنادُهُ وما دخلتُ بيتَ الكتبِ قَطُّ إلا على طهارةٍ وما رويتُ الحديثَ ولا عقدتُ المجلسَ قطُّ ولا قعدتُ للتدريسِ إلا على

الطهارةِ.

قال: وقد كنتُ في بعضِ الأسفارِ المخوفةِ وكان أصحابي يفرَقُونَ من اللصوصِ وقُطَّاعِ الطريقِ وينكرونَ عليَّ في التطويلِ بقراءةِ السورتينِ وغيرِ ذلك فلم أمتنعْ عن ذلك ولم أنقصْ شيئا مما كنتُ أواظبُ عليهِ في الحضرِ فتولانا اللهُ بحفظِهِ ولم تلحقْنا آفةٌ.

وكان أوحَدَ وقتِهِ، وَعظَ المسلمين في مجالسِ التذكيرِ سبعينَ سنةً، وخطبَ وصلَّى في الجامعِ نحوًا من عشرين سنةً.

❐ ثناء الأئمة عليه:

لقد أكثر الأئمة من الثناء عليه ومدحه الشعراء في صباه إلى وقت شبابه وشيبه، وَأَوّل مَجْلِسٍ عَقدَه لِلوعظِ إثر قَتْلِ أَبِيْهِ فِي سَنَةِ ثنتين وَثَمَانِيْنَ وَهُوَ ابْنُ تِسْع سِنِيْنَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ: حَدَّثَنَا إِمَامُ المُسْلِمِيْنَ حَقّاً، وَشيخُ الإِسْلَام صدقاً، أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُوْنِيّ. ثُمَّ ذَكَرَ حِكَايَة.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ المَالِكِيّ: أَبُو عُثْمَانَ مِمَّنْ شَهِدَتْ لَهُ أَعيَانُ الرِّجَال بِالكَمَال فِي الحِفْظِ وَالتَّفْسِيْر وغيرهما.

وقيلَ: قَالَ أحد الفضلاء في التَّعزِيَة لِشيخِ الإِسْلَام أبي عثمان الصابوني: أَلَيْسَ لَمْ يَجْسُرْ مُفْتَرٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ فِي وَقته؟ أَلَيْسَتِ السُّنَّةُ كَانَتْ بِمَكَانِهِ مَنْصُوْرَةً، وَالبِدْعَةُ لِفَرْطِ حِشمتِهِ مقهورَةً؟ أَلَيْسَ كَانَ دَاعِياً إِلَى اللهِ، هَادِياً عِبَادَ اللهِ، شَابّاً لَا صَبْوَةَ لَهُ، كَهْلاً لَا كَبْوَةَ لَهُ، شَيْخاً لَا هَفْوَة لَهُ؟ يَا أَصْحَابَ المحَابرِ، وَطِّئُوا رِحَالكُم، قَدْ غُيِّبَ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ إِلمَامُكُم، وَيَا أَربَابَ المَنَابِرِ، أَعْظَمَ اللهُ أُجورَكُمْ، فَقَدْ مَضَى سَيِّدُكُم وَإِمَامُكُم.

وقَالَ الكَتَّانِي: مَا رَأَيْتُ شَيْخاً فِي مَعْنَى أَبِي عُثْمَانَ زُهْداً وَعِلماً، كَانَ يَحفَظُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ، لَا يَقْعُدُ بِهِ شَيْءٌ، وَكَانَ يَحفظُ التَّفْسِيْرَ مِنْ كُتُبٍ كَثِيْرَة، وَكَانَ مِنْ حُفَّاظِ الحَدِيْث.

❑ وفاته :

عاش الإمام الصابوني عيشاً حميداً بعدما قُتِلَ أبوه شهيدا إلى آخر عمره، وكان من قضاءِ اللهِ تعالى أنهُ كانَ يعقدُ المجلسَ على العادةِ المألوفة له، وكان يعظ الناس ويبالغ فيه، إذ دُفِعَ إليهِ كتابٌ وردَ من بخارى، مشتملٌ على ذكرِ وباءٍ عظيم وقعَ بها واستدعى فيه اعتناءَ المسلمين بالدعاءِ على رؤوسِ الملأ في كشفِ ذلك البلاءِ عنهم، ووُصِفَ فيهِ أنَّ واحدًا تقدَّمَ إلى خباز ليشتري الخبز، فدفع الدراهم إلى صاحبِ الحانوتِ، فكان يزنُها، والخبازُ يخبزُ، والمشتري واقفٌ، فماتَ الثلاثةُ في الحالِ، واشتد الأمرُ على عامةِ الناسِ، فلما قرأ الشيخُ الكتابَ هاله ذلك واستقرأَ منَ القارىءِ ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [النحل: ٤٥] ونظائرها، وبالغ في التخويف والتحذير، وأثر فيه ذلك، وتغير في الحال، وغلبه وجعُ البطنِ من ساعتِهِ، وأُنْزِلَ منَ المنبرِ، وكان يصيحُ منَ الوجع، وحُمِلَ إلى الحمّام، إلى قريبٍ منْ غروبِ الشمسِ، فكان يتقلبُ ظهرًا لبطن، ويصيحُ ويَئِنُّ، فلم يَسْكُنْ ما به، فحُمِلَ إلى بيتِهِ، وبقي فيه سبعةَ أيام لم ينفعْهُ علاجٌ، فلما كان يومُ الخميسِ - سابعَ مرضِهِ - ظهرتْ آثارُ سكرةِ الموتِ، فودَّع أولادَهُ، وأوصاهم بالخيرِ، ونهاهم عن لطمِ الخدودِ، وشقِّ الجيوبِ والنياحةِ، ورفعِ الصوتِ بالبكاءِ. وكان يعاني سكراتِ الموتِ إلى أن قرأَ إسنادَ ما رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ**

الْجَنَّةَ»[١]. ثم توفي ﵀ من ساعته عصرَ يومِ الخميسِ وحُمِلَتْ جِنازتُهُ من الغدِ، عصرَ يومِ الجمعة الرابعِ من المحرمِ سنة تسعٍ وأربعين وأربعمئة، واجتمع فيها من الناس خلقٌ كثير، وصلى عليه ابنه أبو بكر ثم أخوه أبو يعلى، وكان مولده ﵀ سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فكان وفاته طاعنا في ست وسبعين سنه[٢].



(١) مسند الإمام أحمد (٢٢٠٣٤)، سنن أبي داود، كتاب الجنائز (٣١١٦)، صحيح ابن حبان (٣٠٠٤)، المستدرك للحاكم (١٢٩٩)، مسند البزار (٢٦٢٦)، الاعتقاد للبيهقي ص ٣٦، شعب الإيمان (١/ ١٩٨).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٤٠).



شرح مقدمة رسالة عقيدة السلف وأصحاب الحديث

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجها إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين، وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين، ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالوا في اتباعها وعادوا فيها، وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها، وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها، واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها، وحملهم إياهم عليها، فاستخرت الله تعالى وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار، رجاء أن ينتفع به أولو الألباب والأبصار، والله ﷻ يُحققُ الظنَّ، ويُجْزِلُ علينا المنَّ بالتوفيقِ للصوابِ والصدقِ والهدايةِ والاستقامةِ على سبيلِ الرشدِ والحقِّ بمَنِّهِ وفضْلِهِ).



❐ حمد الله والثناء عليه:

افتتح المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالةَ بالحمدِ للهِ اقتداءً بالكتابِ العزيزِ؛ فإن اللهَ ﷻ افتتح كتابَهُ العظيمَ بالحمدِ للهِ ربِّ العالمين.

فالحمدُ معناه الثناءُ على المحمودِ بصفاتِه الاختيارية مع حبِّه وإجلالِه العظيم، فالله تعالى محمود بصفاته؛ لما له من الصفات العظيمة، ولما له من الأسماء الحسنى، ولما له من النعم العظيمة على عباده، فهو الذي خلقهم وأوجدهم من العدم، ورباهم بنعمه، ومنَّ على المؤمنين بالإسلام والإيمان، وهو محمودٌ على صفاته العظيمة، ومحمودٌ على أسمائه، وهو ﷻ المالك لجميع أنواع المحامد، وهو مستحق لها ﷻ، فله ﷻ أنواع المحامد كلها لله ملكاً واستحقاقاً.

❐ **الفرق بين الحمد والثناء:**

الثناءُ إن كان على الصفات الاختيارية التي يفعلها الموصوف باختياره، مع حبه وإجلاله يُسَمَّى حمْداً، وإن كان الثناءُ عليه بالصفاتِ الجِبِلِّيَةِ التي جُبِلَ عليها، فإنه يُسَمَّى مدحاً، والحمدُ أبلغُ من المدح، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، ولم يقل: أمدحُ اللهَ ربَّ العالمين، وهذا بخلاف الثناء على المحمود بالصفات التي جُبِل عليها؛ فمثلاً الأسدُ إذا مدحتَهُ وقلتَ: إنَّهُ قويٌّ، وإنه مفتولُ الساعدين، هذا يسمى مدحاً، ولا يسمى حمداً؛ لأن الأسد جَبَلَهُ الله وخلقه على هذه الصفات، فهو قويٌّ يفترس غيره، بخلاف الإنسان إذا مدحتَهُ بصفاته الاختياريه، فقلتَ: فلانٌ كريمٌ، فلانٌ يحسِنُ إلى الناس، فلانٌ مِقدامٌ شجاعٌ، لا يَهابُ الأعداءَ، فهذه صفاتٌ يفعلُها باختيارِه، وهذا يُسَمَّى حَمْداً.

(الحمد) أل للاستغراق، أي: أن الله تعالى له جميع أنواع المحامد، كلها له ﷻ، وهو المالكُ والمستحقُّ لها.

(الله) لفظُ الجلالةِ، لا يُسَمَّى بهِ غيرُه ﷻ، وهو أعرفُ

المعارفِ. ولفظُ (الله)، معناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقِهِ أجمعين، الذي تألَهه القلوب محبةً وإجلالاً وتعظيماً، وأصل (الله): الإله، ثم سُهِّلتِ الهمزةُ، ودُمِجَتِ اللامُ في اللامِ.

▪ **مسألة: أسماء الله هل تأتي كلها صفات له؟**

• **الجواب:** نعم، تأتي أسماءُ الله كلُّها صفاتٍ له، كما قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، فلفظ الجلالة يأتي أولاً، ثم تأتي بعده الأسماء والصفات، فأعرف المعارف لفظ الجلالة، ولا يُسمَّى به غيرُه ﷻ.

وأسماء الله مشتقة مشتملة على معان، وكل اسم مشتمل على صفة، فالله مشتمل على صفة الألوهية، والرحمنُ مشتملٌ على صفة الرحمة، والعليم مشتملٌ على صفة العلم، والقدير مشتملٌ على صفة القدرة.. وهكذا، فأسماء الله مشتملة على المعاني وعلى الصفات، وكل اسم مشتمل على الصفة فهو مشتقٌ.

❒ أسماء الله قسمان:

١ ـ **قِسْمٌ لا يُسَمَّى به إلا هو سبحانه،** مثل: الله، والرحمن، ورب العالمين، وخالق الخلق، ومالك الملك.

٢ ـ **قِسْمٌ يسمى به غيره،** مثل: العزيز، والرحيم، والحي، والسميع، والبصير، والمَلِك، فهذه أسماء مشتركة تطلق على الله، وتطلق على غيره: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

○ قوله: (رب العالمين)، الرب من أسماء الله الخاصة، فهو مربيهم بنعمه، موجدهم من العدم ﷻ، فالله هو الرب وغيره المربوب، وهو الخالق وغيره المخلوق، وهو المالك وغيره المملوك، وهو المدبر وغيره المدَبَّر، فهو رَبُّ العالمين.

و(العالمين): كل ما سوى الله يسمى عالَم، فالله تعالى ربُّ المخلوقاتِ كلِّها، وأنت واحد من ذلك العالم، والعوالم في السماوات والأرضين والبحار والجو، هذه المخلوقات كلها عالَمٌ.

○ قوله: (والعاقبة للمتقين) **العاقبة يعني**: ما يعقُبُ الشيءَ ويأتي بعده. **والمتقين**: جمع المتقي، **وهو**: الذي اتقى غضب الله وسخطَه ونارَه بالإيمان والتوحيدِ، فالمتقون هم المؤمنون الموحدون، **سُموا متقين**؛ لأنهم يتقون غضب الله وسخطه بإيمانهم وتوحيدهم، وأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات؛ فاستحقوا هذا الاسم؛ كما قال سبحانه في أول سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البَقَرَة: ٢]، ثم ذكر أوصافهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البَقَرَة: ٣-٥].

فالعاقبة الحميدة للمتقين، من اتقى الله ووحده وأخلص له العبادة، واتقى الشرك والمحرمات، وأدى الواجبات، **فلهم في الدنيا** النصر والغلبة والتأييد، **وهم في الآخرة** أهل الجنة وأهل الكرامة الذين ﷺ، فأسكنهم الله جنته، وأحل عليهم رضوانه.

○ قوله: (وصلى الله على محمد)، أحسن ما قيل في تفسير صلاة الله على عبده ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي العالية ـ وهو تابعي جليل ـ قال: «**صَلَاةُ اللهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ**

الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»[١]، فأنت تدعو الله وتسأله أن يصليَ على نبيه، أي: يثني عليه في الملأ الأعلى، تقول: اللهمَّ أَثْنِ على عبدِك ورسولِك محمدٍ في الملإِ الأعلى. وهم الملائكة.

○ قوله: **(وعلى آلِه)**، آلُهُ هم أتباعُهُ على دينِهِ، ويدخلُ في الآل ذريتُه وأزواجُه، وقرابتُه، والصحابةُ كلُّهم، والمؤمنون، وتُطْلَقُ الآلُ على الذريةِ والأقاربِ، وتشملُ الأزواجَ، وأتباعَه على دينِه إلى يوم القيامة، فكل من تبعه على دينه، فهو من آله عليه الصلاة والسلام، والصحابة يدخلون في ذلك دخولاً أولياً.

○ قوله: **(وأصحابه الكرام)** عطف الأصحاب على الآل من عطف الخاص على العام، فالصحابة صلى عليهم مرتين: مرة بالعموم في قوله: **(وعلى آله)** والمرة الثانية بالخصوص في قوله: **(وأصحابه)**.

(الكرام)، يعني: الذين اتصفوا بصفة الكرم، والصحابة لا شك أنهم أكرم الناس بعد الأنبياء، ومن كرمهم: أنهم سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، وإنفاق أموالهم، وبذلوا علمهم، ونشروا دين الله، وبذلوا أرواحهم رخيصة في الجهاد في سبيل الله، وبذلوا أموالهم في سبيل الله، فهل هناك أعظم من هذا الكرم؟!

○ قوله: **(أما بعد)**، هذه كلمة يؤتى بها للدخول في الموضوع الذي يريد الإنسانُ أن يتكلمَ فيه، ويؤتى بها للفصل ما بين السابق واللاحق، فكأن المصنفَ انتقلَ من الخطبةِ إلى صلبِ الموضوع، وكان النبيُّ ﷺ يقولُ في خطبِهِ الكثيرةِ: «**أما بعدُ**»، كما ثبتَ عنه ﷺ أنه كان يقولُ يومَ الجمعةِ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة، الباب العاشر، معلقا عن أبي العالية رحمه الله.

وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»[(١)].

وقد اختلف في أول من قال: **أما بعد؛ فقيل: أولُ مَنْ قالها داودُ عليه السلام، فهي من فصلِ الخطابِ الذي أوتيهِ داودُ عليه السلام. وقيل:** أولُ مَنْ قالها قَسُّ بنُ ساعدةَ الإيادِي.

وعلى كل حالٍ، فإن **(أمّا بعد)** كان النبي ﷺ يستعملها في خطبه ورسائله، من ذلك: أنه عليه الصلاة والسلام لما كتب لملك الروم قال: «**مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾** [آل عمران: ٦٤][(٢)]» قول: ولا مانع من (وبعد) ولكن قول: (أما بعد) أحسن.

❐ سبب تأليف الرسالة:

قال المصنف رحمه الله مبيناً سببَ تأليفِهِ هذهِ الرسالةَ: **(فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجها إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين).**

إذن فهذه الرسالة جوابٌ لسؤالٍ مُوَجَّهٍ من بعضِ الإخوانِ في الدينِ إلى أبي عثمانَ إسماعيلَ بنِ عبدِالرحمنِ الصابوني، حيث طَلبُوا منه أن يجمعَ لهمْ فُصولاً في أصول الدين التي استمسك بها أئمةُ الدينِ وعلماءُ المسلمين، فأجابهم وكَتَبَ هذه الرسالةَ، وبيَّن فيها معتقدَ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة (٨٦٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (٧)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد (١٧٧٣).

أما قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مُتَوَجِّهاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه محمد ﷺ)**، فهذا مما يلاحظ على المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه لا يشرعُ شدُّ الرحلِ إلى زيارةِ قبرِ النبي ﷺ، ولا يشرع السفرُ لزيارة القبرِ بهذه النيةِ، وإنما المشروع أن يَشُدَّ الرحلَ وأن ينويَ السفرَ لزيارةِ مسجدِ النبيِّ ﷺ، ثم إذا وصلَ إلى مسجدِ النّبيِّ ﷺ، وصلَّى فيه ركعتين، زارَ قبرَ النبي ﷺ وقبرَ صاحبَيْهِ، هذا هو المشروع؛ لقولِ النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**»[(١)]، فالسفر إنما ينشأ لزيارة المسجد النبوي، وإن مشى في زيارة المسجد ولزيارة القبر بالنية فلا بأس، أما أن تكون النية لأجل زيارة القبور فقط فهذا ممنوع، وإنما تكون النية لزيارة مسجد النبي ﷺ، وقد بسط شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الموضوع في مجموع الفتاوى، فقال: (وَمَا ذَكَرَهُ السَّائِلُ مِنْ الْأَحَادِيثِ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَكُلُّهَا ضَعِيفَةٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْم بِالْحَدِيثِ بَلْ هِيَ مَوْضُوعَةٌ. لَمْ يُخَرِّجْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَنِ الْمُعْتَمَدَةِ شَيْئًا مِنْهَا وَلَمْ يَحْتَجَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ بِشَيْءٍ مِنْهَا بَلْ مَالِكٌ إمَامُ أَهِلِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِحُكْم هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: زُرْت قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ،وَلَوْ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ أَوْ مَشْرُوعًا أَوْ مَأْثُورًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكْرَهْهُ عَالِمُ الْمَدِينَةِ)[(٢)].

فكان الأَوْلَى أن يقولَ المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متوجهاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة مسجد النبي ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، صحيح مسلم، كتاب الحج (١٣٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٢١-٢٢٢).

❍ قوله: **(التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين)**، بدأ بالأئمة،ثم العلماء، ثم السلف، **والسلف هم**: الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم صدر هذه الأمة.

❍ قوله: **(وهُدُوا)** يعني: الذين هداهم الله.

❍ قوله: **(ودَعَوُا الناسَ إليها في كلِّ حينٍ)** أي: لابد أن يوجد في كل زمانٍ منْ يقومُ بالحقِّ ويُظْهِرُهُ ويدعُو إليه ويستمسكُ به؛ لقولِ النبي ﷺ في الحديثِ الصحيح: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»[١].

❍ قوله: **(ونَهَوْا عما يضادها)** يعني: أن هؤلاء الأئمة وهؤلاء العلماء وهؤلاء السلف نهوا عما يضاد أصول الدين، وهي البدع.

❍ قوله: **(وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين)**؛ لأنهم هم الذين يقبلون وينتفعون بخلاف غير المؤمنين فلا يقبلون، وإن كانت الدعوة عامة لكل أحد؛ **لكن خص المصنف** رحمه الله **جملة المؤمنين المصدقين المتقين**؛ لأنهم هم الذين يقبلون وينتفعون بالنصائح والمواعظ.

❍ قوله: **(وَوَالَوْا في اتباعِها)** يعني: والَوْا المؤمنين في اتباعِ هذه الأصولِ: من الإيمان بالله والملائكة، والكتب المنزلة، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والصراط والميزان والحوض

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١١)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٩٢٠).

والجنة والنار، والإيمان بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن اتبع هذه الأصول، وآمن بها والَوْهُ، وجعلوه من أحبابهم.

○ قوله: **(وعادَوْا فيها)** أي: أن من خالف هذه الأصول وتنكر لها عادَوْهُ، وأبغضوه.

○ قوله: **(وبدَّعُوا وكفَّرُوا من اعتقد غيرها)** أي: بدَّعُوا وكفَّرُوا مَنْ لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه وُرسله واليوم الآخر والقدر خيرِه وشرِّه.

○ قوله: **(وأَحْرَزُوا لأنفسِهم ولِمَنْ دَعَوْهُمْ إليْها بركتَها ويُمْنَها وخَيْرَها)**، يعني: حصلت لهم البركةُ والخيرُ والفضلُ والأجرُ والثوابُ بسببِ إيمانِهم بهذهِ الأصولِ، وموالاتِهم عليها، ومعاداتِهم لمنْ خالفَها.

○ قوله: **(وأَفْضَوْا إلى ما قدَّمُوهُ من ثوابِ اعتقادِهم لها، واستمساكِهم بها وإرشادِ العبادِ إليها، وحملِهم إيَّاهم عليها)**، لما توفاهم الله وانتهت آجالهم قدَمُوا على ما قدَّموا من خير عظيم، ووجدوا ثواب اعتقادهم لها واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها؛ لأنهم حينما دعوا إلى هذا الخير وانتفع الناس بهم صار لهم مثل أجورهم، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»[١]، فهؤلاء العلماء والأئمة والسلف الذين دَعَوْا إلى أصولِ الدينِ، وإلى الإيمانِ بما ثبتَ في كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ ﷺ مما يجب اعتقادُهُ؛ حصلتْ لهم بركةُ هذهِ الدعوةِ وخيرُها، وأفضَوْا إلى ما قدموه من ثوابِ اعتقادِهم لها، واستمساكِهم بها.

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم (٢٦٧٤).

○ قوله: (فاستخرتُ اللهَ تعالى، وأثْبَتُّ في هذا الجزءِ ما تَيَسَّرَ منها على سبيلِ الاختصارِ).

الاستخارة مشروعة في الأمور التي قد يكون فيها إشكال، فإن النبي ﷺ شرع الاستخارة وقال: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ـ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ـ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ**»[(١)]، فالاستخارة مشروعةٌ في الأمورِ التي يكونُ فيها إشكالٌ، أما الأمورُ الواضحةُ فليسَ فيها استخارةٌ، فلا استخارةَ لتُصَلِّيَ الجماعةَ أو لا تصليَها، ولا استخارةَ في صوم رمضانَ... ولا استخارةَ في دفعِ الزكاةِ... أو الحجِّ، قال العلماءُ: إلاَّ إذا كان الحجُّ عن طريقٍ ليس بآمنٍ، **فله أن يستخيرُ**: هل يحجُّ هذا العامَ أو لا يحجُّ، فالأمورَ التِي **فيها إشكالٌ تستخيرُ الله فيها**: أتتزوجُ من آلِ فلانٍ؟ أتدخلُ في هذهِ التجارةِ مع فُلانٍ؟ وهكذا؛ فإذا استخار الإنسان واستشار أيضاً فإنه يمضي لما انشرح له صدره، وإذا لم يتبين له شيء فيعيد الاستخارة ويكررها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد (١١٦٦).

■ **مسألة: المصنفُ ﷺ استخار، فهل في كونِهِ يكتبُ عقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ إشكال؟**

• **الجواب: قد يقال:** إنه يستخيرُ، لِأَنَّ المصنفاتِ في العقيدةِ كثيرةٌ،لذا أشكل عليه الأمرُ: هل الكتابة في هذا الأمر لها فائدة أو ليس لها فائدة؟ لأن العلماء ـ رحمهم الله ـ كَفَوْا وكتبُوا في هذا الموضوعِ، فأشكلَ عليه الأمرُ، فلهذا قالَ: استخرتُ اللهَ تعالى، ثم لما استخارَ ترجَّحَ له أن يكتبَ هذه الرسالةَ؛ لأن الرسائلَ السابقةَ قدْ تكونُ طويلةً، وهذهِ الرسالةُ مختصَرَةٌ يستطيعُ طالبُ العلم أنْ يحفظَها ويستوعبَها في وقتٍ وجيزٍ.

○ قوله: **(فاستخرتُ اللهَ، تعالى وأثبتُّ في هذا الجزءِ ما تيسَّرَ منها على سبيلِ الاختصارِ)**، فالمصنف قد اختصر هذه العقيدة ولخصها من كلام أهل العلم.

○ قوله: **(رجاءَ أن ينتفعَ بها أولُو الألبابِ والأبصارِ)**: وإذا انتُفِعَ بها صارَ له مثلُ أجرِهم، فلهذا أقدمَ المصنفُ ﷺ على هذه الكتابة.

○ قوله: **(أولو الألباب والأبصار)** يعني: أصحاب العقول؛ كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الزُّمَر: ٢١] فأصحابُ العقولِ السليمةِ أرشدَهم اللهُ إلى توحيدِهِ، وإخلاصِ الدينِ له، وقبولِ الحقِّ، وأولو الألباب هم الذين ينتفعون، أما مَنْ لم يردِ اللهُ هدايتَهُ فلا حِيلَةَ فيه إنْ لم يوفَّقْ ولمْ يُرزَقْ عَقْلاً سليماً ولباً من الألبابِ يُرشِدُهُ إلى قبولِ الحقِّ.

○ قوله: **(واللهُ ﷻ يُحققُ الظنَّ، ويُجْزِلُ علينا المنَّ بالتوفيقِ للصوابِ والصدقِ والهدايةِ والاستقامةِ على سبيلِ الرشدِ والحقِّ بمَنِّهِ**

وفضْلِهِ): هذا دعاءٌ من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن يحققَ الله له ظنَّه، ويجزلَ عليه المنَّ، فيَمُنَّ عليهِ بالتوفيق للصواب فيما كتبَه، وأن يمنَّ عليه بالصدق والهداية والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله.

ونرجو أن يكون الله تعالى قد حقق للمؤلف ما أراد.



قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(قلت وبالله التوفيق أصحاب الحديث ـ حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ـ يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيُه وتنزيلُه، أو شهد له بها رسولُه ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيديه، كما نص سبحانه عليه في قوله ـ عز من قائل: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [صٓ: ٧٥]).

الشَّرْحُ

يتميز أهل السنة والجماعة بأنهم يشهدون لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، ويعرفون ربهم بصفاته التي ذكرها الله في الكتاب والسنة، فيثبتون ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ في سنته الصحيحة.

○ قوله: **(قلت وبالله التوفيق)** التوفيقُ هو أن يُوَفَّقَ الإنسانُ للصَّوابِ، وأن يجعلَه اللهُ يقولُ الحقَّ ويعملُ بِهِ.

❐ التمسك بالكتاب والسنة:

○ قوله: **(إنّ أصحابَ الحديثِ المتمسكينَ بالكتابِ والسُّنةِ)**

أوحى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى نَبِيِّهِ الكريمِ وَحْيَيْنِ:

الوحي الأوَّلَ: القرآنَ، أوحاه إلى نبيه ﷺ بلفظه ومعناه، فهو كلام الله لفظه ومعناه من الله.

الوحي الثاني: السنة المطهرة، **وهي نوعان:**

النوع الأول: الحديث القدسي، وهذا من كلام الله لفظاً ومعنى، كما في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»[1] فهذا حديث قدسي نسبه النبي ﷺ إلى ربه ﷻ، فهو من كلام الله لفظاً ومعنى.

النوع الثاني: الحديث النبوي غير القدسي، وهو من كلام الله معنى، ومن كلام النبي ﷺ لفظاً، كقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[2]، فهذا الحديث وحي من الله، إلا أن لفظ الحديث من النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم: ٣-٤].

❐ **الفرق بين الحديث النبوي والحديث القدسي والقرآن:**

الحديثُ النبوي لفظُه من الرسولِ ﷺ ومعناه من الله.

أما الحديثُ القدسيُّ فلفظُه ومعناه منَ اللهِ، مثلُ القرآنِ، إلا أنَّ له أحكاماً تختلفُ عن القرآنِ.

فالقرآن يُتَعَبَّدُ بتلاوتِهِ، والحديثُ القدسِيُّ لا يُتَعَبَّدُ بتلاوتِهِ، والقرآنُ يُقْرَأُ في الصلاة، والحديث القدسيُّ لا يُقْرَأُ في الصلاةِ.

والقرآنُ معجِزٌ بلفظهِ ومعناه، والحديث القدسي لا يكونُ له وصفُ الإعجازِ.

والقرآنُ لا يمسُّه إلا المتوضئُ، والحديث القدسي يمسُّهُ غيرُ المتوضئِ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب (٢٥٧٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (١)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٩٠٧).

❐ السُّنَّةُ لها مع القرآنِ أحوالٌ ثلاثةٌ :

الحالة الأولى: أنها تبينُ المجملَ، مثل الصلاةِ : جائت في القرآن مجملة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]، فجاءت السنة وفصَّلتِ الصلاةَ، وبينتْ أن الصلاةَ خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلةِ، وبيَّنَتْ عددَ ركعاتِ الصلاةِ؛ إذ ليس في القرآن أن صلاةَ الظهرِ أربعٌ، وصلاةَ العصرِ أربعٌ، وصلاةَ المغربِ ثلاثٌ، فالسُّنَّةُ وضَّحَتْ وفصَّلتْ هذا الإجمالَ.

كذلك الزكاةُ، أوجبَها اللهُ مجملة في القرآنِ، وجاءتِ السُّنَّةُ وفصَّلَتْ وبينت أن لا زكاةَ في المالِ حتى يحولَ عَليه الحولُ، وأنه لابدَّ منَ النِّصابِ.

كذلك الحجُّ جاءَ مجملاً في القرآنِ، وجاءتِ السُّنَّةُ وفصَّلتْ هذهِ المناسكَ.

الحالة الثانية: أن تقيِّدَ المطلقَ من القرآن وتخصِّصَ العامَ منه.

الحالة الثالثة: أن تأتيَ بأحكامٍ جديدةٍ ليست في القرآن؛ كتحريمِ كلِّ ذي نابٍ من السباع، وتحريم كل ذي مخلبٍ من الطير، وتحريمِ الجمع بين المرأةِ وعمتِها، والجمع بين المرأة وخالتها، هذه أحكام ليست في القرآن جاءت بها السنة، فإن السنة وحي ثان، كما قال النبي ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1].

○ قوله: **(حفظ الله أحياءَهم، ورحم أمواتَهم)** هذا دعاءٌ منَ المصنفِ لأهلِ الحديثِ بأنْ يحفظَ اللهُ الأحياءَ ويرحم الأموات.

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٧١٧٤)، سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٦٠٤)، وكتاب السنة للمروزي، برقم (٢٤٠)، الإبانة لابن بطة (٦٢)، الشريعة للآجري (١/ ٤١٥).

○ قوله: **(يَشْهَدُونَ للهِ تَعالى بالوحدانيةِ، وللرسولِ ﷺ بالرسالةِ والنبوةِ)**، هذا أصلُ الدينِ وأساسُ الملةِ، أن تشهدَ للهِ تعالى بالوحدانية، ولنبيه ﷺ بالرسالة والنبوة.

ومعنى أن تشهد لله تعالى بالوحدانية: أن تنطقَ بلسانِكَ وتقولَ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن الله واحد في ربوبيته، وألوهيته وأسمائه وصفاته، فهو ﷻ واجب الوجود بذاته، وهو فوق العرش، وتعتقد بقلبك وتصدق أن الله هو الرب وغيره مربوب، وهو الخالق وغيره مخلوق، وهو المالك وغيره مملوك، وهو المدبِّر وغيرُهُ المدبَّرُ، وكذلك تشهد لله تعالى بالوحدانية في أسمائه الحسنى وصفاته العلى التي لا يشاركه فيها أحد، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وليس له شريكٌ في أفعاله أيضاً، وليس له شريكٌ في ألوهيته وعبادته، فهو المستحق للعبادة وغيره لا يستحق شيئاً من العبادة، لا مَلَكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسَلٌ.

فالله تعالى هو المعبود بالحق، فهو الذي يدعى ولا يدعى غيره، ويُذبح له سبحانه ويُنذر ويُتوكل عليه ويُرجى ويُخاف منه.

ومن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره فهو: مشرك كافرٌ وتنتقضُ عليه الشهادةُ، فمن قال: لا إله إلا الله، ثم دعا غير الله، أو ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، بطلت شهادته.

فالشهادة لله تعالى بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله نافعة للإنسان بشرط ألا يفعلَ ناقضاً من نواقضِ الإسلامِ، فإنْ فعلَ ناقِضاً من نواقضِ الإسلام بطلتْ هذه الشهادةُ؛ كما يتوضأُ الإنسانُ أحسنَ الوضوءِ، ويتطهرُ أحسنَ الطهارةِ، ثم يخرجُ منه بولٌ أو غائطٌ أو ريحٌ فتبطلُ الطهارةُ، فكذلك إذا شهد لله

تعالى بالوحدانية، ثم دعا غيرَ اللهِ، أو ذبحَ لغيرِ اللهِ، أو فعلَ ناقضاً من نواقضِ الإسلامِ بأن اعتقدَ أن الصلاةَ غيرُ واجبةٍ، أو الحجَّ غيرُ واجبٍ، أو الصومَ غيرُ واجبٍ، أو أن الزنا ليس بمحرم، أو أنكر تحريم الربا أو الزنا أو الخمر أو عقوق الوالدين أو ما هو معلوم من الدين بالضرورة بطلت الشهادة وانتقضت.

ومعنى الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة والنبوة: أن تشهد أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي العربي المكي ثم المدني.

رسولُ اللهِ حقاً، وأن رسالته عامة للعرب وللعجم وللجن والإنس، وأنه خاتم النبيين ليس بعده نبي.

فمن قال: إن رسالته خاصة بالعرب أو بالإنس أو أن بعده نبي فهو: كافر بإجماع المسلمين ولا تنفعه شهادةُ أن لا إله إلا الله ؛ لأنَّهُ لم يأتِ بشرطها، ولذلك لما أنكرَ اليهودُ والنصارى رسالةَ محمدٍ ﷺ، وهم يزعمون أنهم يؤمنون بالله، بيَّنَ اللهُ أن إيمانَهم لا شيءَ، وأنه لا قيمةَ له، قال سبحانه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]، فنفى عنهم الإيمان وقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، وهم يزعمون أنهم يؤمنون بالله، لكن لمَّا لم يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ، نفى اللهُ عنهم الإيمان.

فيجب على الناس أن يشهدوا أن محمداً رسول الله، وأن يصدّقوه في أخباره عليه الصلاة والسلام، وأن يمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، وأن يتعبدوا لله بما شرعه؛ لأن من شرط الشهادتين: أنه لابد منهما جميعاً، فهما متلازمتان لا تنفك إحداهما

عن الأخرى، فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهدْ أن محمداً رسول الله لم تقبلْ منه، ومن شهد: أن محمداً رسول الله، ولم يشهد أن لا إله إلا اللهُ لم تقبلْ منه، حتى يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمداً رسول الله.

○ قوله: **(ويعرفون ربَّهم ﷻ بصفاتِهِ التي نطقَ بها وحيُهُ وتنزيلُهُ)** من عقيدة أصحاب الحديث أنهم يعرفون ربهم بصفاته التي نطق بها وحيُه وتنزيلُه، فاللهُ تعالى وصفَ نفسَه بأنه الحي القيوم، وأنه الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، ووصف نفسه بالعلم والسمع والبصر والقدرة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢]، فوصف نفسه بأنه ﷻ لا إله إلا هو، لا معبودَ بحقٍّ سواه، وأنه عالمُ الغيبِ والشهادةِ، وأنه الرحمنُ الرحيم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤] فهم يعرفون ربهم بأسمائه ويؤمنون بذلك.

○ قوله: **(أو شهدَ له بها رسولُهُ ﷺ على ما وردت الأخبارُ الصِّحاحُ بِهِ ونقلتْهُ العدولُ الثِّقاتُ عنهُ)** فما ورد في السنة من الأسماء والصفات يجب إثباتُها للهِ ﷻ، فإذا ثبت وصح سند الحديث، بأن كان الرواة عدولا، ولم يكن الحديث شاذاً ولا معللاً، فيجب إثباتُ ما ورد فيه من أسماء الله وصفاته، ولذلك قيَّدَ المصنفُ الأخبارَ ـ يعني: الأحاديثَ ـ بالصحاحِ، وهي جمعُ صحيحٍ، أما الحديثُ الضعيفُ كما لو كان الحديث في سنده انقطاع أو راوٍ ضعيفٌ في الحفظِ أو الديانةِ، فلا يُقبَلُ ما دلَّ عليه.

❐ **شروط الحديث الصحيح عند المحدثين:**

- أن يكون متصلَ السند.
- أن يكون الرواةُ عدولاً ثقاتٍ ضابطين.
- ألا يكونَ الحديثُ شاذًا مخالفًا للأحاديثِ الصحيحةِ ولأصولِ الشريعة.
- ألا يخالفَ الثقةُ مَنْ هو أوثقُ منه.
- وألا يكونَ الحديثُ فيه علةٌ قادحةٌ ظاهرةٌ أو خَفِيَّةٌ.

فإذا وُجِدَتْ هذه الشروطُ فإنَّ الحديثَ صحيحٌ، ويجبُ قَبولُهُ، والعملُ بما دلَّ عليه في العقائدِ والأخلاقِ والأعمالِ وكلِّ شيءٍ، خلافاً لأهل البدع من المعتزلةِ وغيرِهم الذين يقولون: إنما يُقْبَلُ خبرُ الآحادِ في الأعمالِ، أما العقائدُ فلا يُقْبَلُ فيها أخبارُ الآحادِ، وهذا منهجٌ باطلٌ.

ولقد كتب البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه كتاباً سماه: كتاب أخبار الآحاد[1]، وذكر نصوصاً كثيرة في قبول خبر الآحاد، والنبي ﷺ كان يرسل كتبه إلى الملوك والرؤساء، مع الواحد من الصحابة، فدل ذلك على قبول خبر الواحد.

❍ قوله: **(ويُثبتون له جَلَّ وَعَلَا منها ما أثبتَ لنفسِهِ في كتابِهِ وعلى لسانِ رسولِهِ ﷺ)**، من معتقد أهل السنة والجماعة: أنهم يعرفون الله بصفاته وأسمائه وأفعاله، وهذه الصفات والأسماء والأفعال إنما تؤخذ من الوحيين الكتاب والسنة، وليس للناس أن يخترعوا لله أسماءً وصفاتًا من عند أنفسهم، وهذا هو معنى قول أهل العلم:

---

(١) صحيح البخاري، الكتاب الخامس والتسعون، وأوله الحديث رقم (٧٢٤٦).

الأسماء والصفات توقيفية، يعني: يُوقف فيها عند النصوص، فما ورد إثباته لله من الأسماء والصفات في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة نثبته لله، وما ورد في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة نفيُه عن الله فننفيه عنه سبحانه، كنفيه عن نفسه السِّنَةَ والنوم وَالعجزَ والظلمَ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

- وما لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباته ولا نفيه فنتوقف فيه، فلا نثبته ولا ننفيه، مثل: الجسم، والحيّز، والحدّ، والجهة، والأعراض، والأبعاض، فهذه الأمور التي أثبتها أهل البدع نتوقف فيها فلا نثبتها ولا ننفيها؛ لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباتها ولا نفيها، وهي مشتملة على حق وباطل، فنطلب التفصيل ممن أطلقها. **فمن قال**: إن لله جسماً، أو قال: ليس بجسم. فلا نطلق نفيَه ولا إثباتَه، **فلا نقول**: إن لله جسماً، **ولا نقول**: ليس بجسم، **ولا نقول**: إنه في حيز ولا غير متحيز؛ لأنه لم يرد في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه. ومن أطلقها نفياً أو إثباتاً فإننا نطلب التفصيل منه، **فنقول له**: ما مرادُك؟ **إن قال**: مرادي أن الله متصفٌ بالصفات، **نقول**: هذا المعنى صحيح، لكن هذا اللفظ مشتمل على حق وباطل. إذن إذا كان المعنى صحيحًا فنقبله، لكن اللفظ نرده ونقول: عبِّر بالتعبيراتِ التي جاءت في النصوص؛ لأنها بريئةٌ وسالمةٌ من الخطأ، أما هذا اللفظُ الذي جئتَ به فلا نقبلُه والمعنى صحيح. **فإذا قال**: مقصودي أن الله يشبه المخلوقات، **فنقول**: المعنى باطل، واللفظ باطل، ونرد المعنى واللفظ جميعاً. **فإذا قال**: ماذا أقول؟ **نقول له**: قل ما قاله الله وقاله رسوله، إن الله هو السميع البصير، هو العليم الحكيم، هذه ألفاظ من النصوص بريئة وسالمة من احتمال الخطأ، أما هذا اللفظ الذي أتيت به فإننا لا نقبله.

إذن القاعدة عند أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات والأفعال: أن ما ورد في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة إثباته لله وجب إثباته لله، وما ورد في الكتاب أو في السنة نفيه عن الله، وجب نفيه عن الله، وما لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيه ولا إثباته، لا ننفيه ولا نثبته، ومن أطلقه نفياً أو إثباتاً فنطلب التفصيل منه: **فإن أراد** حقاً قبلنا المعنى ورددنا اللفظ، **وإن أراد** باطلاً رددنا اللفظ والمعنى جميعاً.

هكذا حال أهل السنة يثبتون لله ﷻ ما أثبته لنفسه في كتابه العزيز من الأسماء والصفات، أو ما ثبت في سنة النبي ﷺ على لسان رسول الله ﷺ كما في الآيات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٤]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومثلما ورد أيضاً أنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ**»[(٢)] فمن أسماء الله الستير... وهكذا. فما ثبت في الحديث مثلما ورد في القرآن الكريم إذا كان الحديث صحيحاً.

❍ قوله: **(ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاتِهِ بصفاتِ خلقِهِ)** هكذا أهل السنة يثبتون الأسماء والصفات لله ولا يُشبهون ولا يُمثلون، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، فالصفات والأسماء ثابتة لله على ما يليق بجلاله وعظمته.

فأهل السنة لا يكيفون فيقولون: صفة الله كيفيتها كذا، ولا يمثّلون فيقولون: مثل صفات المخلوقين، بل يثبتون الأسماء والصفات ويثبتون المعنى، ويفوضون الكيفية إلى الله، فيقولون: إن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٩١).
(٢) مسند الإمام أحمد (١٧٩٧٠)، سنن أبي داود، كتاب الحمام (٤٠١٢)، سنن النسائي، كتاب الغسل والتيمم (٤٠٦)، السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٣٠٥).

الله تعالى له سمع وبصر، وعلم وقدرة، لكن لا يماثل أحداً من مخلوقاته. فالمعنى معلوم ـ والعلم ضد الجهل ـ فمعنى السمع ضد الصمم، ومعنى البصر ضد العمى، لكن كيفية اتصاف الرب بالسمع والبصر والعلم لا نعلمه، ولا يعلم كيفية الصفات إلا الله تعالى.

إذن: معاني الصفات معلومة خلافاً للمفوّضة، وهم طائفة يفوضون المعنى، فيقولون: لا نعلم معنى السمع، ولا البصر، كأنها كلمات أعجمية، وهذا من أبطل الباطل.

ـ وبعضهم ينسب هذا التفويض إلى مذهب السلف، والسلف لا يفوِّضون، بل يعرفون المعنى، لكن الذي يُفَوَّضُ فيه هو علمُ الكيفية، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل عن الاستواء[(١)]: (الاستواءُ غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) يعني: معلومٌ معناهُ في اللغةِ العربيةِ، فالاستواءُ: هو الاستقرارُ والصعودُ والعلوُّ والارتفاع، وقوله: (والكَيْفُ غيرُ معقولٍ) كيفية استواء الله على عرشه مجهولة لا نعلمها، وقوله: (والإيمانُ بهِ واجبٌ) يجب الإيمان باستوائه، **ثم قال: (والسؤالُ عنه بدعةٌ)** أي: السؤال عن كيفية استوائه سبحانه، وهذا يقالُ في سائر الصفات مثل: النزول والعلو والسمع والبصر، فمعنى الصفات معلوم في اللغة العربية، فنحن نعرف أن العلم ضد الجهل، والسمع ضد الصمم، والبصر ضد العمى، والعلو ضد السفول، أما كيفية استواء الرب وكيفية علوه وكيفية سمعه وبصره فلا يعلم ذلك إلا الله، هذا معنى قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص٦٦، رقم (١٠٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٤١) رقم (٦٦٤)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٣٢٥)، الاعتقاد للبيهقي ص(١١٦).

❐ بيان مذهب طائفتين من طوائف المتبدعة ـ المشبهة والمعطلة ـ:

الطائفة الأولى: المشبهة.

وهم مَن أثبتوا الصفات لله، لكن شبهوه بصفات المخلوقين، فقالوا: لله سمع كسمعنا، وبصر كبصرنا، وعلم كعلمنا، ويد كأيدينا.

وهؤلاء المشَبِّهَة هُمْ: غُلاةُ الشيعةِ، ويُسمّون: البيانية، نسبة إلى بيان بن سمعان التميمي، وكان قد ادعى الإلهية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكذلك يسمّون الهاشمية نسبة إلى هشام بن سالم الجواليقي، وكان بعضهم يقول: إن الله على صورة الإنسان، وينزل عشيةَ عرفةَ على جملٍ، ويحاضرُ ويسامرُ ويصافحُ، ومنهم من قال: إنه يندم ويحزن ويبكي! قبحهم الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ.

فغلاة الشيعة ـ البيانية والهاشمية ـ يقولون: صفات الخالق مثل صفات المخلوق سواءٌ بسواء، وهؤلاء المشبهة كفرة، فمن شبه الله بخلقه أو شبه صفته بصفة من صفات خلقه فهو في الحقيقة ما عَبَدَ الله، وإنما عبد وثناً، صوَّره له خيالُهُ، ونحَتَهُ له فكرُهُ، فهو من عبَّادِ الأوثانِ لا من عِبادِ الرحمنِ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

لَسْنا نُشَبِّهُ وصفَهُ بِصِفاتِنا ... إنَّ الْمُشَبِّهَ عابِدُ الأَوْثانِ

والمشبه مشابه للنصارى الذين زعموا أن عيسى ابن الله، وشبهوا عيسى بالله، ولهذا يقول العلامة ابن القيم:

مَن مثَّلَ الله العظيم بخلقه ... فهُوَ النَّسِيبُ لِلْمُشْرِكِ النَّصْرانِي

الطائفة الثانية: المعطلة.

وهم الذين نفوا الصفات عن الله، وأنكروها، وقالوا: إن الله لا يسمع ولا يبصر، ولم يستو على العرش، ونفوا العلم وسائر

الصفات، وهذا مذهب المعتزلة والجهمية، حيث يزعمون أنهم لو أثبتوا الصفات للزم من ذلك التشبيه بصفات المخلوقين، قالوا: لو قلنا: إن لله سمعاً لشبهناه بالمخلوقين، ولو قلنا: إن لله بصراً، لشبهنا الخالق بالمخلوق، ولو قلنا: إن له استواءً، لشبهناه بالمخلوق.

والطائفتان على طرفي نقيض؛ فالمشبهة أثبتوا وزادوا في الإثبات حتى غلوا وشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، بينما المعطلة ـ مثل الجهمية والمعتزلة، وكذلك الأشاعرة ـ فيما عدا السبع صفات المثْبَتة عندهم ـ نفوا الصفات وقالوا: إن الله لا يعلم ولا يسمع، فهؤلاء غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، وأولئك المشبهة غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه، ولكن الله هدى أهل السنة والجماعة فتوسطوا، فقالوا: نحن نثبت الصفات، لكن لا نغلو في الإثبات حتى نصل إلى التشبيه كما قالت المشبهة، بل نزه أهلُ السنة ربَّهم عن صفات المخلوقين، فقالوا: إن الله لا يشبه خلقه، لكن لم يغلوا في هذا التنزيه حتى يصلوا إلى التعطيل. فصار مذهب أهل السنة والجماعة وسطاً وحقاً بين باطلين، وهدى بين ضلالين؛ فأخذوا الحق الذي مع المعطلة وهو: التنزيه، وتركوا الباطل وهو الزيادة في هذا التنزيه حتى نفوا الصفات، وكذلك أخذو الحق الذي مع المشبهة وهو أصل الإثبات، وتركوا الباطل وهو الزيادة في هذا الإثبات.

فأهل السنة والجماعة أخذوا الحق الذي مع المعطلة، وأخذوا الحق الذي مع المشبهة، ونفوا الباطل الذي مع المشبهة، ونفوا الباطل الذي مع المعطلة، فخرج مذهب أهل السنة ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النّحل: ٦٦].



عقيدة أهل السنة في صفة اليد

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ولا يحرفونَ الكلمَ عنْ مواضِعِهِ؛ بِحَمْلِ اليدينِ على النعمتينِ أو القوتينِ تحريفَ المعتزلةِ والجهميةِ ـ أهلكَهُمُ اللهُ ـ ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة ـ خذلهم الله ـ وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف، ومن عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]).

الشَّرْحُ

هذا دعاءٌ من المصنفِ عليهمْ بالهلاكِ. فالمعتزلةُ والجهميةُ لمَّا وردت عليهم النصوصُ التي فيها إثباتُ الصفاتِ كان موقفهُم منها النفي، قيل لهم: ماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وكذلك الأحاديث التي ذكرها المصنف: خبرُ محاجةِ آدمَ مُوسَى قال: «**خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ**»(١)، وحديث: «**خَلَقَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ**»(٢)، «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»(٣)؟ فقالوا: نحن نفسر اليد بالنعمة، أو بالقدرة.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع (٢٢٢٢)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥٥)، وهذا اللفظ كثير في قول النبي ﷺ.

فنقول:

نرد عليكم بردين:

الرد الأول: أن تأويلكم باطل؛ لأنه تحريفٌ للكلم عن مواضعه، ومعارَضةٌ للنصوص، وإبطالٌ لها، والله تعالى لا يُعجزه أن يقول عن نفسه: لما خلقت بنعمتي أو بقدرتي، لو كان مراده ﷻ النعمة والقدرة.

الرد الثاني: أن تفسير اليد بالنعمة أو القوة يفسد المعنى؛ لأن الله ﷻ أخبر أن له يدين: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: ٦٤]، فلو لم يأت إلا ذكرُ يدٍ واحدةٍ لكان لتأويلهم ـ بأن اليد معناها: النعمة أو القدرة ـ وجهٌ ولكن لما جاء في النصوص إطلاق اليدين: فسيكون تفسير اليدَ بِالنعمةِ معناه: بنعمتّيَّ، وهذا يفيدُ حصرَ النعمة بنعمتين! والله له نعم كثيرة. وإذا فسرتها بالقوة؛ فسيكون المعنى: أن لله قوتين فقط، فَيَفْسُد المعنى.

❍ قوله: **(ولا يكيفونهما بكيْف)** أي: لا يقولون: إن يد الله كيفيتها كذا، أو تكون على كيفية كذا، وإنما يقولون: الله أعلم بكيفية اليد، فله يدان ﷻ كريمتان تليقان بجلاله وعظمته، لا تماثل أيدي المخلوقين.

❍ قوله: **(أو يُشَبِّهُونَهما بأيدي المخلوقين)** كذلك لا يقولون: إن يديه سبحانه تشبه أيدي المخلوقين، وهذا قول المشبهة الذين يكيفون ويمثلون ويشبهون، خذلهم الله.

❍ قوله: **(وقدْ أعاذَ اللهُ أهلَ السُّنَّةِ مِنَ التحريفِ والتشبيهِ والتكييفِ)**، فلم يشبهوا، ولم يقولوا: إن صفات الخالق تشبه صفات المخلوقين، ولم يكيفوها فيقولون: إن الكيفية على كذا وكذا. فأعاذ

اللهُ تعالى أهلَ السنة من التحريف والتكييف والتشبيه الذي وقع فيه أهل البدع.

○ قوله: **(ومَنَّ عليهِمْ بالتعريفِ والتفهيمِ حتَّى سلكُوا سبيلَ التوحيدِ والتنزيهِ)**، يعني: عرَّف الله أهل السنة وفهَّمَهم الحق، فعلِمُوا الحقَّ وسلكوا مسلك الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من الصحابة والتابعين والأئمة، فوحدوا الله ونزهوه عن مشابهة المخلوقين.

○ قوله: **(وتَرَكُوا القَوْلَ بالتعليلِ والتشبيهِ)**: فلم يقولوا: إننا نَنفي اليد لئلا يلزم منه التشبيه، أو لعلةِ كذا، أو لأجلِ كذا.

○ قوله: **(واتَّبَعُوا قولَ اللهِ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١])** **هذه الآية فيها رد على الطائفتين**: المشبهة الممثلة، والمعطلة.

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد على المشبهة الذين يقولون: إن صفات الخالق تماثل صفات المخلوقين، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ رد على المعطلة، حيث أثبت لنفسه السمع والبصر، والمعطلة ينفون السمع والبصر.

○ قوله: **(وكما وردَ القرآنُ بذكرِ اليديْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[المائدة: ٦٤] وَوَرَدَتِ الأَخْبارُ فِي الصِّحاحِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ بِذِكْرِ الْيَدِ)** يعني: كما ورد القرآن بذكر اليدين فقد وردت السنة أيضاً بذكر اليدين، فالمصنف رحمه الله يقول: إن إثبات اليدين جاء في الكتاب العزيز، وفي الأخبار الصحاحِ عن رسول الله ﷺ بذكرِ اليدِ.

○ قوله: **(كَخَبَرِ مَحاجَّةِ آدمَ وقولِهِ لَهُ: «خلقكَ اللهُ بيدِهِ، وأسجدَ لكَ ملائكتَهُ»)**، في الحديث يقول رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى**

عليه السلام عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الأَلْوَاحَ، فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: ١٢١] قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[(١)]. يعني: غلبه بالحجة، ذلك أن آدم احتج عليه بأن هذه المصيبة ـ وهي إخراجه من الجنة ـ مكتوبةٌ عليه؛ فاحتج بالقدر، ولهذا حجَّ آدمُ موسى.

والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به، لكن الممنوع أن يحتج بالقدر على المعاصي، كطريقة المشركين، وعلى من أصابته مصيبة أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون[(٢)]، قدر اللهُ وما شاءَ فعلَ[(٣)].

الشاهد: أن موسى عليه السلام كما في خبرِ المحاجةِ قال لآدمَ: (**خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**)، فأثبت اليد لله.

○ قوله: **(ومثلِ قولِهِ ﷺ: «لا أجعلُ صالحَ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ»)**[(٤)]، هذا الحديث احتج به العلماء على تفضيل الأنبياء وصالح البشر على الملائكة، وهذا يظهر في النهاية

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٩١٨).
(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر (٢٦٦٤).
(٤) سبق تخريجه.

عند دخولهم الجنة حينما يكملهم الله ﷻ ويطهرهم، **وهذه المسألة**: تفضيل الأنبياء وصالح البشر على الملائكة، أو تفضيل الملائكة على الأنبياء وصالح البشر، مسألة خلافية بين أهل العلم، **والصواب** كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن الأنبياء وصالحُ البشرِ أفضلُ[(١)]. ومن الأدلة على ذلك هذا الحديث.

فلما طلبت الملائكة من الله ﷻ أن يجعلهم أفضل من بني آدم قالت: (ربنا جعلتَ لهم الدنيا يأكلونَ ويشربونَ)، والملائكة لا تأكل ولا تشرب، (فَاْجعَل لنا الآخرةَ)، فقال الله ﷻ: «لا أجعلُ صالحَ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ». فآدم خلقه الله بيده، والملائكة قال الله لهم: كونوا، فكانوا، فهذا من الأدلة التي احتج بها المحققون من أهل العلم على أن الأنبياء وصالح البشر أفضل من الملائكة فيكَمِّلُهُمُ اللهُ عندَ دخولِهِمُ الجنةَ.

والمصنف رحمه الله استدل به على اثبات اليدين لله سبحانه وتعالى.

○ قوله: **(وقوله ﷺ: «خلقَ اللهُ الفردوسَ بيدِهِ»)**[(٢)]: هذا الحديث فيه كلام لأهل العلم في صحته، فقد أُعِلَّ بالإرسالِ، وسواءٌ صحَّ الحديثَ أو لم يصحَّ فاليدُ ثابتةٌ للهِ ﷻ في القرآنِ العزيزِ وفي السنة المطهرةِ.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٢-٣٥٠).
(٢) سبق تخريجه.

إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحب، والبغض، والفرح، والضحك وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه بتأويل منكر يستنكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ⑦﴾ [آل عمران: ٧] [وآيات الكتاب وأخبار الرسول ﷺ الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة]).

الشَّرْحُ

يبين المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ معتقد السلف أصحاب الحديث ـ أهل السنة ـ أنهم في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت فيها

الأخبار الصحاح يُجْرُونَها مجرىً واحداً، ويثبتون جميع الصفات كما يليق بجلاله فيثبتون الصفات إثباتاً بلا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ، وينفون عن الله مماثلةَ المخلوقين. فهم يثبتون الصفاتِ، ولا يعطلونها كما تفعلُ المعطلةُ، ولا يمثلونها بصورةِ المخلوقين كما تفعلُ المشَبِّهَةُ.

○ قوله: **(كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح)** **يعني**: لا يشترط في ثبوت الصفة أن تأتي في القرآن وفي السنة، بل إذا أتت في القرآن أو في السنة، وجب إثباتها.

○ قوله: **(من السمع والبصر)** قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشّورىٰ: ١١] هذا فيه إثبات صفة السمع والبصر.

○ قوله: **(والعين)** صفةُ العينِ ثابتةٌ في حديثِ الدَّجَّالِ، قال النبيُّ ﷺ: «**أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ**»[١]، استدل العلماء بهذا الحديثِ على إثباتِ العينين لله، وأن لله تعالى عينين سليمتين بخلافِ الدجالِ؛ فإن له عيناً واحدة، والعين الأخرى كأنها عنبة طافية.

○ قوله: **(والوجه)**: وكذلك إثبات الوجه قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧].

○ قوله: **(والعلمِ)**: قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزَاب: ٤٠].

○ قوله: **(والقوةِ)**: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن (٧١٣١)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٦٩).

ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٨].

○ قوله: **(والقدرة)**: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المَائدة: ١٢٠].

○ قوله: **(والعزة)**: قال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر:١٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنَافِقون: ٨].

○ قوله: **(والعظمة)**: لحديث: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**»(١).

○ قوله: **(والإرادة)**: قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] والإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية ترادف المشيئة، وإرادة دينية شرعية ترادف المحبة.

○ قوله: **(والمشيئة)**: قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسَان: ٣٠].

○ قوله: **(والقول)**: قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المَائدة: ١١٠].

○ قوله: **(والكلام)**: قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٤].

○ قوله: **(والرضا)**: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المَائدة: ١١٩].

○ قوله: **(والسخط)**: ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المَائدة: ٨٠].

○ قوله: **(والحب)**: قال اللهَ تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤].

○ قوله: **(والبغض)**: الحديث: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّى أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى**

(١) سنن أبي داود، كتاب اللباس (٤٠٩٠)، سنن ابن ماجه (٤١٧٤)، وجاء عند مسلم (٢٦٢٠) وغيره «العز إزاره والكبرياء رداؤه».

السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّى أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِى الأَرْضِ»[1]. وفي الآية الكريمة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠] والمقتُ أشدُّ البغضِ.

جاء في نسخة أخرى: **(والحياة واليقظة)** صفة الحياة ثابتة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] أما اليقظة فتحتاج إلى دليل، ولا أعلم دليلاً في الكتاب أو السنة فيه إثبات صفة اليقظة لله.

فأولى منها ما هو مثبت في هذه النسخة: **(والحب والبغض)**.

○ قوله: **(والفرح)**: الفرح صفة ثابتة لله، قال رسول الله ﷺ: **«للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِى ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ.أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»**[2].

○ قوله: **(والضحك)**: قال ﷺ: **«يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»**[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٨٥)، صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والأدب (٢٦٣٧) وهذا لفظه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة (٢٧٤٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٢٨٢٦)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٨٩٠) واللفظ له.

❍ قوله: **(وغيرها)** أي: أن غير هذه الصفات المذكورة فإن أهل السنة والجماعة والسلف وأهل الحديث يثبتون كل صفة وردت في القرآن العزيز أو في السنة المطهرة.

❍ قوله: **(من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين)** يعني: لا يقولون: إن سمع الخالق مثل سمع المخلوق، بل الله تعالى له صفات تليق بجلاله وعظمته، لا يماثل أحداً من خلقه.

❍ قوله: **(بل ينتهون فيها إلى ما قاله اللهُ تعالى وقاله رسولُ اللهِ ﷺ من غيرِ زيادةٍ ولا إضافةٍ عليه)** يعني: يقفون عند النصوص من غير زيادة على قولِ الله تعالى وقولِ الرسولِ ﷺ، ولا يضيفون إليها شيئاً، بل يقولون كما قالوا: أثبت الله لنفسه السمع فنثبت السمع، أثبت الله لنفسه البصر فنثبت البصر، وهكذا من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه.

❍ قوله: **(ولا تكييفٍ له)**: لا يقولون: إن كيفية سمع الله كذا، إن بصره كيفيته كذا، لا يُكيَّفُ ولا يُشَبَّهُ بصفاتِ المخلوقين.

❍ قوله: **(ولا تحريفٍ)**: لا يحرفون الصفاتِ ويقولون: معنى اليد النعمة أو القدرة، فهذا تحريف وتبديل وتغيير، وهم لا يحرفون الألفاظ ولا المعاني. فالتحريف طريقة الجهمية، وقالوا: معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى، ولهذا يقول العلماء: إن الجهمية شابهوا اليهود، فإن اليهود قال الله لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البَقَرَة:٥٨] يعني: حط عنا يا اللهُ ذنوبَنا واغفرْها لنا، وهم حرفوا وقالوا: حِنْطة، حرَّفوا في اللفظِ والمعنى، وأمرهم الله أن يدخلوا سُجَّداً فدخلوا يزحفون على أدبارِهم.

وكذلك غيَّرُوا ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ وقالوا: استولى، ولهذا يقول

العلماء: لام الجهمية مثل نون اليهود، لام الجهمية استولى زادوها في النص، ونون اليهود زادوها في النص.

أما أهل السنة والجماعة فلا يحرفون ولا يغيرون ولا يبدلون كما تفعل الجهمية وكما يفعل اليهود؛ ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير)** فهم لا يقولون: كيفية الصفة على كذا وكذا، ولا يقولون: تشبه صفة المخلوقين، ولا يحرفون اللفظ، ولا يحرفون المعنى، ولا يبدلون ولا يغيرون.

○ قوله: **(ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه في تأويل المنكر)** فأهل السنة لا يزيلون لفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتؤوله عليه بتأويل منكر، مثل تأويل الجهمية في ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ باستولى، هذا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب بتأويلٍ منكر.

○ قوله: **(ويجرونه على الظاهر ويَكِلُونَ علمَهُ إلى اللهِ، ويقرون بأنه تأويلٌ لا يعلمُه إلا اللهُ، كما أخبر اللهُ عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾)** فالراسخون في العلم يؤمنون بالنصوص ولا يمثلون ولا يكيفون ولا يشبهون، يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عِمرَان: ٧] آمنا بالمتشابه وبالمحكم، ويعملون بالمحكم، ويؤمنون بالمتشابه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه.

○ قوله: **(وآياتُ الكتابِ وأخبارُ الرسولِ ﷺ الصحيحةُ المنيرةُ الناطقةُ بِهذهِ الصفات وغيرها كثيرةٌ)** يعني: الآيات والنصوص التي فيها إثبات الصفات ـ سواء من الكتاب ومن السنة ـ كثيرةٌ، يطولُ

الكتابُ بإحصائِها.

الخلاصة:

أنه يجب على كل مسلم أن يثبت النصوص التي وردت في الكتاب وفي السنة إثباتاً بغير تكييف ولا تمثيل، لكن بتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوق من غيرِ تعطيلٍ للصفات، ولا تمثيلِها بصفات المخلوقين كما يفعلُ المشركون، ولا تُعَطَّلُ بأن تُنْفَى الصفاتِ كما نفتْها الُمعَطِّلَةُ. **فكلُّ نصٍّ في القرآن العزيزِ أو في السنةِ المطهرةِ جاء بإثباتِ صفةٍ من صفاتِ اللهِ، أو اسم من أسماءِ اللهِ، أو فعلٍ من الأفعالِ يجب على كل مسلم أن يثبتَه لله تعالى.**

وعلى المسلم أن يجتنب أمرين باطلين :

الباطل الأول: التمثيل بصفات المخلوقين.

الباطل الثاني: تعطيل الصفة؛ إذ من عطَّلَ فقدْ شبَّه.



عقيدةُ السلفِ في القرآنِ وصفةِ الكلام لله

(قال: ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه، ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيرا ونذيرا، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته، كما أخبر به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه ﷻ، وفيه قال ﷺ: «أتمنعوني أن أبلغ كلام ربي» وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة؟ يكتب في المصاحف، كيف ما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله ﷻ غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: (القران كلام الله غير مخلوق، فمن قال: إن القران مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، لا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه).



هذا الكلام ذكره المصنف رحمه الله في إثبات القرآن، وأنه كلام الله

ﷻ، وهو من الصفات التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة وبين أهل البدع. وهناك صفات اشتد فيها النزاع بين أهل السنة وبين أهل البدع، فمن أثبتها فهو من أهل السنة، ومن نفاها فهو من أهل البدعة، وهي ثلاث صفات:

الصفة الأولى: صفة الكلام.

الصفة الثانية: صفة رؤية الله ﷻ.

الصفة الثالثة: صفة العلو.

فالكلام لا يثبته الجهمية ولا المعتزلة، والأشاعرة إنما يثبتون الكلام على أنه معنى قائم بالنفس.

والرؤية والعلو كذلك ينكرهما الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

فهنا يبين المصنف رحمه الله عقيدة السلف وأصحاب الحديث: أنهم يعتقدون أن القرآن كلام الله، تكلم به بصوت وحرف، وسمعه منه جبرائيل عليه الصلاة والسلام، ونزل به وحياً على قلب محمد ﷺ، كما قال الله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥].

والجهمية قد أنكروا أن يكون الله تكلم، فيقولون: القرآن ليس كلام الله وإنما هو مخلوق.

وكذلك المعتزلة قالوا: ليس لله كلام، وأنكروا اللفظ والمعنى، وقالوا: إن الله خلق الكلام وأضافه إليه، فيقولون: إن الله خلق الكلام في الشجرة، والشجرة هي التي كلّمت موسى عليه السلام، وقالت: يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هل الشجرة تقول: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القَصَص: ٣٠]؟ فهم يقولون: نحن نثبت الكلام لكن ما نثبت الكلام على أنه لفظ ولا حرف ولا صوت، الكلام

معنى قائم بنفس الرب لا يسمع، كما أن العلم في نفسه فكذلك الكلام قائم في نفسه.

أما الأشاعرة فهم أقرب الطوائف إلى أهل السنة ومع ذلك لم يُثبتوا الكلام، فيقولون: إن القرآن الموجود في المصاحف ليس كلام الله، إنما كلام الله معنى قائم بنفسه، لكن هذا عبارة عن كلام الله عَبَّر به جبريل أو عَبَّر به محمد ﷺ، وقالوا: إن الله لم يتكلم بحرف ولا صوت، ولم يسمع جبريل من الله حرفاً ولا صوتاً، **ولكن يضطر** جبريل لفهم المعنى القائم بنفسه، وجعلوا الله ـ والعياذ بالله ـ كالأخرس لا يتكلم، **فالكلام** معنى قائم بنفسه ولا يستطيع أن يتكلم بحرف ولا صوت، ولا أن يتكلم بقدرته ومشيئته ـ نعوذ بالله ـ.

فإذا قيل لهم: من أين هذا القرآن؟

قالوا: إن الله تعالى اضطر جبريل اضطراراً ففهم المعنى القائم بنفسه، ثم ذهب فعبر بهذا القرآن وأوصله إلى محمد، فلفظه من جبريل، فهمه جبريل من الله فعبر عنه.

وقالت طائفة من الأشاعرة: الذي عبر به محمد وليس بجبريل.

وقالت طائفة أخرى من الأشاعرة: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وأنزله على محمد، وكل هذه أقوال باطلة.

والذي يعتقده أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والسلف: أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه، بحرف وصوت، وأن الله تكلم به، فسمعه جبرائيل، ونزل به على محمد ﷺ.

○ قوله: **(ويشهد أصحابُ الحديثِ ويعتقدون: أن القرآنَ كلامُ اللهِ وكتابُهُ وخطابُهُ ووحيُهُ وتنزيلُهُ غيرُ مخلوقٍ)** فالقرآن لفظه ومعناه تكلم الله به، وهو كتاب الله وخطابه ووحيه وتنزيله، وهو كلام الله

اللفظ والمعنى بحرف وصوت.

○ قوله: (ومَنْ قالَ بِخَلْقِهِ واعتقَدَهُ فَهُوَ كافرٌ عندَهُمْ) لهذا قال كثيرٌ من السلف: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر.

وهذا الحكم إنما هو على العموم، أما المعين ـ فلان بن فلان إذا قال: القرآن مخلوقٌ ـ **فلا يكفرُ حتى تقامَ عليه الحجةُ وتزالُ الشبهةُ** ـ إذا كانتْ له شبهةٌ ـ، أما الشخص المعين إذا تكلم بهذا فإنه يكفر إذا وجدت الشروطُ، وانتفت الموانع، وزالت الشبهة، فلابدَّ أن يزالَ اللبسُ عن القائل، وتزالَ الشبهةُ، فإذا أصر قُتلَ لكفرِهِ.

لكن على العموم يقال: من قال: القرآن مخلوق، أو كلام الله مخلوق فهو كافر.

○ قوله: (والقرآنُ ـ الذي هو كلامُ اللهِ ووحيُهُ ـ هو الذي نزلَ به جبريلُ على الرسولِ ﷺ): نعم لفظه ومعناه نزل به جبريل من عند الله.

○ قوله: (﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝﴾ [فُصِّلَت: ٣-٤]) أي: فيه البشارة والنذارة.

○ قوله: (كما قال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝﴾ وهو جبريل: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٢-١٩٥] **وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته كما أمر به في قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائدة: ٦٧]) هذا القرآن تكلم الله به، وبلغه جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، والرسول ﷺ بلغه أمته، فهذا القرآن الذي نتلوه ونسمعه ونقرأه ونحفظه هو كلام الله الذي تكلم به بلفظه ومعناه، وسمِعه منه جبرائيل، ونزل به على قلب محمد ﷺ، والنبي ﷺ بلغه أمته، فهو منزل من عند الله.

○ قوله: **(فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه ﷻ)** الرسول ﷺ أَمر بالتبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المَائدة: ٦٧] فالرسول بلغ كلام الله بأمر الله.

○ قوله: **(وفيه قال ﷺ: «أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي»)**(١): هذا الحديث صحيح، ولفظه: «**ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**» وذلك لما منعه الكفار ـ عليه الصلاة والسلام ـ من دعوة الناس، فالرسول ﷺ أثبت أنه كلام الله الذي تكلم به.

○ قوله: **(وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويكتب في المصاحف، كيف ما تُصرِّف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث تُلي، وفي أي موضع قُرئ أو كُتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله)** يعني: كلام الله ﷻ كيفما تصرف فهو كلام الله، إن حفظه الحافظ فكلام الله له محفوظ، وإن تلاه التالي فكلام الله له متلو، وإن كتب فكلام الله مكتوب، كيفما تصرف فهو كلام الله حقيقة وليس مجازاً، فكلام الله محفوظ في الصدور، متلو بالألسنة، مكتوب في المصاحف، إذا قرأه قارئ فيقال: قرأ القارئ كلام الله، وإذا تلاه التالي يقال: تلا التالي كلام الله، وإذا حفظه الحافظ يقال: حفظ الحافظ كلام الله، وإذا كتبه كاتب يقال: كتب الكاتب كلام الله. وهو حقيقة وليس بمجازاً، ولو كان مجازاً لصح أن يوجه النفي إليه فيقال: ما قرأ القارئ كلام الله، ما تلا التالي كلام الله، ما كتب الكاتب كلام الله، وهذا باطل لا يقال، فإذا قرأ القارئ كلام الله يقال: كلام الله مقروء حقيقة، إذا

(١) سبق تخريجه.

تلاه يقال: كلام الله متلو حقيقة، إذا حفظه يقال: كلام الله محفوظ حقيقة في صدور المؤمنين، أو الذين أوتوا العلم، كما قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦-٤٩] إذن: كيفما تصرف فهو كلام الله، حيث تلي أو لفظ أو حفظ أو قرئ أو كتب في مصاحف أهل الإسلام وفي ألواح الصبيان ـ واللوح: قطعة من الخشب تطلى بالطين ثم يكتب عليها حتى يتعلم الصبي ـ فيقال: كتب في اللوح كلام الله، و كتب في المصحف كلام الله، فهذا كله كلام الله جل جلاله.

❍ قوله: **(فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم)** يعني: إن كلام الله في القرآن الذي هو مكتوب في المصاحف ومتلو بالألسن، وموضوع في الصدور هو القرآن بعينه الذي نقول: إنه غير مخلوق.

❑ أقوال أئمة أهل السنة في القرآن:

ذكر المصنف رحمه الله سنده عن شيخه الحاكم، و الحاكم يروي عن حسان بن محمد، وحسان بن محمد يروي عن الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة صاحب الصحيح يقول: **(القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم،**

ولا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين ويستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه).
إذن: الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة كفَّر من قال: القرآن مخلوق، فيقول: كافر لا تقبل شهادته؛ لأنه لا تقبل شهادة الكافر على المسلم، ولا يعاد إن مرض؛ لأنه ليس من المسلمين، ولا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وروي عنه أنه قال(١): من لم يقل بأن الله مستوٍ على عرشه، بائن عن خلقه، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وطرح على مزبلة حتى لا يتأذى به أهل الإسلام ولا أهل الذمة؛ لأن كفره أشد من كفرهم، نسأل الله السلامة والعافية.

والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قصده من هذا**: الرد على من أنكر أن يكون كلام الله في المصاحف، فالأشاعرة يقولون: كلام الله هو القائم بنفسه، أما المصاحف فلا يوجد فيها كلام الله، هذا مع أنهم أقرب الطوائف، حتى إن بعضهم غلا فتجده يدوس المصحف بقدميه، فإذا قيل له في ذلك؟ قال: لا يوجد فيه كلام الله، كلام الله معنى قائم بنفسه، والمصحف عبارة عن كلام الله، والعياذ بالله.

فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرد على هؤلاء، ويبين بطلان مذهبهم، وأنه كفرٌ وغلوٌ، والقرآن كلامُ الله مكتوبٌ في المصاحف، محفوظٌ في الصدورِ، مكتوبٌ بالألسنِ.



(١) انظر: الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٣٣٦)، وعزاه للحاكم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أما اللفظ فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته التي صنفها لأهل جيلان، قال فيها: من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق ـ يريد به القرآنَ ـ فقد قال بخلق القرآن. وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه الاعتقاد الذي صنفه لأهل هذه البلاد: أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، وبألسنتنا مقروء، وفي مصاحفنا مكتوب، وهو الكلام الذي تكلم الله ﷻ به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق، أو لفظي به مخلوق، فهو جاهلٌ ضالٌ، كافرٌ باللهِ العظيمِ.

وإنما ذكرتُ هذا الفصلَ بعينِهِ من كتابِ ابنِ مهدِي لاستحساني ذلك منه؛ فإنه اتَّبَعَ السلفَ من أصحابِ الحديثِ فيما ذكره مع تبحره في الكلام، وتصانيفه الكثيرة فيه، وتقدمه وتبرزه عند أهله).

الشَّرْح

يقرر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مسألة اللفظ في القرآن حدثت ولم تكن معروفة عند السلف. ولما تكلم بعضهم، وقال: لفظي بالقرآن مخلوق، أنكر عليه العلماء وأهل الحديث، وقالوا: إن هذا الكلام ليس معروفاً عند أهل السلف وأصحاب الحديث.

ولهذا نقل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الشيخ أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني أنه قال في المسألة التي صنفها لأهل جيلان قال فيها: **(من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق ـ يريد به القرآن ـ فقد قال بخلق القرآن)**.

وهذه المسألة حصل فيها فتنة بين المحدثين، حتى إن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ رُمِيَ بمسألةِ اللفظِ، وهجرَهُ بعضُ أهلِ الحديثِ، وقالوا: إنه يقول بمسألة اللفظ، وهي مسألة محدثة، فقول من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يقول: هذا باطل، ليس معروفاً عند السلف، وهو مخالف لما كانوا عليه.

والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في صحيحه في كتاب التوحيد أن الإنسان مخلوق في أقواله وأفعاله، وأما كلام الله فهو منزل غير مخلوق. فالذي يقول: إن لفظي بالقرآن مخلوق، قد قال قولاً مبتدعاً لم يقله السلف، فعليك أن تنكر هذه اللفظة، فلا تقل: لفظي بالقرآن مخلوق، بل قل: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، أما الإنسان فهو مخلوق في أقواله وأفعاله، لكن لا تخصص القرآنَ. وكذلك ذكر عن ابن مهدي في كتاب الاعتقاد: أن مذهب أهل السنة القول بأن القرآن: كلامُ الله، ووحيُه، وتنزيلُه، وأمرُه، ونهيُه، غير مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم.

○ قوله: **(ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق؛ فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم)** وذلك؛ لأنه ابتدع قولاً لم يقله السلف، فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين وجه نقل كلام ابن مهدي فيقول: إنما نقلت هذا الكلام عن ابن مهدي؛ لأن ابن مهدي ـ صاحب علم الكلام ـ وافق السلف في هذه المسألة، وإن كان قد تعمق في علم الكلام وتبحر فيه، وله تصانيف في الكلام، إلا أنه لما وافق أهل السنة نقلت كلامه؛ لأبين للناس أن بعض أهل الكلام وافق أهل السنة في هذه المسألة لظهورِ الحق فيها[(١)].

---

(١) هو: علي بن محمد بن مهدي الطبري، المتوفى ٣٨٠هـ، من تلاميذ أبي الحسن الأشعري. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٤٦٦-٤٦٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٣٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤٩٢).



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا أبو عبدالله الحافظ قال: قرأت بخط أبي عمرو المستملي: سمعت أبا عثمان سعيد بن إشكاب يقول: سألت إسحاق بن إبراهيم عن اللفظ بالقرآن، فقال: لا ينبغي أن يُناظَرَ في هذا، القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ. وذكر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الاعتقاد الذي صنفه في هذه المسألة، وقال: أما القولُ في ألفاظِ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي، ولا تابعي إلا عمن في قوله الغنى والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الألى؛ أبي عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: اللفظية جهمية، قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ممن يسمع؟ قال: ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق. فهو مبتدع.

قال محمد بن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه.

هذه ألفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها إلى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه.

قلت: وهو ـ أعني: محمد بن جرير ـ قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب إليه، وقذف به من عدول عن سبيل السنة، أو ميل إلى شيء من البدعة، والذي حكاه عن

أحمد رضي الله عنه وأرضاه أن اللفظية جهمية فصحيح عنه، وإنما قال ذلك؛ لأن جهما وأصحابه صرحوا بخلق القرآن، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن، وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن، فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق، فلذلك سماهم أحمد رحمه الله جهمية. وحكي عنه أيضا أنه قال: [اللفظية شر من الجهمية].

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رحمه الله أن من قال: [لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع] فإنما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات، وعتوا عما نهو ا عنه من الضلالات وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتسنن أن يدعه، ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه.

أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجراجي بمرور، حدثنا يحيى بن ساسويه حدثنا عبد الكريم السكري قال: قال وهب بن زمعة: أخبرني الباشاني قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: [من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال: لا أومن فقد كفر]).

الشَّرْحُ

المصنف رَحِمَهُ اللهُ نقل بسنده عن الإمام الحافظ إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه الإمام المحدث المشهور قوله في مسألة اللفظ بالقرآن،

فقال: (**لا ينبغي أن يُناظَرَ في هذا**)، يعني: لا ينبغي أن يتكلم إنسانٌ باللفظِ، ويقول: لفظي بالقرآن مخلوقٌ.

ثم نقل عن الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير المعروف في كتاب في الاعتقاد سماه: صريح السنة، صنفه في هذه المسألة ـ كما يقول المصنف، وإن كان قد ذكر معها مسائل أخر ـ، فقال الإمام ابن جرير الطبري: (**أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن**)، أي: هل نقول: ألفاظ العباد بالقرآن مخلوقة أو غير مخلوقة؟

فيقول ابن جرير: إن هذه المسألة ما تكلم فيها أحد، وليس فيها أثر نعلمه عن صحابي ولا تابعي إلا عمن في قوله الغَنَاءُ والشفاءُ، وفي اتباعِه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأولى، وهو الإمام أحمد بن حنبل ﵀ إمام أهل السنة والجماعة، ثم روى بسنده عن أبي إسماعيل الترمذي أنه قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية.

واللفظية هم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق. قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: ٦] يقول الإمام أحمد: ممن يسمع؟ أليس يسمع كلام الله؟! فالإمام أحمد استدل على أن اللفظية جهمية بالآية

ثم قال أيضاً: سمعت جماعة من أصحابنا يذكرون عن الإمام أحمد أنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق. فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق. فهو مبتدع. هذه العبارة مشهورة عن الإمام أحمد: فمن قال: غير مخلوق مبتدع؛ لأنه خالف ما عليه أهل السنة والجماعة.

وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الكلمة وذكرها ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق المرسلة[(١)] وأطال وقرر أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ قد يُطلق اللفظ على الملفوظ، والملفوظ هو كلام الله، فيكون هذا قول الجهمية، وكذلك من قال: غير مخلوق؛ قد يُطلق الملفوظ على اللفظ أيضاً، فيكون هذا مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة، فيكون مبتدعاً في هذه المقالة ؛ ولأن اللفظ يطلق على الشيء الملفوظ وهو الشيء الساقط.

فإذن الإمام أحمد سد الباب، ولا يوجد روايات في المسألة عمن قبله، **فلا تقل: لفظي بالقرآن مخلوق،** ولا تقل: غير مخلوق، من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال : غير مخلوق، فهو مبتدع.

ولكن قل: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. واترك مسألة اللفظ لا نفياً وإثباتاً، فلا تقل: لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق.

وفي هذا يقول محمد بن جرير الطبري رحمه الله: (لا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله)، أي: ليس هناك لنا قول يجوز أن نقوله ونعتمده إلا قول الإمام أحمد، ونحن نقول مثلما يقول الإمام أحمد، فلا نتكلم في اللفظ لا نفياً ولا إثباتاً[(٢)].



(١) ص (٥١٢-٥١٣).
(٢) انظر: شرح صريح السنة، ص (٩٠).

اعتقاد استواء الله على عرشه فوق سماواته

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله سبحانه فوق سبع سماواته على عرشه مستوٍ؛ كما نطق به كتابه في قوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله جل وعلا في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، وقوله جل وعلا في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقوله في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وقوله في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]).

الشرح

استواء الله على العرش من الصفات التي اشتد النزاع فيها بين أهل السنة وبين أهل البدع.

وصفتي الاستواء والعلو من الصفات التي ثبتت بالنصوص وبالعقل وبالفطرة، ومن الصفات اللازمة للرب ﷻ التي لا تنفك عن الباري، فالرب لم يزل عالياً فوق مخلوقاته، وفوق سماواته، وهو فوق العرش، الذي هو سقف المخلوقات، فالله تعالى فوق العرش

بعد أن تنتهي المخلوقات.

والعلو من الصفات التي ثبتت بالنصوص والعقل والفطرة، فالله تعالى فطر الخلق على أن الله في العلو.

والأدلة التي فيها إثبات علو الله على خلقه تزيد على ثلاثة آلاف دليل، وهناك أنواع من الأدلة كل نوع تحته أفراد كثيرة.

والاستواء على العرش علو خاص، وهو علو على العرش، وهو من الصفات الفعلية، والعلو من الصفات الذاتية، **فالفرق بين العلو والاستواء يكون من جهتين:**

أولاً: أن صفة العلو من الصفات الثابتة بالعقل والشرع والفطرة، أما صفة الاستواء فهي ثابتة بالشرع، فلولا أن الله أخبرنا بأنه استوى على العرش لما علمنا ذلك.

ثانياً: أن صفة العلو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الباري، وصفة الاستواء من الصفات الفعلية، فالله تعالى خلق العرش أولاً، ثم خلق السماوات والأرض،ثم استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض.

والنصوص التي فيها بيان استواء الله على العرش في القرآن وردت في سبعة مواضع:

الموضع الأول: في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

الموضع الثاني: في سورة يونس، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

الموضع الثالث: في سورة الرعد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الرّعد: ٢].

الموضع الرابع: في سورة طه، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

الموضع الخامس: في سورة الفرقان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفُرقان: ٥٩].

الموضع السادس: في سورة السجدة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [السَّجدَة: ٤].

الموضع السابع: في سورة الحديد، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ [الحَديد: ٤].

فهذه سبعة مواضع فيها التصريح بأن الله استوى على العرش بأداة ﴿عَلَى﴾ الصريحة والدالة على العلو والارتفاع، وفي السنة نصوص أخرى ـ سيأتي ذكرٌ لبعضها ـ.



ذكر الأدلة الدالة على علو الله تعالى على خلقه

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وأخبر الله سبحانه عن فرعون اللعين أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، وإنما قال ذلك لأنه سمع موسى عليه الصلاة والسلام يذكر أن ربه في السماء، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، يعني: في قوله: إن في السماء إلهاً).

الشَّرْح

بدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر الأدلة الدالة على علو الله تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، استدل بها على العلو؛ فالصعود إنما يكون من أسفل إلى أعلى، فدل على أن الله في العلو، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: ٥]، فالأمر ينزل من السماء التي هي العلو، فدل على أن الله في العلو، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦]، والسماء تطلق ويراد بها العلو، والله تعالى له أعلى العلو وهو ما فوق العرش.

وتطلق السماء على الطباق المبنية، فإذا أريد بالسماء الطباق المبنية فتكون ﴿فِي﴾ بمعنى: على، أي: أأمنتم من على السماء، وإذا أريد بالسماء العلو تكون ﴿فِي﴾ للظرفية على بابها، وله تعالى

أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: ٥]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦].

والمصنف رَحِمَهُ اللهُ بيَّن أن في إخبار الله عن فرعون في قوله لهامان ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غَافِر: ٣٦]: أن هذه الآية فيها إثبات العلو.

ووجه الدلالة: أن فرعون وقد ادَّعى الربوبية قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النَّازعَات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: ٣٨]، فهو منكرٌ لوجودِ اللهِ في الظاهر، وإن كان مستيقناً به في الباطن، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: ١٤]، ففرعون منكر لوجود الله في الظاهر، وقد طلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً ليطّلع إلى إله موسى؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلمه أن الله في العلو، فطلب فرعون من وزيره هامان أن يبني له صرحاً ليطلع ويُكذِّب موسى فيما زعمه أن الله في العلو، ولهذا قال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ [غَافر: ٣٧]، أي: في دعوى موسىعَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله في العلو.

فإذن: فرعون منكر لوجود الله، ولهذا قال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾.

ولكن بعض الجهمية في القديم والحديث قلبوا معنى الآية، فقالوا:

إن فرعون طلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً، ففرعون مجسم؛ لأنه مثبت لوجود الله في العلو، فمن قال: إن الله في العلو، وأثبت أن الله في العلو فمذهبه مذهب فرعون، ومن أنكر العلو فهو على الصواب!

فالجهمية يقولون: لو قلنا: إن الله فوق السماء لصار جسماً، ولصار محدوداً ومتحيزاً، وهذا تنقُّص لله، فجعلوه مختلطاً بالمخلوقات ـ نعوذ بالله ـ!

فالجهمية أنكروا أن يكون الله في العلو؛ زعماً منهم أن إثبات العلو فيه تجسيم وتنقُّص لله، ولهذا قالت الجهمية: إن فرعون مثبت للعلو لأنه مجسم، وقالوا: إن من أثبت العلو فهو على مذهب فرعون.

والحق ما قاله العلماء: من أثبت العلو فهو على دين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام، ومن أنكر العلو فهو على دين فرعون.





علماء السلف وإثباتهم لاستواء الله على عرشه

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشه فوق سماواته يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ويؤمنون به، ويصدقون الرب جل جلاله في خبره، ويطلقون ما أطلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من استوائه على عرشه، ويمرونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧﴾ [آل عِمرَان: ٧] كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك، ورضيه منهم، فأثنى عليهم به.)



أهل السنة يصدقون الله فيما أخبر عن نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه في العلو: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦]، فهو أعلم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

○ قوله: **(ويطلقون ما أطلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من استوائه على عرشه، ويمرونه على ظاهره) يقولون: إن الله في العلو، ويكلون علم الكيفية إلى الله، فالكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه، ويقولون:** ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧﴾ [آل عِمرَان: ٧] فهذا وصف من الرب سبحانه لهم أنهم يؤمنون بالمحكم والمتشابه، ويعملون بالمحكم.

❁ ❁ ❁

قول أم سلمة في إثبات استواء الله على عرشه

قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد أخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو الحسن الحافظ من أصله العتيق، قال: حدثنا أبو يحيى بن كيسبة الوراق حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو المغيرة الحنفي حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر[١]).

الشَّرْح

هذا الحديث نقله المصنف رحمه الله بالسند عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت في قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

○ قوله: **(الاستواء غير مجهول)** أي: معلوم معناه كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، يعني: معلوم معناه في اللغة العربية،

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٤٠)، (٦٦٣)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ١٦٢) (١٢٠).

وله أربعة معان في اللغة العربية، وعليها تدور تفاسير السلف للفظ الاستواء، وهي: استقر، وعلا، وصعد، وارتفع.

○ قوله: **(والكيف غير معقول)**: وفي العبارة المروية عن مالك: والكيف مجهول. فكيفية استواء الرب على العرش لا نعقلها، ولا نعلمها، فهي مجهولة لدينا.

○ قوله: **(والإقرار به إيمان)**: يجب عليك أن تقر بأن الله استوى على العرش؛ لأن الله أخبر عن نفسه بذلك.

○ قوله: **(والجحود به كفر)**: جحود الآية كفر.

هذه المقالة مروية عن أم سلمة، ولكن السند إليها ضعيف، والمعنى صحيح، وهو ثابت عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، وثابت أيضاً عن ربيعة شيخ الإمام مالك.

وهذا القول يقال في جميع الصفات، فكل الصفات معانيها معلومة، والكيفية مجهولة ـ أي: كيفية اتصاف الرب بها مجهولة لنا ـ.



قول الإمام مالك في إثبات استواء الله على عرشه

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وحدثنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي بن المزكي حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال: سئل مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن قوله تعالى:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، **كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه[(١)]).**

الشَّرْح

هذه المقالة ثابتة عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسند إلى الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لما جاءه سائل وهو في مجلس التحديث يحدث الناس في المسجد، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك كما جاء في رواية أخرى وسكت ملياً، ثم عَلَتْهُ الرحضاء أي: ـ العرق ـ ثم رفع رأسه، وقال: أين السائل؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء ثم أمر به أن يخرج من مجلسه.

(١) سبق تخريجه.

○ قوله: **(الاستواء غير مجهول)** المعنى: أنه معلوم في اللغة العربية، وفي اللفظ الآخر أنه قال: **(الاستواء معلوم)**.

○ قوله: **(والكيف غير معقول)**: وفي اللفظ الآخر قال: (والكيف مجهول).

وغير معقول يساوي (مجهول)، وغير مجهول يساوي (معلوم)، فقوله: **(الاستواء غير مجهول)** أي: معلوم، **(والكيف غير معقول)** أي: مجهول.

○ قوله: **(والإيمان به واجب)**: الإيمان بالاستواء واجب؛لأنه ثبت في القرآن وفي السنة.

○ قوله: **(والسؤال عنه بدعة)**: السؤال عن الكيفية بدعة.

ثم قال: **(وما أراك إلا ضالاً)**: وفي اللفظ الآخر: (وما أراك إلا رجلَ سوء)، وهذا يقال في جميع الصفات، فلو سأل شخص وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]، كيف هذا العلم؟ فيقال له: العلم معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ولو قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨]، كيف السمع؟ فيقال: السمع معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فهذه المقالة عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلقاها أهل العلم بالقبول والتصديق، واحتجوا بها، وصارت قاعدة عند أهل السنة في الصفات.



قال المصنف رحمه الله:

(أخبرنا أبو محمد المخلدي العدل حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن مسلم الإسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن عبدالله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس رحمه الله يعني يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرحضاء وأطرق القوم فجعلوا ينظرون الأمر به فيه ثم سرِّي عن مالك رحمه الله فقال: الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمر به فأخرج).

الشَّرْح

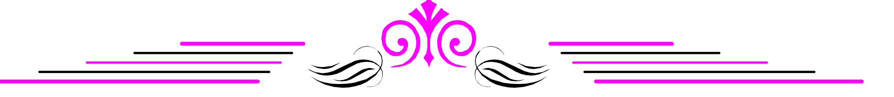
هذا الأثر صحيح ثابت عن مالك رحمه الله، وهذه رواية أخرى، والمصنف رواه بعدة روايات، ففي هذه الرواية أن هذا الرجل جاء وسأل الإمام مالكاً رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، كيف استوى؟ قال الراوي: **(فما رأيته)** - يعني: الإمام مالك - **(وجد من شيء كوجده من مقالته)** يعني: فما رأيته غضب من شيء أشد من غضبه ذلك، **(وعلاه الرحضاء)** يعني: صار يتصبب عرقاً، من ثقل هذه المقالة وشدتها على الإمام مالك رحمه الله، **(وأطرق برأسه أيضاً)** أي: سكت ولم يتكلم، **(وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه)** أي: ينتظرون ماذا يقول الإمام مالك، وهو قد غضب وجعل يتصبب عرقاً وسكت، والرجل واقف ينتظر. **(ثم سرِّي عن مالك)** يعني: انكشف وزال ما به.

○ **(فقال: الكيف غير معلوم)** يعني: كيفية الاستواء غير معلومة، بل هي مجهولة.

○ قوله: **(والاستواء غير مجهول)** أي: أن معناه معلوم في لغة العرب، وهو: الاستقرار، والعلو، والصعود، والارتفاع. وكيفية اتصاف الرب بالاستواء هذا غير معلوم.

○ قوله: **(والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)**: الإيمان بالصفة واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة. ثم قال الإمام مالك: **(وإني لأخاف أن تكون ضالاً)**؛ ذلك أن الرجل سأل عن الكيفية، وهذا سؤال باطل، فلا ينبغي أن يُسأل عن الكيفية، بل يجب الإيمان بالصفة وترك السؤال عن الكيفية، فتؤمن بالاستواء، فتقول: آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله. فقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، دليل على أن الله استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، أما السؤال عن الكيفية فهو بدعة، إذ لا يعلمها إلا الله ﷻ، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله: **(وإني لأخاف أن تكون ضالاًثم أمر به فأُخرج)**: طُرد من الحلقة ومن المسجد بسبب بدعته وسؤاله سؤالاً مبتدعاً؛ حتى لا تسري بدعته إلى غيره.

فإذا كان الإمام مالك رحمه الله يعاقب الذي يسأل عن الكيفية، فيُطرد ويُخرج من المسجد ويُهجر، فكيف وقد صار الكل يتكلم بما يشاء في هذا الزمان، فصار المبتدعة يكتبون، والمعتزلة يكتبون، والأشاعرة يكتبون، والضلَّال يكتبون، وكان في زمن الأئمة لا يستطيع أحد من هؤلاء أن يتكلم، أو أن يكتب، ومن كتب فإنه يُؤدّب ويُهْجر ويُحذّر منه، وبذلك تموت البدع وتحيا السنن، أما في الأزمنة المتأخرة فإن أهل البدع قد أخرجوا رؤوسهم، وصاروا يتكلمون ويكتبون وينشرون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وأخبرنا به جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل عن جد والدي الشهيد أبو عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا جعفر بن عبدالله قال: جاء رجل لمالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: يا أبا عبدالله! ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: فما رأينا مالكاً وجد من شيء كوجْده من مقالته، وذكر بنحوه).



هذا طريق ثالث عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، فذكر المصنف لأثر مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عدة طرق، ولكن مدارها كلها على جعفر بن عبدالله، وفي هذا أنه قال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، كيف استوى؟ قال: **(فما رأينا مالكاً وجد من شيء كوجْده من مقالته)** يعني: لم يغضب كغضبه من مقالته، ثم ذكر بنحو ما سبق.

❁ ❁ ❁

قول الحسين بن الفضل في إثبات استواء الله على عرشه

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(وسئل أبو علي الحسين بن فضل البجلي عن الاستواء وقيل له: كيف استوى على عرشه؟ فقال رَحِمَهُ اللهُ: أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه، ولم يخبرنا كيف استوى).

الشَّرْحُ

في نسخة أنه قال (أنا لا أعرف) بدلاً من (إنا لا أعرف)، وهو محتمل، وهذا فيه أن أبا علي الحسين بن فضل البجلي سُئل عن الاستواء كما سئل الإمام مالك، وقيل له: كيف استوى على عرشه؟ فقال: (أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا)، ويحتمل: (إنا لا نعرف) يعني: إنا معشر العلماء لا نعرف الغيب.

والمعنى: أن هذا من علم الغيب، ولا نعلم من علم الغيب إلا ما كشف لنا.

○ قوله: (والله قد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى) المعنى أنَّ الله تعالى لم يخبرنا كيف استوى، ولم يكشف لنا كيف استوى، فنقف؛ إذ لا علم لنا بكيفية الاستواء وهي من الغيب.



قول ابن المبارك في إثبات استواء الله على عرشه

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد أخبرنا محمد بن عبدالرحمن السامي حدثني عبدالله بن أحمد بن شبويه المروَزي سمعت علي بن الحسن بن شقيق يقول: سمعت عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: نعرف ربنا فوق سبع سماوات على العرش استوى، بائناً من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا. وأشار إلى الأرض).

الشَّرْحُ

وهذا الأثر عن عبدالله بن المبارك، الإمام العالم الزاهد المشهور، نقله المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخه الحاكم بسنده إلى عبدالله بن المبارك أنه قال: **(نعرف ربنا فوق سبع سماوات على العرش استوى بائناً من خلقه)** يعني: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات، **وفيه** إثبات العلو، وأن الله فوق سبع سماوات، **وفيه** الرد على من أنكر العلو من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

○ قوله: **(على العرش استوى)** هذه الصفة الثانية، وهي صفة الاستواء.

○ قوله: **(بائناً من خلقه)** أي: منفصلاً ليس مختلطاً بالمخلوقات.

○ قوله: **(ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا. وأشار إلى**

الأرض) الجهمية لا يقولون: إن الله في العلو، ولا يقولون: فوق السماوات، وإنما يقولون: الله في الأرض وفي كل مكان، تعالى الله عما يقولون! وهذا كفر وضلال.

الجهمية طائفتان:

الطائفة الأولى: ينكرون أن الله فوق العرش، وأن الله فوق السماوات، ويقولون: إنه في كل مكان ولم ينزهوا الله، حتى قالوا: إنه في بطون السباع، وفي أجواف الطيور، وفي كل شيء تعالى الله عما يقولون!

الطائفة الثانية: المتأخرون، وهؤلاء أنكروا وجود الرب، ونفوا عنه النقيضين، ولم يقولوا مثلما قالت الأولى: إنه في الأرض، وإنما قالوا: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا مباين له ولا مختلط.

إذن ماذا يكون؟!

• **الجواب:** يكون على قولهم عدماً بل أشد من العدم ـ تعالى الله ـ عما يقولون علوًا كبيرًا.

فهؤلاء الجهمية ـ الطائفة الثانية ـ نفوا عن الله النقيضين اللذين لابد لكل موجود أن يتصف بواحد منهما، وكل من الطائفتين كافرتان، **لكن الطائفة الثانية أشد كفراً** ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ، لأنهم نفوا النقيضين، **فصار نفيهم للنقيصين إنكارًا لوجود الله وقولًا بالعدم**، بخلاف الطائفة الأولى فإنهم تنقصوا الرب وجعلوه مختلطاً بالمخلوقات، نسأل الله العافية!



قول ابن خزيمة في إثبات استواء الله على عرشه

قال المصنف رحمه الله:

(وسمعت الحاكم أبا عبدالله في كتابه التاريخ الذي جمعه لأهل نيسابور، وفي كتابه معرفة الحديث اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه فوق سبع سماواته فهو كافر بربه حلال الدم، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»[١]).

الشَّرْح

هذا الأثر نقله الإمام الصابوني رحمه الله عن شيخه الحاكم صاحب المستدرك في كتاب معرفة الحديث، وابن خزيمة صاحب الصحيح ليس من شيوخ الحاكم، بل من شيوخ شيوخ الحاكم، والمصنف رحمه الله روى عن الحاكم، والحاكم روى عن محمد بن صالح، ومحمد بن صالح روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ الإمام المشهور صاحب الصحيح ـ أنه يقول: (من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه قد

(١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض (٦٧٦٤)، صحيح مسلم، كتاب الفرائض (١٦١٤).

استوى فوق سبع سماواته فهو كافر بربه) إذن: هذا تكفيرٌ من هذا الإمام، وأهل السنة كلهم يوافقون الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة في أن من لم يؤمن بأن الله استوى على العرش، وأن الله فوق السماوات فهو كافر بالله تعالى، وحينئذٍ إذا كان كافرا فهو حلالُ الدم يقتل؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[١].

○ قوله: **(حلال الدم يستتاب)**: من قبل ولاة الأمور. **(فإن تاب وإلا ضربت عنقه)** بالسيف، **(وألقي على بعض المزابل)** المزابل: جمع مزبلة، وهي مكان القمامة والكناسة فيقتل ويوضع على الكناسة ولا يدفن؛ لأنه لا كرامة له، وليس بمؤمن، فلا يدفن ولا يغسل ولا يصلى عليه. قوله: **(حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته)** المعاهد: من له عهد، من اليهود أو النصارى الذين لهم ذمة، أو يدفعون الجزية، أو دخلوا بعهد في البلد، فهؤلاء لهم أمان فلا يقتلون، ولا تؤخذ أموالهم، ولهم حرمة، **فيكون كفر هذا أشد وأعظم من كفر اليهود والنصارى**، فيُقتل، ويلقى على مزبلة؛ حتى لا يتأذى برائحة جيفته المسلمون، ولا يتأذى به المعاهدون من اليهود والنصارى أو غيرهم.

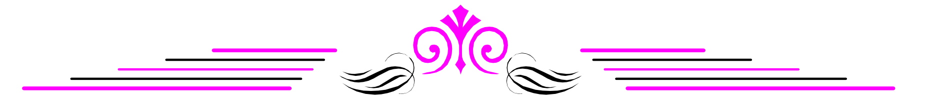
○ قوله: **(وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين)**، أما ماله فيؤخذ فيئاً، ويوضع في بيت مال المسلمين، لا يرثه أقاربه المسلمون، إلا إن كان له ابن كافر على دينه فيرثه، أما أبناؤه المسلمين وزوجته المسلمة فلا يرثونه؛ ومستند ذلك ما ذكره

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات (٦٨٧٨)، صحيح مسلم، كتاب القسامة (١٦٧٦).

المصنف بقوله: (إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي ﷺ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»)[١] هذا الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، فمن أنكر العلو والاستواء فهو كافر.



(١) سبق تخريجه آنفا.



قول الإمام الشافعي في إثبات استواء الله على عرشه

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

([وإمامنا أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **احتج في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وأن غير المؤمنة لا يصح التكفير بها، بخبر معاوية بن الحكم، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء لكفارة، وسأل رسول الله** ﷺ **عن إعتاقه إياها، فامتحنها رسول الله** ﷺ**، فقال** ﷺ **لها: «من أنا؟» فأشارت إليه وإلى السماء، تعني: أنك رسول الله الذي في السماء، فقال** ﷺ**: «اعتقها فإنها مؤمنة»[1]، فحكم رسول الله** ﷺ **بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية، وإنما احتج الشافعي رحمة الله عليه على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر؛ لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه، وفوق سبع سماواته على عرشه، كما هو معتقد المسلمين من أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم، إذ كان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لا يروي خبراً صحيحاً ثم لا يقول به]).**

الشَّرْحُ

○ قوله: **(وإمامنا أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي)** هذا يدل على أن الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد (٥٣٧)؛ ورواه بلفظ المصنف ابن خزيمة في التوحيد ص (٢٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢/ ٥٢١).

شافعي، فهو من الشافعية في الفروع، وسلفي المعتقد، من أهل السنة والجماعة.

○ قوله: **(احتج في كتابه المبسوط)** هذا كتاب للإمام الشافعي اسمه: المبسوط، احتج فيه في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وأن غير المؤمنة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم، فالشافعي رَحِمَهُ اللهُ اشترط في عتق الرقبة أن تكون مؤمنة؛ لأن الله تعالى ذكر عتق الرقبة في القتل وفي الظهار وفي اليمين، فالله تعالى اشترط الإيمان في كفارة القتل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، وقال في كفارة الظهار: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ﴾ [المجَادلة: ٣]، فلم يذكر الإيمان.

فاختلف العلماء في كفارة الظهار، **هل تجزئ فيها الرقبة غير المؤمنة؛ لأن الله ما نص على الإيمان، أو أنه لابد من الإيمان؟**

فالشافعي رَحِمَهُ اللهُ قال: لا بد أن تكون الرقبة مؤمنة، واحتج بحديث معاوية بن الحكم السلمي، وهو في صحيح مسلم، وذلك أن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ له جارية سوداء، وكانت ترعى الغنم خلف أحد، فجاء الذئب وأخذ شاة منها، فغضب معاوية وصكها، ثم ذهب إلى النبي ﷺ وأخبره أنه اعتدى عليها بالضرب، وهي مسكينة ليس لها اختيار في هذا، فشدد النبي ﷺ عليه، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يا رسول الله، أُعتقها؟ فقال ﷺ: «**ائت بها إلي**»، فسألها فقال: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء ـ والجارية أعجمية ـ قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»، **فشهد لها بالإيمان لأنها آمنت أن الله في السماء في جهة العلو، وآمنت**

برسالة النبي ﷺ. وهذا الحديث ثابت ـ كما تقدم ـ في صحيح مسلم، لكن الحديث بهذه الرواية التي جاء بها المصنف سندها ضعيف؛ لأنه قال: امتحنها رسول الله ﷺ فقال: «**من أنا؟**» فأشارت إلى السماء، وما تكلمت وهي تعني: أن الله في السماء وأنك رسول الله، وهذا ضعيف، والصواب كما في صحيح مسلم أنها تكلمت، حيث قال: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله[(١)].

فالنبي ﷺ شهد لها بالإيمان، **وهذا فيه**: الرد على أهل البدع الذين أنكروا أن يكون الله في العلو، **وأهل البدع يقولون**: ما يُسأل عن الله (بأين) وإنما يسأل بـ(أين) عن المكان، فإذا قيل لهم: إن الرسول سأل (أين). قالوا: الرسول أخطأ فإذا قيل: لم أخطأ؟ قالوا: الرسول يخاطب الجارية الأعجمية بقدر عقلها وفهمها، فهي لا تفهم، لذلك سألها سؤالاً فاسداً، وأقرها على جواب فاسد.

وهكذا وصل الحال بأهل البدع إلى أنهم اتهموا الرسول ﷺ فقالوا: في أنه سأل سؤالاً فاسدا، ظاهره أن الله له مكان، قالوا: وإذا كان لله مكانٌ فيكون محدوداً ويكون جسماً ويكون متحيزاً، وهذا لا يليق بالله ﷻ. **قالوا**: وكان مقصد الرسول أن يقول: من الله؟

فنقول لهم: وهل الرسول ﷺ عاجز أن يقول: من الله؟!

ثم إن (أين) ثلاثة حروف، و(من) حرفان، فأيهما أسهل؟

والرسول ﷺ أفصح الناس وأبلغهم.

---

(١) سبق تخريجه.

فالإمام الشافعي رحمه الله يقرر أن رسول الله ﷺ حكم بإسلامها وإيمانها لمّا أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية.

وقال بعض العلماء: يجوز إعتاق الرقبة الكافرة.

ودليل الشافعي هو حديث الجارية؛ لأن الرسول ﷺ سألها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». فلم يرخص له الرسول ﷺ بإعتاقها حتى ثبت له إيمانها.

○ قوله: **(كما هو معتقد المسلمين من أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم)** فهذا هو معتقد أهل السنة قديماً وحديثاً سلفاً وخلفاً، يعتقدون أن الله فوق خلقه وفوق سبع سماواته على عرشه.

○ قوله: **(إذ كان ـ أي: الشافعي ـ رحمه الله لا يروي خبراً صحيحاً ثم لا يقول به)**، فعمل الشافعي رحمه الله بهذا الحديث لمّا صح الحديث عنده، فقال: لابد أن تكون الرقبة مؤمنة.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

([وقد أخبرنا الحاكم أبو عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنبأنا الإمام أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه قال: حدثنا إبراهيم بن محمود قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب]).

الشَّرْح

○ قوله: (إذا قلت قولاً وصح الحديث بخلافه؛ فاعلموا أن عقلي قد ذهب)؛ إذ كيف يخالف قول الرسول عليه الصلاة والسلام؟

وهذا ثابت عن الإمام الشافعي، والمعنى هذا قد قاله الأئمة كلهم.

وروي عنه أنه قال: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)[١].

وقال بعض العلماء: (إذا قلتُ قولاً يخالف قول الرسول ﷺ فخذوا بقول الرسول ﷺ، واضربوا بقولي عرض الحائط).



(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٣٥).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

([قال الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أبا الوليد ـ غير مرة ـ يقول: حدثت عن الزعفراني أن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ روى يوماً حديثاً فقال السائل: يا أبا عبدالله! تقول به؟! قال: تراني في بيعة أو كنيسة؟! ترى علي زي الكفار؟! هو ذا تراني في مسجد المسلمين، عليّ زيّ المسلمين، مستقبلاً قبلتهم، أروي حديثاً عن النبي ﷺ، ثم لا أقول به؟!]).

الشَّرْحُ

وهذا أيضاً أثر عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وإن كان فيه ضعف؛ فإن في سنده مجهول، لكن رواه أبو نعيم في الحلية موصولاً[(١)]، وذكره السيوطي في مفتاح الجنة[(٢)] محتجاً به، وذلك أن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ روى يوماً حديثاً عن الرسول ﷺ فقال سائل: يا أبا عبدالله! هل تقول بهذا الحديث وتعمل به؟ فأنكر عليه الشافعي واشتد: كيف يثبت حديثٌ ولا أقول به؟ **(هل تراني في بيعة أو كنيسة؟ ترى علي زي الكفار؟!)** فأنا في مسجد المسلمين، وعليّ زيّ المسلمين، وأستقبل القبلة، وأروي الحديث عن النبي ﷺ ثم لا أقول به؟!

فهذا فيه تعظيمٌ من الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ للسنة، حيث أنكر على السائل.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٠٦).

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ص (٥-٦).

الفرق بين أهل السنة وأهل البدع في باب الصفات

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

([والفرق بين أهل السنة وبين أهل البدع: أنهم إذا سمعوا خبراً في صفات الرب ردوه أصلاً ولم يقبلوه، أو للظاهر ثم تأولوه بتأويل يقصدون به رفع الخبر من أصله، وإبطال عقولهم وآرائهم فيه، ويعلمون حقاً يقيناً أن ما قاله رسول الله ﷺ فعلى ما قاله، إذ هو كان أعرف بالرب جَلَّ جَلَالُهُ من غيره، ولم يقل فيه إلا حقاً وصدقاً ووحياً، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجْم: ٣-٤]]).



الفرق بين أهل السنة وبين أهل البدعة:

- أهل البدعة إذا سمعوا خبراً في صفة الرب ردوا الخبر أو تأولوه بتأويل باطل.

- أما أهل السنة فإنهم يقبلون الحديث، ويقبلون ما جاء فيه من الأخبار، ويقولون: آمنا بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنا برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله.

فالعلامة الفارقة بين أهل السنة وبين أهل البدع في أحاديث الصفات، أن أهل السنة يقبلون الأحاديث ويؤمنون بما دلت عليه، وأهل البدع يردون الأحاديث؛ إما أن يقولوا: هذا حديث آحادٍ فلا

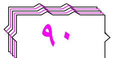
نقبله، أو يتأولونه بتأويل باطل، هذا هو الفرق بينهما.

وأهل السنة يقبلون الحديث في العقائد والأحكام والأخلاق وفي كل شيء إذا: صح سنده، وكان رواته عدولٌ، ولم يكن شاذاً ولا معللاً.

أما أهل البدع فهم بين أمرين: إما أن يردوه من ابتداءٍ، ويقولون: هذا خبر آحاد لا يحتج به، وإما أن يتأولوه بتأويل فاسد، ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم تأولوه بتأويل يقصدون به رفع الخبر من أصله)**.

فأما أهل السنة والجماعة يعتقدون أن ما قاله الرسول فهو حق؛ لأن الرسول ﷺ أعرف بالرب جَلَّ جَلَالُهُ من غيره، فقد قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: ٣-٤].





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

([قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام الأئمة وغيره من علماء الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم]).



هذا القول قاعدة عند أهل السنة فيقولون: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، فلا نعترض، فالله تعالى بيّن لنا وأخبرنا، والرسول ﷺ بلغنا، ونحن نسلم ونقبل أمر الله وأمر رسوله، وخبر الله وخبر رسوله ﷺ.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

([وروى يونس بن عبدالصمد بن معقل عن أبيه أن الجعد بن درهم قدم على وهب بن منبه يسأله عن صفات الله تعالى فقال: ويلك يا جعد بعض المسألة! إني لأظنك من الهالكين، يا جعد! لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يدين وعيناً ووجهاً لما قلنا بذلك فاتق الله، ثم لم يلبث جعد أن قتل وصلب]).

الشَّرْحُ

هذا الأثر عن وهب بن منبه أنه لما قدم عليه الجعدُ بن درهم ـ وهو أول من تكلم في نفي الصفات ـ وسأله عن الصفات، قال له وهب: **(ويلك يا جعد بعض المسألة! إني لأظنك من الهالكين، يا جعد! لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً وعيناً ووجهاً لما قلنا بذلك)**، فنثبت ما أثبته الله في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ **(فاتق الله، ثم لم يلبث الجعد أن قتل وصلب)** كما سيذكر المصنف في القصة التي بعدها.



قال المصنف رحمه الله:

([وخطب خالد بن عبدالله القسري رحمه الله يوم الأضحى بالبصرة، فقال في آخر خطبته: انصرفوا إلى منازلكم وضحوا، بارك الله لكم في ضحاياكم، فإني مضح اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول: لم يتخذ الله إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً، ونزل عن المنبر فذبحه بيده، وأمر بصلبه]).

الشَّرْحُ

هذه القصة فيها قتلُ الجعد بن درهم، وهو: أول من ابتدع القول بنفي الصفات وأول من حُفظ عنه في الإسلام مقالة التعطيل، **وكان الذي تكلم به في صفتين:**

صفة التكليم، وصفة الخلة، فأنكر أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وأن يكون الله كلم موسى تكليماً.

وهاتان الصفتان ترجع إليهما جميع الصفات؛ لأن إنكاره للكلام إنكار للشرائع والنبوات والكتب المنزلة، والله سبحانه قد تكلم، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب بالكلام.

وإنكاره للخلة وهي كمال المحبة، وفيه قطع للعلاقة بين الله وبين خلقه، فقال الجعد: المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين الخالق والمخلوق، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق.

فنقول: وأيُّ مناسبة أعظم من رب وعبد؟!

فالله تعالى هو الذي ربى خلقه، وأوجدهم من العدم، ورباهم بنعمه، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، والعباد يعبدون ربهم ويتألهونه، ويتضرعون إليه، فهذه أعظم صلة.

فلما أنكر الجعد هذه الصفات أفتى العلماء في زمانه من التابعين بقتله، وكان خالد بن عبدالله القسري أمير العراق، فأمر به فقيد ووثق بالأغلال، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى، وكان خالد بن عبدالله القسري هو الذي يصلي بالناس ـ على عادة الأمراء ـ الجمعة والعيد، وأتي بالجعد بن درهم مقيداً موثقاً، وجُعل في أصل المنبر، فصلى خالد القسري بالناس العيد وخطب خطبة العيد، ثم قال في آخر الخطبة: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً. ثم نزل وأخذ السكين وذبحه في المصلى أمام الناس، وشكره العلماء وأثنوا عليه، ومن ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في قصيدته الشافية أثنى عليه وقال:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ ـقسري يوم ذبائح القربان
اذ قال ابراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحبِ سنةٍ لله درُّك مِنْ أخي قُربانِ

ولا شك أن هذه الأضحية أعظم أجراً من الضحايا الأخرى؛ لأن فيها قطعاً لدابر الفتنة والشر والفساد، وثوابها أعظم من ثواب الأضحية، وإن كانت الأضحية سنة الرسول ﷺ.

لكن مع الأسف أن هذا الرجل قبل أن يُقتل كان قد اتصل به الجهم بن صفوان، وأخذ عنه عقيدته في الصفات ثم نشرها، وكذلك قد اتصل بالمشركين والصابئين واليهود، فنشر الجهم عقيدة نفي الصفات؛ فنسبت إليه العقيدة فقيل: عقيدة الجهمية.

إثبات صفة النزول والمجيء

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل. لا نقول: ينزل كنزول المخلوقين، أو مثل كذا وكذا، أو على كيفية كذا وكذا. بل يثبتون ما أثبته رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينتهون فيه إليه، ويقفون عند هذا الحد، فلا يكيفون، بل يمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره من غير تكييف ولا تمثيل، ويكلون علم الكيفية إلى الله تعالى.

وكذلك يثبتون ما أثبت الله عز اسمه في كتابه: من المجيء والإتيان المذكورينْ في قوله جَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠] وقوله عز اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

[وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الله جَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف. فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه، إذ كنا قد أمرنا به في قوله جَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ

إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ [آل عِمرَان: ٧]).

الشَّرح

هذا الكلام فيه بيان اعتقاد أهل السنة وأهل الحديث بنزول الرب ﷻ ومجيئه، فأهل السنة وأهل الحديث يؤمنون بنزول الرب، وأنه ﷻ ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، وقد تواترت أحاديث النزول في الصحاح والسنن والمسانيد، وأن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر[(١)].

وقد ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث بأسانيد متعددة.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى ينزل بلا كيف، نزولاً يليق بجلاله ﷻ، ولا نعلم كيف ينزل، ونعلم يقيناً أنه فوق العرش ﷻ، **بنصوص العلو المحكمة، وهي تزيد على ثلاثة آلاف دليل**، كلها تدل على أن الله تعالى فوق المخلوقات.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

▪ مسألة: **هل يخلو العرش منه أو لا يخلو؟**

ذكر العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)] أن للعلماء فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يخلو منه العرش.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد (١١٤٥)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين (٧٥٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ١٣١) وما بعدها، ورسالة شرح حديث النزول، وهي في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢١).

القول الثاني: أنه لا يخلو.

القول الثالث: التوقف.

وأصحها: القول بأنه لا يخلو منه العرش ﷻ، وهذا هو الذي عليه المحققون، أي: أنه سبحانه ينزل وهو فوق العرش نزولاً يليق بجلاله وعظمته؛ لأن نزوله سبحانه لا يشبه نزول المخلوقين. **وكذلك يؤمنون بمجيئه ﷻ وإتيانه،** كما يليق بجلاله وعظمته، كما قاله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فيأتي إتياناً يليق بجلاله وعظمته.

ولا نكيف صفات الرب ﷻ؛ لأنها ليست كصفات خلقه، فهو يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وينزل لا كنزولنا، ويأتي لا كإتياننا، ويجيء لا كمجيئنا، فله صفات تليق بجلاله وعظمته، والمخلوق له صفات تناسبه. هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، والسلف وأهل الحديث، كما بيَّن المصنف رحمه الله.

وفي قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]): إثبات إتيان الله يوم القيامة إتياناً يليق بجلاله وعظمته، وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، فيه: أيضاً إثبات المجيء.

وذكر المصنف رحمه الله كما سبق أنه قرأ في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان: أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول ﷺ ثم ذكر الآية.

۞ وجوب الإيمان بالنصوص الشرعية ورد المتشابه منها إلى المحكم:

❍ قوله: **(ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف. فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل)** لكنه سبحانه لم يبين لنا كيفية ذلك، فننتهي إلى ما انتهى إليه النص، ونقف عنده ولا نتجاوزه إلى البحث عن الكيفية.

ولهذا قال المصنف: (فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه؛ إذ كنا قد أمرنا به في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عِمرَان: ٧]).

فبيّن ﷻ أنه أنزل الكتاب وأن منه آيات محكمات وأخر متشابهات، **والمحكم هو**: الواضح المعنى، **والمتشابه هو**: الذي فيه إشكال عند بعض الناس، **وهو نسبي** يختلف باختلاف أفهام الناس.

فالذين في قلوبهم زيغ وانحراف علامتهم: أنهم يتبعون المتشابه ويتركون المحكم. **وأما الراسخون في العلم**: فإنهم يعملون بالمحكم، ويؤمنون بالمتشابه، ويردون المتشابه إلى المحكم، فيفسرون المتشابه به، ولهذا جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»[(١)]، يعني: سماهم في هذه الآية.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٥٤٧)، صحيح مسلم، كتاب العلم (٢٦٦٥).

فعلامة أهل الزيغ أنهم: يأخذون بالمتشابه، ويتركون المحكم؛ فيأتون للنص الذي فيه اشتباه ويلّبسون به على الناس، ويتركون النصوص الكثيرة المحكمة. **فمثلاً** نصوص الفوقية والعلو تزيد أفرادها على ثلاثة آلاف دليل:

- كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعَام: ١٨].

- وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

- وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١].

- وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦].

- وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعرَاف: ٥٤]، في سبع آيات من القرآن.

- وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، والصعود هو: من أسفل إلى أعلى.

- وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعَارج: ٤]، وقول النبي ﷺ للجارية: «**أين الله؟» قالت: في السماء**[1]، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة المحكمة. فأهل الزيغ يتركون هذه النصوص كلها، ويتعلقون بالمتشابه. فيقول الجهمي مثلاً: إن الله في كل مكان، وليس فوق العرش لقول الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزّخرُف: ٨٤]. فنقول له: أنت من أهل الزيغ، تركت ثلاثة آلاف دليل واضح صريح وتأتي بنص مشتبه، تعلقت به وتركت المحكم، فهذه علامة أهل البدع.

أما أهل الحق الراسخون في العلم فيفسرون النص المتشابه

(١) سبق تخريجه.

بالنصوص المحكمة. **فيقولون للجهمي**: إن النصوص التي فيها أن الله فوق العرش وفوق المخلوقات محكمة واضحة لا لبس فيها، وأما هذا النص فإنا نرده إلى النصوص الأخرى، ونفسره بما يتناسب معها، فيكون معنى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، يعني: وهو المعبود في السماء وفي الأرض، وذاته فوق العرش.

هذه طريقة أهل الحق الراسخين في العلم، يعملون بالمحكم ويردون المتشابه إليه، ويفسرونه به، أما أهل الزيغ فيتركون النصوص المحكمة ويأخذون المتشابهة.

فمثلاً: النصوص التي فيها أن المرأة يجب عليها أن تتحجب عن الرجال الأجانب، نصوص محكمة، كثيرة واضحة، منها قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، أي: حجاب ساتر للمرأة، فيكون بينك وبينها باب أو جدار أو غطاء على وجهها.

ومن تلك النصوص:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وحديث عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا، أَسْدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ**»[1].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٤٠٢١)، سنن أبي داود، كتاب المناسك (١٨٣٣)، سنن ابن ماجه، كتاب المناسك (٢٩٣٥)، وغيرهم.

وثبت في الصحيحين في قصة الإفك أن عائشة ﵂ ـ لما ذهب الجيش وتركوها وظنوا أنها في الهودج ـ جلست في مكانها لعلهم يرجعون إليها، فجاءها صفوان بن المعطل، وكان متأخراً خلف القوم، فرآها وكان قد عرفها قبل الحجاب، فجعل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، أهل رسول الله! وكانت قد غلبتها عيناها، قالت: «**وكان يعرفني قبل الحجاب فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي**»[(١)]. وقولها: «**فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي**» **فيه**: دليل على وجوب الحجاب.

وقولها: «**وكان يعرفني قبل الحجاب**»، **فيه**: دليل على أن المرأة قبل الحجاب كانت تكشف وجهها. فهذه الأدلة المحكمة الدالة على فرضية الحجاب يتركها أهل الزيغ ويقولون: المرأة لا يجب عليها ستر وجهها، ويستدلون بحديث عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: «**كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ**»[(٢)]، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ. **فقالوا**: هذا دليل على أنها كاشفة الوجه؛ لأنه ينظر إليها وتنظر إليه. **فنقول لهم**: أنتم تركتم النصوص المحكمة وتعلقتم بهذا النص المتشابه؟ فأنتم من أهل الزيغ؛ فإن هذا الحديث فيه اشتباه فيُرد إلى النصوص المحكمة. فلا يلزم من قوله: «**يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ**» أن تكون هذه المرأة كاشفة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات (٢٦٦١)، صحيح مسلم، كتاب التوبة (٢٧٧٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج (١٥١٣)، صحيح مسلم، كتاب الحج (١٣٣٤).

وجهها، ويكون المعنى: أنه ينظر إلى طولها أو قَدمها أو ثيابها، بدليل النصوص الأخرى التي فيها الأمر بوجوب ستر الوجه وتغطيته.

فهذا مثال لطريقة أهل الزيغ، وطريقة أهل الحق.



النهي عن السؤال عن كيفية النزول

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول سمعت أحمد السلمي وأبا داود الخفاف يقولان: سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبدالله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»[1]، كيف ينزل؟ قال: قلتُ: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف؟ إنما ينزل بلا كيف).

الشَّرح

هذا الأثر ثابت عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وهو المعروف بإسحاق بن راهويه، الإمام المحدث المشهور، وهو من قرناء الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، قال له الأمير عبدالله بن طاهر في زمانه: **(يا أبا يعقوب ـ وهذه كنيته ـ هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا» كيف ينزل؟)** فقال له إسحاق بن راهويه: **(أعز الله الأمير)** قال هذا تأدباً مع الأمير، **وفيه** استحباب مخاطبة ولاة الأمور بما يليق بهم ـ **(لا يقال لأمر الرب كيف! إنما ينزل بلا كيف)** هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

وفي الحديث النهي: أن يقال: كيف ينزل؛ إذ أنها لا تكيّف صفات الله.

---

(١) سبق تخريجه.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل حدثنا محبوب بن عبدالرحمن القاضي حدثني أبو بكر بن أحمد بن محبوب حدثنا أحمد بن حمويه حدثنا أبو عبدالرحمن العتكي حدثنا محمد بن سلام سألت عبدالله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبدالله: يا ضعيف في كل ليلة ينزل.

فقال له الرجل: يا أبا عبدالله كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبدالله: ينزل كيف يشاء(١)، وفي رواية أخرى لهذه الحكاية: أن عبدالله بن المبارك قال للرجل: إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له).



الشَّرْحُ

وفي نسخة أخرى: [أن عبدالله بن المبارك قال للرجل: إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فأصغ له] يعني: فاعمل به ولا تتجاوزه.

❁ ❁ ❁

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٣٧٨) من طريق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبدالله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم ـ يعني: ابن راهويه ـ فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قواد عبدالله: يا أبا يعقوب! أتزعم أن الله تعالى ينزل كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال الرجل: أثبَتُّه فوق، فقال إسحاق: قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]، فقال الأمير عبدالله: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة. فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟)



هذا فيه: دليل على أنه يجب على المسلم أن يثبت الصفات لله ﷻ وينفي علم الكيفية، فيقول: ينزل كما يشاء، ويجيء كما يشاء، ويأتي كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشّورىٰ: ١١].

❁ ❁ ❁



ذكر خبر النزول المتواتر

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا خبر متفق على صحته، مخرج في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد حدثنا أبو مصعب حدثنا مالك. (ح) حدثنا أبو بكر بن زكريا حدثنا أبو حاتم علي بن عبيدان ـ حدثنا محمد بن يحيى قال: ومما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ (ح) وحدثنا أبو بكر بن زكريا أنبأنا أبو القاسم عبدالله بن إبراهيم ابن باكويه، حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري عن أبي عبدالله الأغر وأبي سلمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[١]).

الشَّرْحُ

هذا الحديث هو من الأحاديث المتواترة وهو في الصحاح والسنن والمسانيد، وفيه إثبات نزول الرب في ثلث الليل الآخر وهو أفضل الأوقات.

---

(١) سبق تخريجه.

۞ الجمع بين أفضل وقت لصلاة الليل ووقت النزول الإلهي:

وجاء في الحديث الآخر: أن النبي ﷺ قال: «**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ**»[(١)] فيكون قيامه في السدس الرابع والخامس، وكان النبي ﷺ أحياناً يفعل مثلما يفعل داود عليه السلام وأحياناً يقوم ثلث الليل كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: «**من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ، من أول الليل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر**». وفي هذا الحديث: أن النبي ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**» وهو السدس الخامس والسادس.

وعلى هذا: فيكون النصف الأخير من الليل كله فاضلاً، وهو السدس الرابع والخامس والسادس؛ **فالسدس الرابع والخامس** فيه: قيام داود، **والسدس الخامس والسادس**: ثلث الليل العام.

وكان النبي ﷺ يفعل هذا وهذا، بل كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى العشاء أوى إلى فراشه، فإذا انتصف الليل أو قبله بقليل قام. **أما نحن** فلا ننام إلا إذا جاء ثلث الليل الأخير، نسهر طوال الليل فإذا جاء الوقت الفاضل وقت النزول الإلهي نمنا، فنشكو إلى الله سوء حالنا.



(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠)، صحيح مسلم، كتاب الصيام (١١٥٩).

ذكر طرق خبر النزول

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ولهذا الحديث طرق إلى أبي هريرة: رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ، (ح) ورواه يزيد بن هارون وغيره من الأئمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. ومالك عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة.

ومالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

وعبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة.

وعبدالأعلى بن أبي المساور وبشير بن سليمان عن أبي حازم عن أبي هريرة.

وروي هذا الخبر من غير طريق أبي هريرة، فقد رواه نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه عن موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت. وعبدالرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبدالله. وعبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب. وشريك عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود. ومحمد بن كعب عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء. وأبو الزبير عن جابر، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، [كلهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ:

مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ). فبذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله]، وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير المعروف «بالانتصار).



الحاصل: أن حديث النزول له طرق متعددة، فقد روي عن أُبيّ، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وجابر، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وجمع من الصحابة ﵃، وهو من الأحاديث المتواترة.

❁ ❁ ❁

ذكر الزيادات المختلفة في خبر النزول

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وفي رواية الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: «إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح»[1]).



أكثر الروايات فيها: «**ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر**».

وفي هذه الرواية: «**إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه**».

وجاء في رواية: «**إذا مضى ثلث الليل**»[2].



(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (٧٧٩٢)، سنن الدارمي (٢/ ٩٣١)، مسند البزار (٤٧٨)، التوحيد لابن خزيمة (ص٣٠٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٤٩)، الدعاء للطبراني (ص٦٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وفي رواية سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة زيادة في آخره وهي: «ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ»[١]).

الشَّرْح

هذه الرواية أخرجها مسلم، وقد جاءت من طريقين[٢]:

الأولى: «ثم يَقُولُ مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ».

الثانية: «ثم يبسط يديه ـ تبارك وتعالى ـ يَقُولُ مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ». وهذا يدل على أن هذا الوقت فاضل وعظيم، إذ هو وقت تَنَزُّلِ الله في آخر الليل، وأنه يبسط يده ويقول: **(مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ)**، ويقول: من يسألني؟ من يستغفرني؟ من يدعوني؟ فينبغي للمسلم أن يكون له في هذا الوقت ولو ركعات معدودة يناجي فيها ربه.



(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨).

(٢) انظر: هذا الحديث عند مسلم فإنه قد جمع رواياته كلها في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ فلا يبقى شيء فيه الروح إلا علم به إلا الثقلين الجن والإنس، قال: وذلك حين تصيح الديوك، وتنهق الحمير، وتنبح الكلاب»).



إن الزيادة التي في الحديث: (**«فلا يبقى شيء فيه الروح إلا علم به إلا الثقلين الجن والإنس، قال: وذلك حين تصيح الديوك، وتنهق الحمير، وتنبح الكلاب»**)، زيادةٌ يُحتاج إلى معرفة ثبوتها؛ فإنها غير معروفة في الأحاديث الصحيحة، وجاء في نسخة بدل **(تصيح الديوك)**: **(تصيح الديكة)**.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

([وفي رواية موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت زيادات حسنة وهي التي أخبرنا بها أبو يعلى حمزة بن عبدالعزيز المهلبي أنبأنا عبدالله بن محمد الرازي أنبأنا أبو عثمان محمد بن عثمان بن أبي سويد حدثنا عبدالرحمن - يعني: ابن المبارك - حدثنا فضيل بن سلمان عن موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألا مقتر عليه رزقه فيدعوني فأرزقه؟ ألا مظلوم يذكرني فأنصره؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأفكه؟ فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح ويعلو على كرسيه»]).

الشَّرْحُ

وأول الحديث إلى قوله: («**فأغفر له**») أخرجه الإمام أحمد في المسند[(١)]، و الدارمي في السنن[(٢)]، والآجري في الشريعة[(٣)]، و ابن أبي عاصم في السنة[(٤)]، كلهم عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه

(١) مسند الإمام احمد (١٦٧٤٥).

(٢) سنن الدارمي (٢/ ٩٢٩) رقم (١٥٢١).

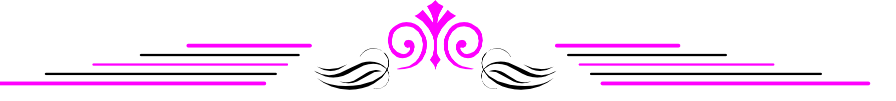
(٣) الشريعة للآجري (٣/ ١١٤٢) رقم (٧١٥).

(٤) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٠) رقم (٥٠٣).

بدون لفظ: «**في ثلث الليل الأخير**».

وفي الحديث زيادات فيها ضعف، أما نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا ثابت في الصحاح والسنن والمسانيد.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

([وفي رواية أبي الزبير عن جابر، من طريق مرزوق أبي بكر الذي خرجه محمد بن إسحاق بن خزيمة مختصراً.

ومن طريق أيوب عن أبي الزبير عن جابر، الذي خرجه الحسن بن سفيان في مسنده.

ومن طريق هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إن عشية عرفة ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، ويقول: انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم ير يوماً أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة»[(١)]).



هذا الحديث فيه: نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عشية عرفة، وإن كان في بعضه ضعف، لكن قد يتقوى بشواهده.



(١) انظر: صحيح ابن خزيمة (٢٨٤٠)، وصحيح ابن حبان (٣٨٥٣)، ومسند أبي يعلى (٢٠٩٠)، الرد على الجهمية للدارمي، رقم (١٣٧)، والإبانة الكبرى بن بطة، رقم (١٧٧-١٧٨)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، رقم (٧٥١) و(٧٦٨)، وشرح السنة للبغوي (٧/ ١٥٩) (١٩٣١).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

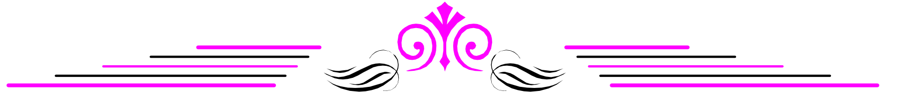
(وروى هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني حدث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مضى ثلث الليل، أو شطر الليل، أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من يستغفرني فأغفر له؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح»).



الشرح

هذا نزول يليق بجلاله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والحديث صحيحٌ ثابتٌ.

❀ ❀ ❀



قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(أخبرنا أبو محمد المخلدي أخبرنا أبو العباس السراج قال حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله ﷺ، وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبي ﷺ يقول: «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى تطلع الشمس»[(١)]).

الشَّرْحُ

○ قوله: **(حتى تطلع الشمس)** هذه اللفظة شاذة لا تصح، والصواب الثابت: (حتى ينفجر الفجر) كما سيأتي. والمصنف رَحِمَهُ اللهُ روى هذا الحديث وذكر له طرقاً كثيرة؛ ليبين ما يلي:

١ـ أن حديث النزول ثابت.

٢ـ أن الحديث قد بلغ حد التواتر.

٣ـ أن النزول صفة من صفات الرب، التي تليق بجلاله وعظمته.

٤ـ أن أهل السنة والجماعة يثبتون النزول بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، خلافاً لأهل البدع، فإنهم يقولون: إن

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨)، بلفظ: «حتى ينفجر الفجر».

معنى: «**ينزل كل ليلة إلى السماء**» ينزل أمره، وبعضهم يقول: ينزل ملك، **فاستوحشوا من إثبات النزول للرب، وقالوا: لا يمكن أن ينزل الرب بذاته.**

الجواب على منكري صفة النزول:

- **إذا قال لك الجهمي**: أنا أكفر برب ينزل من مكانه، **فقل**: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

فأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة استوحشوا من إثبات النزول وأنكروه.

- **وإذا قال المؤول**: إن معنى: «**ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا**»، ينزل أمره. **فقل**: إن أمر الله ينزل في كل وقت، كما قال سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السَّجدَة: ٥]، أما نزوله سبحانه في ثلث الليل الآخر، فهو مخصوص بهذا الوقت المعين بخلاف نزول الأمر.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو محمد المخلدي أنبأنا أبو العباس الثقفي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شبابة بن سوار عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي سعيد و أبي هريرة أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأول هبط إلى هذه السماء، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت، فقال: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مضطر أكشف عنه ضره؟ هل من مستغيث أغيثه؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا»[(١)]).



هذا الحديث فيه: إثبات النزول للرب في كل ليلة حين يبقى ثلث اللَّيل الآخر، في أي مكان من الأرض سواء أكان في الشرق أو الغرب، فهذا وقت فاضل لا ينبغي للمسلم التفريط فيه.



(١) رواه الدارقطني في كتاب النزول، بلفظه رقم (٥٥)، وورواه الإمام أحمد في المسند (١١٨٩٢)، والطبراني في الدعاء (١٤١)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٦٤) (٩٤٧)، من غير لفظ: «ثم أمر بأبواب السماء ففتحت».



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو محمد المخلدي أنبأنا أبو العباس ـ يعني: الثقفي ـ حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن سهل قالا: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سهيل عن أبي إسحاق عن الأغر أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فقال: ألا هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟ ألا هل من تائب يتاب عليه»[(١)].

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حمشاد قال حدثنا أبو إسماعيل بن أبي الظمأ ببغداد حدثنا أبو منصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: أنا الملك أنا الملك ثلاثاً من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»[(٢)]).

الشَّرح

المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كرر وعدد الطرق والأسانيد ليبين أن هذا الحديث ثابت، وأن له طرقاً متعددة، وأنه بلغ حد التواتر، وأن النزول ثابت للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ثلث الليل الأخير.

(١) السنن الكبرى للنسائي (٩/ ١٨٠)، الشريعة للآجري (٣/ ١١٣٥) (٧٠٦)، الدعاء للطبراني (١٤٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨).

قول الإمام أبي حنيفة في حديث النزول

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سمعت الأستاذ أبا منصور على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول: سئل أبو حنيفة عنه فقال: ينزل بلا كيف. وقال بعضهم: ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بالتجلي والتملي، لأنه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق، فمجيؤه وإتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيف).

الشَّرْح

أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ هو أحد الأئمة الأربعة، وهو من أئمة أهل السنة والجماعة، سئل عن هذا الحديث، فقال: ينزل بلا كيف، **وهذا قول أهل السنة قاطبة**، فلا يكيف نزوله سبحانه على كيفية معينة، بل الله أعلم كيف ينزل، **ولذا يقول الإمام أبو حنيفة:** الله جَلَّ جَلَالُهُ منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما أنه منزه أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق. فالله تعالى له ذات لا تشبه ذوات المخلوقين، وكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين، ولهذا قال الإمام أبو حنيفة: **(فمجيئه وإتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيف)** أي: من غير تشبيه بصفات المخلوقين لا نقول كيفية المجيء

كذا ولا كيفية النزول كذا، ولا كيفية الإتيان كذا، **بل نقول**: صفات الله سبحانه تليق بجلاله ولا نكيف، ولا نمثل.



قول الإمام ابن خزيمة في حديث النزول

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد[١] الذي صنفه، وسمعته من حفيده أبي طاهر رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة، من غير صفة كيفية النزول مع إثبات النزول، فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه، متيقن بما فيها هذه الأخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا محمداً ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله عَزَّ وَجَلَّ ولّى نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن مصدقون بما في هذه الأخبار من ذلك النزول غير متكلفين للنزول بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول).

الشَّرح

هذا الكلام قاله الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ الذي يلقب بإمام الأئمة، وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ـ في كتابه الذي سماه بـ(كتاب التوحيد).

○ قوله: **(وسمعت من حفيده)** الحفيد هو: ابن الابن. وقول الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد: **(باب ذكر أخبار ثابتة السند**

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص٢٨٩-٢٩٠).

رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول، مع إثبات النزول).

هو قول أهل السنة قاطبة ـ إثبات النزول من غير إثبات كيفية معلومة لدينا ـ لهذا قال: **(من غير صفة كيفية النزول مع إثبات النزول)** ثم قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة: **(فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه، مستيقن بما فيها من الأخبار من ذكر النزول)** يعني: نقر ونوقن ونشهد أن الله تعالى ينزل.

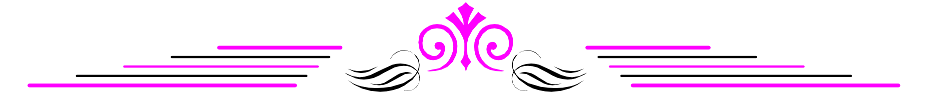
❍ وقوله: **(من غير أن نصف الكيفية)** أي: لا نقول كيفية النزول كذا أو كذا.

❍ وقوله: **(لأن نبينا ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل)** أي: لم يخبرنا النبي ﷺ عن الكيفية، فنحن نثبت النزول ولا نتعرض للكيفية.

❍ وقوله: **(والله ﷻ ولّى نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم)** قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: ٤٤]، فالله تعالى ولى نبيه أن يبين ما يحتاجه المسلمون فلو كانت هناك حاجة لبيان كيفية النزول لأعلمنا الله بها على لسان نبيه ﷺ، لكن ليست هناك حاجة لمعرفتها.

❍ وقوله: **(فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين بالنزول بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف كيفية النزول)** هذه هي طريقة أهل السنة والجماعة: يثبتون النزول وينفون الكيفية.





ذكر خبر نزول الرب يوم عرفة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

([قال أبو عثمان] أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو محمد الصيدلاني قال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن صالح المصري حدثنا ابن وهب أنبأنا مخرمة بن بكير عن أبيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (ح) وأخبرنا الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا محمد بن يعقوب الأصم ـ واللفظ له ـ حدثنا إبراهيم بن منقذ حدثنا ابن وهب عن مخرمة ابن بكير عن أبيه قال: سمعت محمد بن المنكدر يزعم أنه سمع أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوجة النبي ﷺ تقول: نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا، قالوا: وأي يوم ذلك؟ قالت: يوم عرفة).

الشَّرْح

هذا الحديث حسن، أخرجه الدارقطني في كتابه (النزول)[١] بهذا اللفظ من طريقين، وفيه إثبات نزول الرب، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة نزولاً يليق بجلاله وعظمته، كما ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر. وعند نزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عشية عرفة يباهي بأهل الموقف أهل السماء، فيقول سبحانه: يا ملائكتي! انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم.

(١) كتاب النزول للدارقطني (٩٥-٩٦)، وأخرجه أيضا اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٦٨).

ذكر خبر نزول الرب ليلة النصف من شعبان

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(وروت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ينزل الله تعالى في النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ليلاً إلى آخر النهار من الغد، فيعتق من النار بعدد شعر معز كلب [وفي اللفظ الآخر: بعدد غنم بني كلب] ويكتب الحاج، وينزل أرزاق السنة، ولا يترك أحداً إلا غفر له، إلا مشركاً أو قاطع رحم أو عاقاً أو مشاحناً»[١]).

الشَّرْح

معروف عند العلماء أن الأحاديث في نزول الله تعالى في النصف من شعبان أحاديث ضعيفة وهذا الحديث فيه ضعف، لكن أتى به المصنف رَحِمَهُ اللهُ؛ ليبين ويؤكد نزول الرب.

فالمعروف عند أهل العلم أن الحديث الذي يخصص ليلة النصف من شعبان حديث ضعيف.

فليلة النصف من شعبان كغيرها من الليالي لا تخصص بعبادة، وكونه جاء في بعض الأحاديث أنها ليلة القدر فتلك أحاديث ضعيفة

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٦٠١٨)، سنن الترمذي، أبواب الصوم (٧٣٩)، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٩)،المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢/ ٣٧٣) (١٥٠٧)، شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٣٥٦)، شرح السنة للبغوي (٤/ ١٢٦) الإبانة الكبرى لابن بطة (١٧٦)، النزول للدارقطني (٨٩)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٦٤).

لا تصح، ومعلوم أن ليلة القدر إنما هي في رمضان وليست في شعبان.

وليلة النصف من شعبان ليس لها خصوصية، وكذلك يوم النصف من شعبان، فلا يخصان بصيام أو قيام، بل الإنسان يفعل ما يفعله كل يوم؛ فإن كان يصلي في كل ليلة يصلي في ليلة النصف من شعبان، وإذا كان يصوم الأيام البيض يصومها من شعبان ومن غيره، ولا يخص يوم النصف من شعبان بصيام ولا تخص ليلة النصف من شعبان بقيام، **هذا هو الصواب الذي عليه المحققون.**



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الإمام حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا إسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي (ح) قال الإمام وحدثنا الزعفراني حدثنا عبدالله بن بكر السهمي حدثنا هشام الدستوائي وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد ـ يعني: ابن هارون ـ أخبرنا الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبدالله بن ميمون بالإسكندرية حدثنا الوليد عن الأوزاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني).



وفي الإسناد الذي بعد هذا عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار. **فسقط من هذا الإسناد**: هلال بن أبي ميمونة، وهو مثبت في كتاب التوحيد لابن خزيمة[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص٣١١).

ذكر خبر النزول من طريق رفاعة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

((ح) قال الإمام: وحدثنا أبو هاشم زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي عن الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال: صدرنا مع رسول الله ﷺ من مكة، فجعلوا يستأذنون النبي ﷺ فجعل يأذن لهم، فقال النبي ﷺ: «ما بال شق الشجرة الذي يلي النبي ﷺ أبغض إليكم من الآخر! فلا يرى من القوم إلا باكياً، قال: يقول أبو بكر الصديق: إن الذي يستأذنك بعدها لسفيه»).

الشَّرْح

○ قوله: **(صدرنا مع النبي ﷺ)** يعني: رجعنا، والصَّدَر، هو: رجوع المسافر من مقصده، وهو نقيض الورود.

○ قوله: **(فجعلوا يستأذنون النبي ﷺ فجعل يأذن لهم، فقال النبي ﷺ: «ما بال شق الشجرة الذي يلي النبي ﷺ أبغض إليكم من الآخر»** هذا فيه إنكار عليهم بالاستئذان، ومعنى: **«مَا بَالُ شِقِّ الشَّجَرَةِ الَّذِي يَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْغَضُ إِلَيْكُمْ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ؟»** قال هذا؛ لأنهم يستأذنون من الجهة التي تلي النبي ﷺ.

○ قوله: **(فلا يرى من القوم إلا باكياً)** أي: أنهم بكوا؛ لأنهم شعروا بموعظة النبي ﷺ، ومعنى: **(قال: يقول أبو بكر الصديق** رضي الله عنه: **إن الذي يستأذنك بعدها لسفيه)** أي: بعد هذه المقالة.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا حَلَفَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبَوَّءُوا، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذُرِّيَّاتِكُمْ مَسَاكِنَكُمْ فِي الْجَنَّةِ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ»، أَوْ قَالَ: «ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي: مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُو فَأُجِيبَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ» هَذَا لَفْظُ حَدِيثِ الْوَلِيدِ).

الشَّرْحُ

هذا الحديث ثابت، **وفيه**: إشارة للمؤمن الذي سدد أنه من أهل الجنة، ولهذا قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ» يعني: أن من سلك مسلك السداد، واجتهد في مقاربته، واجتهد في فعل الأوامر وترك النواهي، وقبل هذا آمن بالله واليوم الآخر ومات على الإيمان فهو من أهل الجنة والكرامة إن شاء الله عاجلاً أو آجلاً، هذا إن مات على توحيد خالص لم يُصر فيه على كبيرة فإنه يدخل الجنة فضلاً من الله تعالى وإحساناً، وإن مات على

توحيد ملطخ بالمعاصي والكبائر، فهو على خطر، وهو تحت مشيئة الله، قد يعفو عنه وقد يعذبه في قبره، وقد تصيبه شدائد في موقف القيامة تكفر عنه، وقد يعذبه في النار وقد لا يعذبه، وإن عذب في النار فإنه لن يخلد فيها؛ لأنه مات على التوحيد، فمآله إلى الجنة. ويخرج من النار بشفاعة الشافعين أو برحمة أرحم الراحمين. ولهذا قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي ﷻ أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، وثبت أيضاً في حديث آخر: أن الله تعالى أعطى نبيه ﷺ مع كل ألف سبعين ألفاً[1]. ثم قال النبي ﷺ: «**وإني لأرجو أن لا تدخلوها حتى تتبوءوا ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكنكم في الجنة**»، ثم قال ﷺ: «**إذا مضى شطر الليل**» ـ أو قال ـ: «**ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا**» وهذا هو الشاهد: أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا إذا بقي ثلث الليل الآخر فيقول الرب سبحانه: «**من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يدعوني فأجيبه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينفجر الصبح**»، ففيه إثبات أن الله تعالى ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته، فيثبت المؤمن ذلك ولا يكيف، فيؤمن بأنه ﷻ ينزل كما يشاء نزولاً يليق بجلاله وعظمته.



(١) انظر: مسند الإمام أحمد (٢٢٣٠٣)، وسنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٧)، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد (٤٢٨٦)، عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ قال: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ**».

قول أهل السنة في خبر النزول

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قال شيخ الإسلام: قلت: فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه، [ولم يبحثوا عن كيفيته؛ إذ لا سبيل إليها بحال] وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق؛ كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً، ولعنهم لعناً كبيراً).

الشَّرْح

○ قوله: **(قال شيخ الإسلام)** المقصود المصنف الإمام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

○ قوله: **(قلت: فلما صح خبر النزول عن رسول الله ﷺ أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه)** هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، فإنه لما صح خبر نزول الرب، وهو ثابت بل متواتر أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا أن الله ينزل على ما يليق بجلاله وعظمته.

○ قوله: **(إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه**

ذوات الخلق): هكذا يعتقد أهل السنة والجماعة، فيثبتون صفات الله كما يليق بجلاله وعظمته، وينفون عنها مماثلة صفات المخلوقين، كما أنهم يثبتون ذاته سبحانه وينفون مماثلتها لذوات المخلوقين تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً.





إثبات صفة المجيء

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقرأت لأبي عبدالله بن أبي حفص البخاري، وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافع، وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، قال أبو عبدالله ـ أعني ابن أبي حفص هذا سمعت عبدالله بن عثمان، وهو عبدان شيخ مرو ـ يقول: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة: قلنا لهؤلاء: أرأيتم قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فهل يجيء ربنا كما قال، وهل يجيء الملك صفاً صفاً، قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى لذلك، ولا ندري كيف جيئته. وقلنا لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيت من أنكر أن الملك يجيء صفاً صفاً، ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب، قلنا: فكذلك من أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب.

قال أبو عبدالله بن أبي حفص البخاري أيضاً في كتابه: ذكر إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا قال لك الجهمي: أنا لا أؤمن برب يزول عن مكانه. فقل أنت: أنا أؤمن

برب يفعل ما يشاء.

الشَّرْح

هذه القصة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ عن أبي حفص ـ وهو من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة ـ أنه سمع محمد بن الحسن يقول قال حماد بن أبي حنيفة: (قلنا لهؤلاء ـ يعني المعطلة الذين ينفون صفات الله: **(أرأيتم قول الله عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢])، يعني هل تؤمنون بهذا، فقالوا: **(أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب فإنا لا ندري ما عنى بذلك)** أي: نثبت أن الملائكة يصفون، ويجيئون، ولا نثبت أن الله يجيء.

○ قوله: فقلت: لهم: **(إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه)** أي: أنتم لستم مكلفين بمعرفة الكيفية وإنما مكلفون بالإيمان بمجيئه بلا تكييف. ثم قال لهم من باب الإلزام: **(أرأيتم من أنكر أن الملك لا يجيء صفاً صفاً، ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب، قلنا: فكذلك من أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب)**؛ لأن الله أثبت في آية واحدة مجيئه ومجيء الملائكة فقال سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾، فإذا كان الذي ينكر مجيء الملائكة كافر مكذب، فكذلك الذي ينكر مجيء الله كافر مكذب. ثم ذكر أبو عبدالله بن أبي حفص أيضاً هذه القصة عن الفضيل بن عياض أنه يقول: **(إذا قال لك الجهمي: أنا لا أؤمن برب يزول عن مكانه فقل له أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء)** هذا من باب الإلزام. فالجهمي ينكر نزول الرب سبحانه، فيقول: أنا لا أؤمن برب يزول عن مكانه، وأنت رد عليه بقولك: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(روى يزيد بن هارون في مجلسه حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله في الرؤية وقول رسول الله ﷺ: «إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر»(١)، فقال له رجل في مجلسه: يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وحرد، وقال: ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثلما فُعِل به، ويحك! ومن يدري كيف هذا؟ ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث، أو يتكلم فيه بشيءٍ من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه واستخف بدينه؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه؛ فإنكم إن اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم).

الشَّرْحُ

أراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من ذكر هذا الحديث ومن قول أبي خالد يزيد بن هارون: أن يبين موقف السلف من هذه الأخبار الواردة في صفات الله ﷻ، وأن موقفهم القبول والتسليم وعدم الاعتراض، بل يسلمون لله ولرسوله ﷺ، ولهذا ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عن يزيد بن

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٧١)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣١٠)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (١٣).

هارون أنه روى في مجلسه حديث رؤية الله يوم القيامة، وهو قول النبي ﷺ: «**إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر**» وفي لفظ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر**»، في حديث جرير بن عبدالله البجلي الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما[1]: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُّونَ ـ أَوْ لَا تُضَاهُونَ ـ فِي رُؤْيَتِهِ**»، وفي رواية أبي هريرة: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»[2]، وفي رواية أبي سعيد الخدري: أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**» قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»[3]، وفي لفظ: «**لا تضامون) يعني: لا يصيبكم ضيم ولا ضرر.**

وهذا الحديث مع الأحاديث التي فيها إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من الأحاديث المتواترة.

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٤)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٨٠٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٥٨١)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٣).

والرؤية أيضاً ثابتة في القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ومعنى ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ في الآية الأولى: من النضرة وهي: البهاء والحسن، وأما ﴿نَاظِرَةٌ﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، فهو من النظر بالعين، فلما ذكر الوجه والعين دل على أن المراد الرؤية بالعين التي في الرأس إلى الرب جل جلاله، وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، جاء في تفسير ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: بأنها النظر إلى وجه الله الكريم. وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، جاء في تفسير المزيد: بأنه النظر إلى وجه الله الكريم. وقال سبحانه عن الكفرة: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، فلما أن حجب هؤلاء في السخط دل على أن المؤمنين يرونه في الرضا، ولو كان المؤمنون لا يرون ربهم لتساووا هم وأعداؤهم في الحجب عن رؤيته. كما قال الإمام الشافعي رحمه الله[١].

۞ تواتر النصوص في الرؤية وتسليم أهل السنة بها:

إن رؤية المؤمنين لربهم عز وجل ثابتة في القرآن العزيز وفي السنة المطهرة، والنصوص التي في إثبات الرؤية من السنة متواترة. قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (حادي الأرواح) بعد أن ساق هذه الأحاديث: رواها نحو ثلاثين صحابياً في الصحاح والسنن والمسانيد، فرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة في القرآن العظيم وبالنصوص المتواترة في السنة المطهرة[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥١).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية (ص ٢٨٣).

وإثبات رؤية المؤمنين لربهم من العلامات الفارقة بين أهل السنة وبين المبتدعة فأنكرت الرؤية:

الجهمية والمعتزلة، وفسروها بالعلم.

واما الأشاعرة فأثبتوا الرؤية لكن في غير جهة، **فقالوا**: إنه يرى، لكن لا في جهة، **فيقال لهم**: كيف يرى؟ إن كان المؤمنون لن يروه لا من فوق؟ ولا من تحت؟ ولا من أمام؟ ولا من خلف؟ ولا عن يمين؟ ولا عن شمال؟ فأين يرى؟ فسخر منهم كثير من العقلاء وقالوا: إن هذا غير متصور، فإن الرؤية لا بد أن تكون بجهة من الرائي، أي: أن المرئي لابد أن يكون بجهة من الرائي، فلا بد أن يكون مبايناً له مواجهاً له، فإثبات الرؤية من دون إثبات جهة غير متصور وغير معقول، وهذا يدل على تذبذب الأشاعرة، أي: كونهم بين أهل السنة وبين المعتزلة، فأرادوا أن يكونوا مع المعتزلة في إنكار الجهة وأن يكونوا مع أهل السنة في الرؤية، فعجزوا عن ذلك فلجؤوا إلى حجج سفسطائية ـ وهي الحجج المموهة، أي: التي ترى كأنها حجة وليست بحجة ـ ورؤية المؤمنين لربهم ﷻ ثابتة بالنصوص من الكتاب والسنة، وهي من العلامات الفارقة بين أهل السنة وبين أهل البدع.

ولهذا قال كثير من أهل العلم: من أنكر رؤية الله فهو كافر؛ لأنه أنكر النصوص المتواترة، وهي مروية في الصحاح والسنن والمسانيد.

۞ موقف السلف من المعترضين على النصوص:

لما ذكر يزيد بن هارون حديث الرؤية: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»، **(قال له رجل في مجلسه: يا أبا خالد ـ وهي: كنية يزيد بن هارون ـ ما معنى هذا الحديث؟)** يعني: حديث: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»؟ **(فغضب)** يزيد بن هارون **(وحرد)** يعني: استشاط؛ لماذا؟ لأن السائل اعترض على الحديث، **(وقال: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى مثلما فُعِل به)** وصبيغ هذا سيذكر المصنف قصته، وهو رجل كان يأتي بشبه واعتراضات على النصوص، فجلده عمر مائة، ثم جلده مائة حتى سال الدم على وجهه، ونفاه إلى الكوفة، وكتب لعاملها: أن لا يكلمه الناس. فصار الناس لا يكلمونه، وكلما جاء إلى حلقة طُرد حتى تاب، وقال يا أمير المؤمنين: ذهب ما في رأسي. فعند ذلك أباح عمر رضي الله عنه للناس أن يكلموه[(١)].

والمعنى أنك تحتاج إلى أن تضرب حتى يذهب ما في رأسك من الشبه، وذلك كجلد عمر رضي الله عنه صبيغاً.

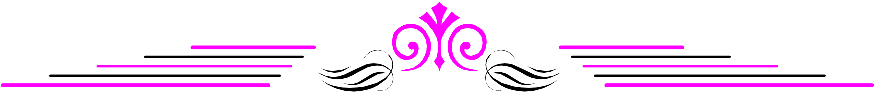
ثم قال له: **(ويلك! ومن يدري كيف هذا؟)** أي: من يدري كيفية الصفة؟ فلا يعلمها أحد إلا الله، فقولك: ما معنى هذا الحديث؟ فيه اعتراض، وطلبٌ للكيفية، وهذا غلط منك، وتحتاج بسببه إلى تأديب. قال له: **(ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث؟)** أي: أَثبت الحديث وقل: إن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة. **(أو يتكلم فيه بشيءٍ من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه**

---

(١) انظر: سنن الدارمي (١٥٠)، البدع لابن وضاح (ص١١١-١١٢)، مسند البزار (٢٩٩)، الشريعة للآجري (٥/٢٥٥٦)، الإبانة لابن بطة (٣٢٩).

واستخف بدينه؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه فإنكم إن اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم) تماروا يعني: تجادلوا فلا يجوز للإنسان أن يجادل، ولا يقول في صفات الله: كيف؟ ولا في أفعاله: لم؟ فلا توجه كلمة: (كيف) للصفات، ولا (لم) للأفعال؛ لأنه حكيم يفعل ما يشاء، بل يسلم فإنه إن لم يفعل ذلك هلك **(وإلا تفعلوا هلكتم)**.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقصة صبيغ الذي قال يزيد بن هارون للسائل: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به: هي ما رواه يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب: أن صبيغاً التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ [الذّاريَات: ١]، قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته، قال: فأخبرني عن: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ [الذّاريَات: ٢] قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ [الذّاريَات: ٤] قال: الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ [الذّاريَات: ٣] قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: ثم أمر به فضرب مائة سوط، ثم جعله في بيت حتى إذا برئ دعا به ثم ضربه مائة سوط أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن حرم عليه مجالسة الناس، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً، فكتب إلى عمر يخبره، فكتب إليه: ما إخاله إلا قد صدق، خل بينه وبين مجالسة الناس(١)).



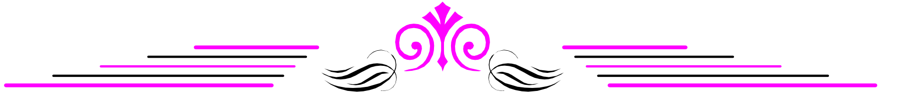
الشَّرْحُ

عمر رضي الله عنه ضرب صبيغ؛ لأنه فهم من سؤالاته أنه يريد التعنت

(١) سنن الدارمي (١٥٠)، البدع لابن وضاح (ص١١١-١١٢)، مسند البزار (٢٩٩)، الشريعة للآجري (٥/٢٥٥٦)، الإبانة لابن بطة (٣٢٩)، وغيرهم.

والعناد والاعتراض، فلهذا ضربه مائة سوط، ثم جعله في بيته، فلما أحس أنه برأ من الضرب ضربه مائة أخرى، ثم أخرجه من المدينة إلى الكوفة، وكتب إلى أبي موسى الأشعري : أن حرم عليه مجالسة الناس، فلم يزل كذلك كلما جاء حلقة طردوه، وإذا جاء إلى حلقة أخرى لا يعرفونه كلم أهل الحلقة الأخرى، قالوا: عزمة أمير المؤمنين عليه ألا تكلموه، فلا يكلمونه حتى تاب وجاء إلى أبي موسى وحلف بالأيمان المغلظة أنه ما يجد في نفسه ما كان يجد، من الشكوك والشبه التي في نفسه. فكتب أبو موسى إلى أمير المؤمنين يستأذنه في أن يتركه ويخلي بينه وبين الناس ثم كتب عمر إليه: ما إخاله إلا قد صدق، خل بينه وبين الناس، فجعل الناس يكلمونه.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب: سمعت رجلاً من بني عجل يقال له: فلان ـ خالد بن زرعة ـ يحدث عن أبيه قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلق، فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين).



الشَّرْحُ

○ قوله: **(وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب: سمعت رجلاً من بني عجل يقال له: فلان ـ خالد بن زرعة)** في النسخة الأخرى: خلته ابن زرعة.

عزمة أمير المؤمنين أن لا تكلمونه، فكلما جاء حلقة لا يعرفونه أخبرهم أهل الحلقة الأخرى وقالوا: عزم عليكم أمير المؤمنين ألا تكلمونه حتى يتوب.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وروى حماد بن زيد أيضاً عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار : أن رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ، قدم المدينة فكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخل).



العراجين جمع عرجون، وهو عرق النخلة إذا يبس واعوج، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يٓس: ٣٩].

❁ ❁ ❁



قال المصنف رحمه الله:

(فلما دخل عليه جلس، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ، قال: وأنا عبدالله: عمر، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي).

الشَّرْح



يعني: يكفي الضرب، فقد ذهب ما في رأسي من الشبه والشكوك. **ونحن الآن بحاجة إلى مثل هذا، فصبيغ له أمثال كثيرون، في هذا الزمن،** فنحن بحاجة إلى أن نفعل بهم مثلما فعل بصبيغ، فهؤلاء الذين يشبهون ويلبسون، ويكتبون في الصحف والمجلات، الشُّبه، ويعترضون على الأحاديث والنصوص وأهل العلم حتى صار أهل الصحف والمجلات يفتون وهم ليسوا من أهل الفتوى: هذا يجوز وهذا لا يجوز، ولو فعل بهم مثل ما فعل بصبيغ لما تكلم الرويبضة ولتأدبوا ولما اعترضوا على النصوص وأهل العلم.

ولهذا فإن يزيد بن هارون لما اعترض عليه الرجل، قال: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى فعل مثل ما فعل به، حتى يزول ما في رأسك من الشبه والاعتراض على النصوص.

❀ ❀ ❀

تحذير الإمام مالك أصحابه من أهل البدع

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزي بها حدثنا محمد بن عمير الرازي حدثنا أبو زكريا يحيى بن أيوب العلات التجيبي بمصر حدثنا يونس بن عبدالأعلى حدثنا أشهب بن عبدالعزيز: سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبدالله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون)[1].

الشَّرْح

وهذا تحذير من مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ـ إمام دار الهجرة ـ يقول: **(إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله)** وهي كنية الإمام مالك، **(وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته)** أي: يتكلمون في تأويل الصفات وفي الكيفية؛ لذا حذر منهم الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنهم: **(لا يسكتون عما سكت عن الصحابة والتابعون)**.

والمعنى: أنه يجب على المسلم أن يسعه ما وسع الصحابة والتابعين، ولا يتكلم في التأويل، بل يثبت الأسماء والصفات لله عَزَّ وَجَلَّ كما يليق بجلالته وعظمته، فيثبت المعنى ويسكت عن الكيفية.

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧)، أحاديث في ذم الكلام لأبي الفضل المقرئ صـ٨٢، الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني (١/ ١١٤).

تهوين الإمام الشافعي للكبيرة أمام البدع

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف أنبأنا أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن عدي الفقية حدثنا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول: لأن ألقاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلي من أن يلقاه بشيء من الأهواء[(١)]).**

الشَّرْحُ

هذا مشهور عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، يريد بيان أنه لو أن يلقى الله العبدُ بكل معصية دون الشرك أسهل عليه من أن يلقاه بالبدعة؛ لأن البدع أشد من المعاصي؛ فإن صاحب المعصية الكبيرة ـ مثل الزاني والسارق وشارب الخمر والمرابي ـ عاصٍ، وضعيف الإيمان، لكنه معترف بأنها معصية، فهذا يرجى له أن يتوب، بخلاف صاحب البدعة، فإنه يعتقد أنه على الحق، ولا يعترف لك بأنه على الباطل. فإذا قلت: هذه بدعة، قال: لا، بل أنت المبتدع!

فلا يفكر في التوبة، فلهذا كانت **البدعة أشد من الكبيرة، وهي أحب إلى الشيطان من المعصية الكبيرة**، فالذي يفعل كبيرة ويشهد

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١٨٨١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٠١٣)، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٩/ ١١١)، الاعتقاد للبيهقي (ص٢٣٩)، جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٩) (١٧٨٨)، أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقرئ (ص٧٨).

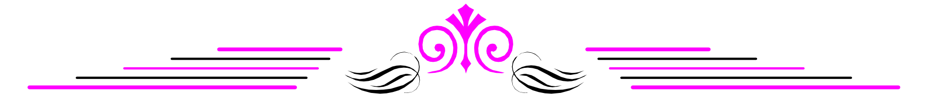
الزور ويعق والديه، يعلم أنه عاص ويمكن أن يتوب أو حتى يفكر في التوبة، لكن المبتدع لا يعتقد أنه عاص، بل يعتقد أنه على الحق، فمن كان يفعل بدعة المولد إذا نهيته قال لك: لا هذه محبة للرسول، وأنت تبغض الرسول، فأنا على الحق وأنت على الباطل، ولو كنت تحب الرسول لحضرت المولد.

كما أن المبتدع لا يعترف بأنه على الباطل، بل يعتقد أنه على الحق، ويتقرب إلى الله بالبدعة، فلا يفكر في أن يتوب منها، أما صاحب الكبيرة فهو يعلم أنه على معصية، ويعتقد أنها معصية، ويفكر في التوبة منها، فلهذا كانت البدعة أشد من المعصية.

وهذا فيه: التحذير من البدع، وقد تكون البدعة في أسماء الله، فمن ذلك:

- بدعة المعطلة التي تنفي الأسماء والصفات.
- وبدعة المؤولة.
- وبدعة الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالمعاصي، وبدعة القدرية الذين يقولون: إن العباد خالقون لأفعالهم.
- وبدعة الشيعة الرافضة.





نصيحة عمر بن عبدالعزيز بلزوم الدين

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا أبو عمرو الحيري حدثنا أبو الأزهر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن جعفر بن برقان قال: سأل رجل عمر بن عبدالعزيز عن شيء من الأهواء، فقال: الزم دين الصبي في الكُتَّاب والأعرابي، واله عما سوى ذلك).

الشَّرْحُ

هذا الأثر عن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه الدارمي في سننه[١]، وابن سعد في الطبقات[٢]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[٣]، وغيرهم[٤]، وهو مروي عن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام المشهور الزاهد الورع الذي ضمه بعض العلماء إلى الخلفاء الراشدين الأربعة؛ لعدله وورعه، سأله رجل عن شيء من الأهواء ـ يعني: من البدع ـ فقال له: **(الزم دين الصبي في الكُتَّاب)** كان الناس قبل أن توجد المدارس يدرسون الصبيان في الكتاب، يعني: جماعة في المسجد يأتي لهم مدرس يكتب لهم على

(١) سنن الدرامي (٣١٤).
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٢٩٠).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٥٠).
(٤) الشريعة للآجري (٢٠٥٠)، الإبانة الكبرى لابن بطة (١٩٤)، شعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٨١)، شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧).

اللوح، وهي خشبة يطلونها بالطين ويكتبون فيها، يكتب لهم حتى يتعلموا شيئاً من القراءة، وبعضا من الآيات، ثم يقال: قرأ في الكتاتيب. والمعنى: كن على دين الصبي أي على الفطرة، واترك هذه الشبه، وكذلك الأعرابي الذي عاش في البادية ما عنده شيء من شبه المعطلة ولا القدرية ولا الخوارج ولا المعتزلة بل هو على الفطرة.

○ قوله: **(واله عما سوى ذلك)**؛ لأنهم مفطورون على الحق والتوحيد، فالصبي في الكُتَّاب والأعرابي يؤمنون بالله وبملائكته وكتبه ورسله ويؤمنون بالأسماء والصفات وليس عندهم شيء من الشبه، ولا الشكوك.

ولهذا كثير من أهل الكلام الذين توغلوا في علم الكلام حاروا في آخر حياتهم، وحصلت لهم حيرة واضطراب، وتمنوا أن يكونوا على الفطرة، حتى قال بعضهم: يا ليتني أموت على عقيدة عجائز نيسابور.

ولما سأل بعض أهل البدع من الذين صار عندهم حيرة بعض الناس: هل تنام في الليل؟ قال: نعم، قال: احمد الله، فأنا لا أستطيع أن أنام؛ وأضع الملاءة على وجهي بعد العشاء ويأتي الفجر وأنا على حالي لم أنم، وذلك من أجل الشبه والشكوك، فإذا نام أعمل فكره في الشبه والمقدمات والنتائج، وهل الرب مستو على عرشه أو ليس مستو على عرشه، وهل هذا يمكن، وهل هو جسم أو ليس بجسم، يقول: احمد الله أنك تستطيع أن تنام... فأنا لا أستطيع أن أنام.

هكذا أهل البدع صار عندهم حيرة واضطراب حتى تمنوا أن يموتوا على عقيدة العجائز، نسأل الله السلامة والعافية.





أمر ابن عيينة وغيره بالسكوت عن التكييف

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيى القزاز يقول سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه[1]).

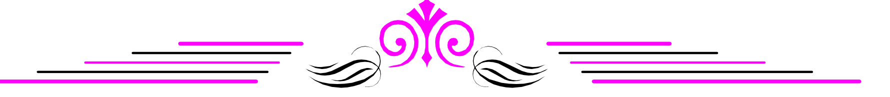


يعني: ما وصف الله به نفسه من العلم والقدرة والرحمة والغضب والسخط والسمع والبصر تفسيره تلاوته، **يعني**: حينما تقرأه يكون تفسيره واضح المعنى، بلا تكييف ولا تمثيل.

مثاله: حينما تقرأ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٣٤] انسب السمع والبصر لله، ولا تأول ولا تشبه، فلا تقل: يلزم إذا أثبت السمع والبصر أن يكون مماثلاً لسمع وبصر المخلوقين.

❁ ❁ ❁

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد (ص١١٨)، والأسماء والصفات (٢/ ١٨٥) (٧٢٥).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو الحسين الخفاف حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف[1]).

الشَّرْح

هذا مقالة للأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس لما سئلوا عن الحديث في الصفات، قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، وهذا الأثر صحيح.

- قوله: **(أمروها كما جاءت)** رد على المعطلة الذين يعطلون ولا يثبتون الصفات.

- وقوله: **(بلا كيف)** رد على الممثلة الذين يقولون: إن صفات الله مثل صفات المخلوقين، **والمعنى**: أثبتوا معاني الصفات، واتركوا الكلام في الكيفية، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٣٤] أثبت السمع والبصر بلا كيف، **ولا تقل**: كيفية السمع كذا، ولا سمع الخالق مثل سمع المخلوق.

---

(١) الإبانة لابن بطة (٧/ ٢٤١) (١٨٣)، الشريعة للآجري (٣/ ١١٤٦) (٧٢٠)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٣٠)، الاعتقاد للبيهقي (ص١١٨)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ٩٤٣)، شرح السنة للبغوي (١/ ١٧١).

وهذا فيه: إثبات للمعاني، فاستوى على العرش، تُمَرُّ كما جاءت ويُثبت الاستواء لله تعالى، **فالمعنى**: لا تسأل عن الكيفية، **ولا تقل**: إن استواء الخالق مثل استواء المخلوق، يعني: أثبتوا المعاني بلا سؤال عن الكيفية، ولا تمثلوها بصفات المخلوقين، **وهذا قول السلف قاطبة**.



لزوم التسليم لبيان الله وبلاغ رسوله

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال الإمام الزهري ـ إمام الأئمة في عصره، وعين علماء الأمة في وقته ـ على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم[١].

وعن بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم).

الشَّرْح

الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ إمام معروف، والمصنف قال عنه: (إمام الأئمة في عصره) فقيده، وإلا فإن إمام الأئمة إذا أطلق فهو الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو إمام المتقين، وهذا اللقب يطلق أيضاً على محمد بن إسحاق بن خزيمة، يقال له: إمام الأئمة، فينبغي أن يقيد إمام الأئمة في وقته، يقول الزهري: (على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم).

○ قول الزهري: (على الله البيان) أي: الله تعالى بين لنا في الكتاب العزيز، وعلى لسان نبيه.

○ قوله: (وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم) والقبول وعدم الاعتراض، فنحن عبيد مأمورون، نقول: سمعاً لك يا رب وطاعة.

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ١٧١)، الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني (٢/ ٥١٢).

فإذا جاء في النصوص إثبات الصفات فنقول: علينا التسليم، فنثبت لله الأسماء والصفات ولا نعترض، ولا نقول: ما كيفية الصفات، ولا نمثلها بل نسلم ونؤمن بها.

وهذا القول من الإمام الزهري كلام عظيم ينبغي لكل مسلم أن يستشعره.



الحث على إحياء السنن

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الإمام حدثنا أحمد بن نصر).



الجد الإمام هو محمد بن إسحاق بن خزيمة صاحب الصحيح.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(حدثنا أبو يعقوب الحنيني حدثنا كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله! ومن الغرباء؟ قال: الذين يحيون سنتي من بعدي، ويعلمونها عباد الله»).

الشَّرح

الشطر الأول من الحديث: **(«إن هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)** أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[1]، وأخرجه الترمذي و ابن ماجه[2]، وكذلك أيضاً ابن خزيمة والخطيب البغدادي وغيرهم، وهو حديث ثابت.

والرسول ﷺ أول المؤمنين وأول المسلمين، ثم أسلم معه الحر والعبد، كأبي بكر و بلال، ثم أسلم عدد من الصحابة، وسيعود غريباً في آخر الزمان كما بدأ، فيخرج الناس من الدين كما دخلوا فيه.

○ قوله: **(فطوبى للغرباء)**، طوبى: الجنة، فالجنة للغرباء الذين يتمسكون بالدين. فجاء في تفسير الغرباء تفسيرات:

التفسير الأول: قيل: من الغرباء؟ فقال: الذين يصْلُحون إذا فسد الناس. يعني: الناس يفسدون وهم صالحون في أنفسهم مستقيمون.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٤٥).

(٢) سنن الترمذي، أبواب الإيمان (٢٦٢٩)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن (٣٩٨٦).

التفسير الثاني: قال: هم الذين يصْلِحون ما أفسد الناس. يعني: دعاة إلى الخير يصلحون.

التفسير الثالث: هم النزاع من القبائل.

التفسير الرابع: هم قوم صالحون قليلون في قوم سوء كثيرون.

التفسير خامس: قال: الذين يحيون سنتي من بعدي، ويعلمونها عباد الله. وهذا مثل: (يصلحون ما أفسد الناس). وهذه الزيادة أخرجها الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث[١]، والشهاب القضاعي في مسنده[٢]، وابن عبد البر في جامع بيان العلم[٣].

وقد ساق المصنف هذا الحديث ليبين أنه ينبغي إحياء السنن، وأن الذين يحيون السنن، ويعلمونها عباد الله هم الغرباء، ومعلوم أنه إذا أحييت السنة ماتت البدعة في مقابلها.

وفيه: التحذير من البدع، والحث على إحياء السنن.



(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص٢٣).
(٢) مسند الشهاب (٢/ ١٣٨) رقم (١٠٥٣).
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٩٩٧) رقم (١٩٠٢).



قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(أخبرنا أبو عبدالله الحافظ قال: سمعت أبا الحسن المكاري يقول: سمعت علي بن عبدالعزيز يقول: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله).

الشَّرْحُ

هذه المقالة لأبي عبيد القاسم بن سلام الإمام المشهور صاحب كتاب الإيمان، وغريب الحديث.

○ قوله: **(المتبع للسنة كالقابض على الجمر)** فكيف لو رأى القرن الخامس عشر؟!

* **وسبب ذلك**: قلة أهل السنة وكثرة أهل البدع، فلهذا يجد شدة ومشقة لمخالفة الناس؛ لأنه لا يجد من يوافقه على الحق، فلكثرة أهل الباطل وقلة أهل الحق صار المتبع للسنة بين أهل البدع كالقابض على الجمر، فأهل البدع عن يمينه وشماله، وأمامه وخلفه وهو بينهم متبع للسنة فيتحمل ويجد مشقة كما أن القابض على الجمر يتحمل شدة حرارة الجمر.

○ قوله: **(وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله)**، أي: أنه يرى أن المتبع للسنة في زمانه أفضل من ضرب السيف في سبيل الله؛ لوجود المجاهدة والشدة والمشقة التي

يجدها، كما أن المجاهد في سبيل الله والذي يضرب بالسيف يجاهد الأعداء ويقارع الأعداء، كذلك هذا الذي يجاهد أهل البدع ويصبر على الحق.



ترك التكلف في إجابة السائل

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وروي عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: دخلنا على عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أيها الناس! من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم قال الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾[ص: ٨٦][(١)]).

الشَّرْح

الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خطب الناس وقال: **(يا أيها الناس! من علم شيئاً فليقل به: ويظهره للناس، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم)** ولا يتكلم في شيء لا يعلمه.

○ قوله: **(فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم)**؛ **لأن العلم قسمان**: قسم تعلمه وتبينه للناس، وقسم لا تعلمه فتقول: الله أعلم، ولا يجوز أن يتكلف الإنسان فيما لا يعلمه، ولهذا قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾)** فلا تتكلف يا عبد الله؛ فالشيء الذي

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٨٠٩)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٩).

تعلمه تقوله، والذي لا تعلمه تقول عنه: لا أعلم، وليس هذا بعيب.

وقد ضرب السلف ـ رحمهم الله ـ في هذه المسألة أروع الأمثلة، فهذا الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ إمام دار الهجرة الذي تضرب إليه أكباد الإبل، جاءه رجل من مسافات بعيدة يمشي شهوراً يسأله، فسأله عن أربعين مسألة، فقال في ست وثلاثين لا أدري، وما أجابه إلا عن أربع مسائل. فقال الرجل: ماذا أقول للناس؟ فقال: قل: يقول مالك: لا أدري.



التوقف ووكل الأمر لله حين الاختلاف

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقلي حدثنا أحمد بن عبدالجبار العطاردي حدثنا أبي حدثنا عبدالرحمن الضبي عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب القرظي قال: دخلت على عمر بن عبدالعزيز فجعلت أنظر إليه نظراً شديداً، فقال: إنك لتنظر إلي نظراً ما كنت تنظره إلي وأنا بالمدينة، فقلت: لتعجبي، فقال: ومم تتعجب؟ قال: قلت: وما حال من لونك، ونحل من جسمك، ونفي من شعرك، قال: كيف ولو رأيتني بعد ثلاثة في قبري، وقد سالت حدقتاي على وجنتي، وسال منخراي في فمي صديداً، كنت لي أشد نكرة. حدثني حديثاً كنت حدثتنيه عن عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت: حدثني عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء شرفاً، وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة، لا تصلوا خلف نائم ولا محدث، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم، ولا تستروا الجدر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه، فإنما ينظر في النار. ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: الذي يجلد عبده، ويمنع رفده، وينزل وحده. أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي يبغض الناس ويبغضونه. أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي لا يقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً. أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره. من

أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله. إن عيسى عليه السلام قام في قومه فقال: يا بني إسرائيل! لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم، الأمر ثلاثة: أمر بين رشده فاتبعوه، وأمر بين غيه فاجتنبوه، وأمرٌ اختلفتم فيه فكلوه لله ﷻ»[(١)].

الشَّرح

هذا الأثر الطويل أتى به المصنف رحمه الله، **والشاهد منه قوله**: **(فكلوه لله ﷻ)**، أي: أن الشيء الذي لا يعلمه الإنسان يكله إلى الله ﷻ ولا يتكلم به.

وهذا الأثر رواه المصنف رحمه الله عن محمد بن كعب القرظي قال: **(دخلت على عمر بن عبدالعزيز)** الخليفة المشهور الخليفة الراشد، من خلفاء بني أمية رضي الله عنه وأرضاه. يقول كعب: **(فجعلت أنظر إليه نظراً شديداً)** ينظر ويتأمل في وجهه وفي يديه فأنكر ذلك عليه عمر، فقال: **(إنك لتنظر إلي نظراً ما كنت تنظره إلي وأنا بالمدينة)** لأنه كان أمير المدينة في زمان الوليد بن عبدالملك، ثم تولى الخلافة. وكان محمد بن كعب القرظي يعرف عمر بن عبدالعزيز ويأتيه لما كان أميراً على المدينة، فلما كان أمير المؤمنين جاء إليه محمد بن كعب القرظي وجعل ينظر إليه ويتأمله، فأنكر ذلك عليه،

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد (١/ ٢٢٥) (٦٧٥)، المستدرك للحاكم (٧٧٠٦)، مسند الحارث (٢/ ٩٦٧)، السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٤٤٤).

قال: إنك لتنظر إلي نظراً ما كنت تنظره إلي وأنا في المدينة لما كنت أميراً والآن تنظر إلي لما صرت خليفة، فما السبب؟ قال: **(قلت: لتعجبي، قال: ومم تتعجب؟ قال: قلت: ما حال من لونك، ونحل من جسمك)**، يعني: تحول حال لونك ونحل جسمك: في الأول كنت أسمن مما أنت عليه الآن، **(ونفي من شعرك)**: يعني: شعرك متشعث، بينما وأنت في المدينة كان شعرك متنعماً.

وذلك أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز لما تولى الخلافة صار يضرب به المثل في العدل، وصار عنده خوف من الله ﷻ، وخاف من توليه لأمور المسلمين، وصار لا يأكل ولا يشرب إلا القليل واهتم بأمر المسلمين حتى تغير جسمه ونحل، ولم يعد يجد الوقت لكي يغسل شعره ويلبس الثياب الجميلة. فقال له: **(كيف لو رأيتني بعد ثلاثة في قبري؟!)**، أي: لو رأيتني بعد الموت وأنا في قبري بعد ثلاثة أيام وهذا من زهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ثم قال: **(وقد سالت حدقتاي على وجنتي)**: أي: العينين خرجت وصارت على الخدين، **(وسال منخراي في فمي صديداً)** فتكون أشد استنكاراً حيئذ.

ثم قال له عمر بن عبدالعزيز: **(حدثني حديثاً كنت حدثتنيه عن عبدالله بن عباس)** عن النبي ﷺ، فقال له محمد بن كعب: **(قلت: حدثني عبدالله بن عباس يرفع الحديث إلى النبي ﷺ)**، قال: **(«إن لكل شيء شرفاً، وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة»)**، هذه الجملة أخرجها الطبراني، بإسناد حسن بلفظ: (إن لكل شيء سيداً، وإن سيد المجالس قبالة القبلة)[1] ثم قال: **(«لا تصلوا خلف نائم**

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٣/ ٢٥).

ولا محدث»[١] وهذه الجملة غير ثابتة[٢]، وكون الإنسان يصلي وأمامه نائم أو محدث لا حرج في هذا، فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ وَأَنَا مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، كَاعْتِرَاضِ الْجَنَازَةِ**»[٣].

○ قوله: **(واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم)** **فيه**: الأمر بقتل الأسودين، وهو ثابت في حديث النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِ الأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ الحَيَّةُ وَالعَقْرَبُ»[٤]، وهذا لا بأس به، والحركة فيه مغتفرة... فكونك تقتل وتضرب لا بأس، إلا إذا استدعى الحال واشتد الأمر واضطر الإنسان إلى أن يدور ويستدبر القبلة، فيقطع الصلاة فحينئذ يستأنف الصلاة من جديد، لكن ما دام مستقبلاً القبلة فله أن يقتل الحية والعقرب ولا يؤثر هذا في الصلاة.

○ قوله: **(ولا تستروا الجدر بالثياب)** **فيه**: النهي عن ستر الجدر، وقد ورد في صحيح مسلم قول النبي ﷺ: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين**»[٥]. قال النووي في شرح صحيح مسلم: (يستدل به على أنه يمنع من ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة (٦٩٤)، السنن الكبرى للبيهقي (٢/٣٩٦).

(٢) ذكر ابن خزيمة بابا في صحيحه (٢/١٨) يدل على عدم ثبوت الحديث فقال: باب ذكر البيان على توهين خبر محمد بن كعب «لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدثين» ولم يرو ذلك الخبر أحد يجوز الاحتجاج بخبره. أ.هـ.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٣٨٢)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٥١٢) واللفظ له.

(٤) مسند الإمام لأحمد (٧١٧٨)، سنن أبي داود، كتاب الصلاة (٩٢١)، سنن الترمذي، أبواب الصلاة (٣٩٠)، سنن النسائي، كتاب السهو (١٢٠٢)، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٤٥).

(٥) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٢١٠٧).

وهومنع كراهة تنزيه لاتحريم) .أ.هـ[١].

وقد زار أبو أيوب ابن عمر ﷺ ورأى في البيت ستراً على الجدار، فأنكر عليه قال: جعلتم بيوتكم كالكعبة تسترونها فقال ابن عمر ﷺ: غلبننا النساء، فقال: من كنت أخشى عليه فلم أكن أخشى عليك - إذا كنت يغلبك النساء فكيف بغيرك - والله لا أطعم لكم طعاماً، فرجع أبو أيوب ﷺ[٢]. والنووي يقول: إن هذا كراهة تنزيه؛ لأن هذا من الإسراف، والجدر لا حاجة إلى سترها، أما الآن فقد تغير الوضع وصار هناك الديكورات وما أشبه ذلك، وهو أشد من الستر، فالله المستعان.

○ قوله: **(ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه، فإنما ينظر في النار)**[٣]، هذه اللفظة ذكر المفسر أنها ضعيفة.

○ قوله: **(ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذي يجلد عبده، ويمنع رفده، وينزل وحده)**[٤]، يعني: العبد المملوك يجلده بغير حق. ويمنع الصلة والعطاء، وأما معنى أنه ينزل وحده فهذا يحتمل أنه إذا نزل منزلاً فإنه لا ينزل معه أحد كبراً وبطراً أو شحاً وبخلاً.

○ قوله: **(أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ الذي يبغض الناس ويبغضونه، ثم قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ الذي لا يقيل عثرة، ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا)**[٥] لا يقيل عثرة يعني: لا يصفح ولا

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٨٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٤/ ١١٨)، ورواه البخاري معلقا في صحيحه، كتاب النكاح، باب: هل يرجع إذا رأى منكرا في الدعوة؟.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة (١٤٨٥)، المستدرك للحاكم (٧٧٠٦-٧٧٠٧).

(٤) المعجم الكبير (١٠/ ٣١٨).

(٥) انظر: المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣١٨)، حلية الأولياء (٣/ ٢١٨).

يعفو، ولا يقيل صاحب العثرة إذا اعتذر إليه، ولا يقبل عذره، ولا يغفر ذنبه.

○ قوله: **(أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره)**، شره إلى الناس صاعد وخيره قليل.

○ قوله: **(من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله)**؛ لأن المتوكل على الله، والمفوض أمره إلى الله بعد فعل الأسباب من أقوى الناس.

○ قوله: **(ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره)**[1] يعني: يثق بالله؛ لأن الله تعالى هو الذي بيده الأمر والنهي وهو الذي بيده الرزق.

○ قوله: **(ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله)** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

○ قوله: **(إن عيسى عليه الصلاة والسلام قام في قوم فقال: يا بني إسرائيل! لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها)**؛ لأنكم إذا كلمتم الجهال تأولوها على غير تأويلها: **(ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم)** يعني: تكلموا بالحكمة عند أهلها، وإذا لم تتكلموا بها عند أهلها ظلمتموهم.

○ قوله: **(ولا تظلموا)** يعني: لا تظلموا غيركم، **(ولا تكافئوا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم)** أي: فلا تكافئوه بظلمه وذلك بأن تعفوا وتصفحوا.

(١) مسند الشهاب (١/ ٢٣٤).

❍ قوله: **(الأمور ثلاثة: أمر بين رشده فاتبعوه، وأمر بين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله)** فالأمور ثلاثة: أمر تبين لك أنه حق، وأنه رشد وصواب فعليك أن تعمل به.

وأمر تبين لك أنه غي وضلال فعليك أن تجتنبه.

وأمر مشتبه اختُلِفَ فيه، فتوقف فيه وكله إلى الله ﷻ، وهذا هو الشاهد: **(وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله ﷻ)**. يقول المزي في تحفة الأشراف: (هذا حديث مشهور من رواية أبي المقدام هشام بن زياد عن محمد بن كعب رواه الناس عنه مطولاً ومختصراً). أ.هـ[(١)].

وهذه الجمل بعضها صحيح وبعضها ضعيف، وبعضها له شواهد.



(١) تحفة الأشراف للمزي (٥/ ٢٣٤).

قال المصنف رحمه الله:

(ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه به من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل، من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم، والمقام الهائل من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها).

الشرح

البعث في اللغة: الإثارة، وشرعاً: بعث الله الأجساد وإعادة الأرواح إليها للحساب والجزاء.

والإيمان بالبعث أصل من أصول الدين، وركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به، ومن لم يؤمن بالبعث فهو كافر بإجماع المسلمين.

وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم أن يقسم على البعث والساعة في ثلاثة مواضع من كتابه:

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التّغَابُن: ٧] فأمر نبيه ﷺ أن يقسم، وأثبت الله في هذه الآية أن من أنكر البعث كفر، فمن أنكر البعث فهو كافر بنص القرآن.

الموضع الثاني: قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ

أَحَقٌّ هُوَ﴾ يعني: البعث بعد الموت: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣] قل: يا محمد: ﴿إِي وَرَبِّي﴾ أمره أن يحلف على البعث.

الموضع الثالث: في سورة سبأ، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبإ: ٣].

هذا البدن إذا مات يبلى ويستحيل، ويكون تراباً إلا أجساد الأنبياء؛ لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وكذلك الشهداء بعضهم يبقى جسده مدة طويلة، **وهل يبقى أو لا يبقى؟**

• **الجواب:** كأنه ـ والله أعلم ـ كلما كانت الشهادة أكمل كلما كان بقاء الجسد أطول.

فالأنبياء هم الذين حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم وأما بقية الناس فإن الجسد يكون تراباً ولا يبقى منه إلا عظم صغير، وهو عجب الذنب آخر فقرة في العمود الفقري، وهو العصعص لا تأكله الأرض، ولا يبلى، منه خلق ابن آدم ومنه يركب كما في الحديث، فإذا كان في آخر الزمان أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور نفخة الموت، فيموت الناس ثم يبقى الناس أربعون، فينزل الله مطراً أبيض فتنبت منه أجساد الناس، وينشئهم الله خلقاً جديداً، وتعاد الذرات التي في السحاب خلقاً جديداً، فالله عالم بالذرات التي في السحاب: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٩] وكما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]. فيعيد الله الذرات التي في السحابة.

فينشئ الله الناس نشأة جديدة، أي: تنشئة الصفات، وأما الذوات فهي هي، لكن الصفات تختلف.

فإذا تكامل خلقهم ونبتوا أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور نفخة البعث فتطايرت الأرواح إلى أجسادها، ودخلت كل روح في جسدها، فقام الناس من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم، ووقفوا بين يدي الله الجبار سبحانه.

وبعث الأجساد هذا هو الذي أنكره الكفرة والفلاسفة، فقالوا: البعث للروح، وهذا كفر وضلال. ومن لم يؤمن بأن الله يبعث الجسد فهو كافر، ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: **(ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه به من أهوال ذلك اليوم الحق)** يعني: ويؤمنون بكل ما أخبر الله سبحانه ورسوله من أهوال ذلك اليوم الحق، التي تكون فيه، من وقوف الناس حفاة عراة غرلاً، حفاة لا نعال لهم، عراة لا ثياب عليهم، غرلاً غير مختونين، فتعود إلى الإنسان القطعة الصغيرة التي قطعت من ذكره، فيكون غير مختون، ويقفون هكذا شاخصة أبصارهم إلى السماء.

وأول من يُكسى في موقف القيامة هو إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهذه منقبة لإبراهيم الخليل[(١)].

فيجب على المؤمن أن يؤمن بالوقوف بين يدي الله للحساب والشفاعة والميزان والصراط والحوض والجنة والنار، كل هذا يجب على المسلم أن يؤمن به، ولهذا قال المصنف: **(وبكل ما أخبر الله**

---

(١) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم محشرون حفاة عراة غزلا، ثم قرأ** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾[الأنبياء: ١٠٤]، **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم**» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النِّسَاء: ١٢٥].

سبحانه به أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هناك في ذلك اليوم الهائل) ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدَّثِّر: ٩-١٠] (من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل)، فكل واحد يعطى صحيفته إما بيمينه أو بشماله، فالمؤمن يعطى صحيفته بيده اليمنى، فإذا سعى إليها أخذها يستبشر ويقول لكل من لقيه: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقَّة: ١٩-٢٢] وأما الكافر والعياذ بالله فإنه يعطى كتابه بيده الشمال ملوية وراء ظهره، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقَّة: ٢٥]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ [الانشقاق: ١٠-١١] فلابد من أخذ الكتب بالأيمان أو الشمائل، ولا بد من (الإجابة عن المسائل) وهي كما في الحديث: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»[(١)].

فلا بد من الإيمان بما يكون هناك في ذلك اليوم الهائل.

○ قوله: (إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم، والمقام الهائل من الصراط) الذي ينصب على متن جهنم، ويمر الناس فيه على قدر أعمالهم، فأول زمرة تمر على الصراط كلمح البصر، ثم كالبرق، ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كأجاود الخيل،

---

(١) سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤١٧)، سنن الدارمي (٥٥٤)، مسند البزار (٤/ ٢٦٦)، المعجم الكبير للطبراني (١١/ ١٠٢)، حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٢)، شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٢٧٨).

ثم الرجل يركض ركضاً، ثم الرجل يمشي مشياً، ثم الرجل يزحف زحفاً، وهناك كلاليب على الصراط تخطف من أُمرت بخطفه وتلقيه في النار على حسب الأعمال.

ولا يتكلم إلا الرسل، ودعاء الرسل في ذلك الموقف: اللهم سلم سلم[(١)].

وكذلك أيضاً يجب الإيمان بـ**(الميزان)**، وأنه توزن فيه أعمال العباد، وهو ميزان حسي له كفتان ولسان، كفتاه أعظم من أطباق السموات والأرض[(٢)]، يوزن فيه الأشخاص والأعمال، وتثقل الموازين وتخف على حسب الأعمال، فالمؤمن يثقل ميزانه والعاصي يخف ميزانه على حسب أعمالهم ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ فمن ثقلت موازينه نجا، ومن خفت موازينه هلك، كما أخبر الله في كتابه العظيم: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وكذلك الإيمان بـ**(نشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر)**، فصحف الأعمال تنشر، ويعطى كل واحد صحيفة عمله.

كذلك يجب الإيمان بحوض نبينا ﷺ في موقف القيامة، يصب

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٣٩)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٣).

(٢) كما جاء عند الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٩٢)، عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ**» وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم .أ.هـ. ووافقه الذهبي، ورواه ابن المبارك في الزهد (ص٤٧٨)، والأجري في الشريعة (٣/ ١٣٢٩) رقم (٨٩٥) موقوفا على سلمان رضي الله عنه.

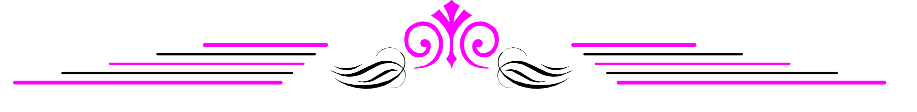
فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورِق، أي: الفضة[(١)]، كل هذا لابد للمسلم أن يؤمن به، وكل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر، فهذا الركن يشتمل على الإيمان بالبعث بعد الموت والإيمان ببعث الأجساد، وبالوقوف بين يدي الله، وتطاير الصحف، وبالميزان، وبالصراط، وبالحوض، وبالجنة، وبالنار.

وكذلك ما قبل البعث حينما يموت الإنسان، فلا بد من الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وفتنة السؤال، وضمة القبر، وكون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، والمؤمن يوسع له في قبره مد البصر، ويفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، والفاجر يفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه. والمؤمن يأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، يؤنسه وهو عمله، والفاجر يأتيه رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فلا يزال يوحشه وهو عمله السيئ[(٢)].



(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٣٠١).

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٧٥٣)، ومسند الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، والمستدرك للحاكم (١/ ٩٣) رقم (١٠٧).



شفاعة النبي ﷺ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ. أخبرنا أبو سعيد بن حمدون أنبأنا أبو حامد بن الشرقي حدثنا أحمد بن يوسف السلمي حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[1]).

الشرح

الشفاعة معناها في اللغة: ضم شيء إلى شيء، به يصير الشيء زوجاً بعد أن كان منفرداً، فالواحد يسمى فرداً، والاثنان شفعاً، وسمي الشفيع شفيعاً؛ لأنه يضم صوته إلى صوت طالب الشفاعة فيكونا اثنين.

وفي الاصطلاح عند أهل الشرع هي: مساعدة صاحب الحاجة عند من طلبه.

الشفاعة في يوم القيامة أنواع متعددة:

النوع الأول: الشفاعة العظمى، وهي التي تكون في موقف القيامة، ويتأخر عنها أولو العزم من الرسل، وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ، وهي المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون، **وهي**

(١) مسند الإمام أحمد (١٣٢٢٢)، سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٧٣٩)، سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد (٤٣١٠).

مذكورة في قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسرَاء: ٧٩]، فالمقام المحمود: هو الشفاعة العظمى، **وهي عامة** للمؤمنين والكفار، لأهل الموقف جميعاً حتى يستريحوا من موقف القيامة، وذلك أن الناس إذا بعثهم الله من قبورهم حفاة عراة غرلاً وقفوا بين يديه للحساب، وتدنو الشمس من الرؤوس، ويزاد في حرارتها، ويقف الناس هذا الموقف العظيم: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعَارج: ٤] ويبلغ الناس من الشدة ما الله به عليم، ويلجمهم العرق على حسب الأعمال، فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ العرق إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العرق إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً[(١)]، فيموج الناس بعضهم من بعض، فيسرع الناس إلى الأنبياء، فيأتون آدم ويطلبون منه الشفاعة فيمتنع، ويقول: لست أهلاً لها، إني أكلت من الشجرة التي نهيت عنها، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيسألوه أن يشفع لهم عند الله حتى يحاسبوا ويستريحوا من هذا الموقف، فيعتذر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة أغرقتهم، اذهبوا إلى غيري، وفي بعض الروايات يقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم؛ فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيطلبون منه الشفاعة، فيعتذر ويقول: إني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات، ـ وذلك حين كان يجادل بها عن دين الله ـ: إحداهما عندما كسر الأصنام، ووضع الفأس على الصنم، فلما سألوه من فعل ذلك؟ قال: هذا، وكذلك قال عن زوجته: إنها أختي، وتأول أنها أخته في الإسلام لما مر بملك مصر

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٦٤).

الظالم في ذلك الوقت، ولما نظر في النجوم وقال: إني سقيم يجادل به عن دين الله[١]، فقال عليه السلام: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فإنه كليم الرحمن، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت كليم الرحمن، اصطفاك الله برسالته وبكلامه، اشفع لنا إلى ربك، فيعتذر موسى ويقول: لست أهلاً لها، إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ـ وكان هذا قبل النبوة حينما قتل القبطي ـ اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى، فيعتذر عليه الصلاة والسلام ولا يذكر ذنباً، إلا أنه يقول: اُتُّخذتُ أنا وأمي إلهين من دون الله، ولكن نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فإنه خاتم النبيين، فيأتون نبينا محمدًا ﷺ فيطلبون منه الشفاعة، فيقول: أنا لها، أنا لها عليه الصلاة والسلام، فيذهب فيسجد تحت العرش فيفتح الله عليه محامد لا يحسنها وهو في دار الدنيا، فيأتيه الإذن من الله ﷻ فيقول الله سبحانه وتعالى: يا محمد! ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع[٢]. هذا الإذن الوارد في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، لا أحد يستطيع أن يشفع عند الله إلا بعد الإذن حتى ولو كان وجيهاً عند الله، فمحمد عليه الصلاة والسلام أعظم الناس وجاهة عند الله ومع ذلك لا يشفع حتى يأتيه الإذن، فإذا جاء الإذن رفع رأسه، وسأل ربه الشفاعة، فيقضي الله تعالى بين الخلائق، ويفرغ من محاسبتهم جميعاً في وقت واحد، لا شيء يشغله عن شيء؛ كما أنه يخلقهم في وقت واحد ويرزقهم ويعافيهم

(١) صحيح البخاري، كتاب احاديث الأنبياء (٣٣٥٨)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٣٧١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٧١٢)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٩٤).

كذلك يحاسبهم في وقت واحد، بخلاف المخلوق الضعيف، فلو تكلم معك اثنان أو ثلاثة لما استطعت أن تكلمهم جميعاً في وقت واحد، لكن الرب ﷻ يخاطبهم في وقت واحد، والخلائق كلهم يحاسبهم في وقت واحد، ويفرغ من حسابهم في مقدار منتصف النهار، ويقيل أهل الجنة في الجنة، فالقيلولة تدرك المؤمنين في الجنة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤][١].

هذه هي الشفاعة العظمى التي يغبطه ﷺ فيها الأولون والآخرون، وهذه لم ينكرها أحد.

النوع الثاني: شفاعة خاصة بنبينا ﷺ، **وهي:** الشفاعة لأهل الجنة في دخولها.

النوع الثالث: شفاعة خاصة بعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه.

- هذه الشفاعات الثلاث خاصة بنبينا ﷺ.

النوع الرابع: شفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة.

هذه الشفاعات الأربع لم ينكرها أحد، فأقر بها أهل السنة وأهل البدعة.

النوع الخامس: الشفاعة لمن استحق النار من العصاة ألا يدخلها.

النوع السادس: الشفاعة فيمن دخل النار من العصاة أن يخرج منها.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله لهذه الآية (١٩/ ٢٥٨-٢٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٠-٢٦٨١).

النوع السابع: الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ولا يدخلوا النار.

- هذه الشفاعات ـ الخامسة والسادسة والسابعة ـ أنكرها أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم، فأنكر عليهم أهل السنة وضللوهم وبدعوهم.

والنصوص التي فيها الشفاعة بإخراج العصاة الموحدين من النار بلغت حد التواتر؛ لأن نبينا ﷺ يشفع أربع شفاعات في كل مرة يحد الله له حداً ويشفعه الله فيمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وفي بعضها: «**أدنى مثقال ذرة**»[(١)]، وفي بعضها: «**أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من حبة من إيمان**»[(٢)] وكذلك الأنبياء يشفعون، والملائكة يشفعون، والأفراد يشفعون، والصالحون يشفعون، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته. فهذه الشفاعة في إخراج العصاة من النار، أو من استحق دخول النار ألا يدخلها أنكرها أهل البدع، مع أنها متواترة، والأحاديث التي بلغت حد التواتر قليلة تقارب أربعة عشر حديثاً منها حديث الشفاعة، **ومنها**: حديث الحوض، **ومنها**: أحاديث المسح على الخفين، **ومنها**: حديث: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(٣)]، **ومنها**: حديث: «**من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة**»[(٤)].

فالخوارج والمعتزلة أنكروا هذه الشفاعات الثلاث وقالوا: إن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٣٩)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٣).
(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٥١٠)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٩٣).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٢٩١)، صحيح مسلم، المقدمة (٣).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٤٥٠)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٣).

العاصي إذا زنا فإنه يكفر ويخلدُ في النار، وإذا سرق يكفر ويخلد في النار، ولا يخرج منها أبد الآباد مثل الكفرة. وهذا من أبطل الباطل، والذي لا يخرج من النار هم الكفرة، أما المؤمن العاصي لو مات على التوحيد لكنه مات على كبائر من غير توبة فقد تواتر في الأخبار بأنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر، مؤمنون موحدون مصلون، «**يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ**»[١]، ومن ذلك هذا الحديث الذي ذكره المؤلف: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٢] وهو حديث صحيح. لكنهم دخلوا بكبائر من غير توبة، هذا مات على الزنا من غير توبة فدخل النار، وهذا مات على شرب الخمر من غير توبة فدخل النار، وهذا مات على التعامل بالربا، وهذا مات على عقوق الوالدين، وهذا مات على الغيبة والنميمة، وهذا مات على أكل حقوق وأموال الناس وهكذا. هؤلاء حكم عليهم أهل البدع بالكفر، وبالخلود في النار. فأهل الكبائر الموحدون لهم شفاعة ولا يخلَّدون في النار.

وهناك بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته ويقول سبحانه: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين فيخرج قوماً من النار لم يعملوا خيراً قط**»[٣] يعني: زيادة على التوحيد والإيمان، أما من مات على الكفر الأكبر، أو الشرك الأكبر أو النفاق الأكبر، فهذا لا شفاعة له، ولا يدفع عنه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٨٠٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٢).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٣٩)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٣) واللفظ له.

عذاب الله أحد ولو افتدى بملء الأرض ذهباً لم ينفعه كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٧] وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال سبحانه: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النّبإ: ٢٣] والأحقاب هي المدد المتطاولة كلما انتهى حقب يعقبه حقب إلى ما لا نهاية ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

فالمعتزلة والخوارج جعلوا عصاة الموحدين مثل الكفار، يخلدون في النار، وهذا من أبطل الباطل، والنصوص الواردة في الكفار حملوها على العصاة كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] فإنها في الكفار، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤] ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨] فهذه في الكفار أيضاً، أما العصاة فلهم شفاعة.





قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن المسيب الأرغياني حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا عبدالسلام بن حرب الملائي عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين»[(١)]).



هذا الحديث فيه: إثبات الشفاعة للعصاة الموحدين، وفيه رد على الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الشفاعة للموحدين العصاة، والحديث لا بأس به، وهو حديث صحيح مروي في السنن والمسند.

❁ ❁ ❁

(١) مسند الإمام أحمد (٥٤٥٢)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد (٤٣١١)، المعجم الكبير للطبراني (١٣/ ١٩١) (١٣٩٠٠)، السنة لابن أبي عاصم (٧٩١).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو محمد المخلدي قال: أخبرنا أبو العباس السراج قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو (ح) وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدي الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا علي بن حجر بن إسماعيل بن جعفر عن عمرو ابن أبي عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه»[1]).



(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (٩٩).



الإيمان بالحوض

قال المصنف رحمه الله:

(ويؤمنون بالحوض، والكوثر، وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب، ومحاسبة فريق منهم حساباً يسيراً، وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم، وعذاب يلحقهم، وإدخال فريق من مذنبيهم النار، ثم إعتاقهم وإخراجهم منها، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها، ولا يخلدون في النار، فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحداً).

الشَّرح

والحوض في اللغة معناه: مجمع الماء.

والمراد به شرعاً: حوض لنبينا ﷺ في موقف القيامة ترد عليه أمته عليه الصلاة والسلام.

وهذا الحوض جاءت الأحاديث بوصفه بأنه: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأن طوله مسافة شهر، وأن عرضه مسافة شهر، وأوانيه التي يشرب به عدد نجوم السماء ويصب فيه ميزابان من نهر الكوثر من الجنة، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً[(١)] ـ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الواردين

---

(١) كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا**». متفق عليه؛ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق (٦٥٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (٢٢٩٢).

عليه ـ[١].

والأحاديث في إثبات الحوض بلغت حد التواتر، وأكثر الأحاديث أخبار آحاد لكن خبر الآحاد إذا صح سنده، وكان الرواة عدول ضابطون، ولم يكن خبراً شاذاً ولا معللاً؛ فهو مقبول صحيح يعمل به في العقائد، وفي الأعمال، وفي كل شيء، وقد وردت الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما أنه يرد على حوض النبي ﷺ أمتُه، وأن النبي ﷺ يتقدمهم قال: «**أنا فرطكم على الحوض**»[٢]. والفرط: هو السابق الذي يسبق ويتقدم القوم، وأنه يرد على النبي ﷺ على الحوض أناس قد غيروا وبدلوا فيطردون ويذادون كما تذاد الإبل العطاش فيقول النبي ﷺ: «**أصحابي أصحابي**» ولهذا جاء في الحديث يقول النبي ﷺ: «**ليردن علي أناس من أصحابي الحوض**» وفي رواية: «**أعرفهم ويعرفوني**[٣] **فإذا جاءوا اختلجوا دوني**»[٤]. وفي لفظ: «**وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فيقول النبي ﷺ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي**»[٥] وفي رواية: «**أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[٦]

---

(١) كما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**». رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (٢٣٠١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق(٦٥٨٩)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٨٨٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٨٣)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٩٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٨٢)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٣٠٤)، وهذا لفظ البخاري.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٧٦)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٩٧)، واللفظ لمسلم.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٨٢)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٣٠٤)، واللفظ لمسلم.

«**إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»[(١)] فيقول: «**سحقاً سحقاً لمن غير بعدي**»[(٢)] سحقاً أي: بعداً.

قال العلماء: مِثل الأعراب الذين لم يتمكن الإيمان في قلوبهم آمنوا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ.

والحديث فيه دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم أعمال أمته، ولهذا قال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[(٣)] والحديث أيضا فيه الرد على من قال إن النبي ﷺ يعلم الغيب، أو أن أعمال أمته تعرض عليه فكل هذا ليس بصحيح.

والحوض على الصحيح قبل الميزان وقبل الصراط.

○ قوله: **(ويؤمنون بالحوض والكوثر، الحوض في موقف القيامة)**، والكوثر: نهر في الجنة يصب منه ميزابان في الحوض[(٤)].

○ قوله: **(وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب)** وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب**»، ووصفهم النبي ﷺ بقوله: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال أنت منهم**» وفي لفظ: «**اللهم اجعله منهم**»[(٥)] فقام رجل آخر، فقال: ادع الله أن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٤٩)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٦٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٨٤)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٢٩٠).

(٣) الحديث السابق.

(٤) كما في حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟" فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**»، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة (٤٠٠).

(٥) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٥٨١١)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢١٦).

يجعلني منهم، فقال النبي ﷺ: «**سبقك بها عكاشة**»[١]. وجاء في الحديث الآخر: أن النبي ﷺ قال: «**مع كل ألف سبعون**»[٢].

وجاء في حديث آخر: «**مع كل رجل سبعون ألفاً**»[٣] لكنه حديث ضعيف.

معناه: أن هناك قسم من الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. وهناك قسم آخر: يحاسبون حساباً يسيراً، ثم يدخلون الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم، والمراد بالحساب اليسير: هو العرض.

وقد استشكلت عائشة رضي الله عنها لما قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨] قَالَ: «**ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ**»[٤]. فالنبي ﷺ فسر الحساب في الآية بأنه العرض: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ المراد بالحساب هنا: العرض تعرض عليه أعماله ولا يناقش، أما من نوقش الحساب فقد يعذب، وأما الذي تعرض عليه الأعمال عرضاً فإنه لا يعذب.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب (٥٧٥٢)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٢٠).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٢٢٣٠٣)، وسنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٧)، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد (٤٢٨٦)، عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ قال: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ**».

(٣) مسند الإمام أحمد (١٧٠٦)، مسند البزار (٢٢٦٨)، مسند أبي يعلى (١/ ١٠٤)، المختارة للمقدسي (٦/ ٥٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٩٣٩)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٧٦).

الخلاصة في الجمع بين الآية والحديث:

الحديث: «**ليس أحد يحاسب إلا هلك**». والآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

المراد بالحساب في الآية: العرض.

والمراد بالحساب في الحديث: المناقشة، فمن نوقش الحساب عذب، وأما في الآية فإنه ليس فيه مناقشة وإنما فيه عرض.

❐ تفاوت أهل الجنة في المنازل:

○ وقوله: (**وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم وإخراجهم منها، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها**) معناه: أن **أهل الجنة يكونون طبقات**:

الطبقة الأولى: يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ولا عرض نسأل الله الكريم من فضله.

الطبقة الثانية: من يحاسب حساباً يسيراً فيدخل الجنة بغير سوء ولا عذاب أيضاً، بمعنى أنها تعرض عليه أعماله.

الطبقة الثالثة: من يناقش الحساب ثم يعذب وهم موحدون، ولا بد أن يخرجوا من النار.

○ قوله: (**ويعلمون حقاً يقيناً أن مذنبي الموحدين لا يخلدون في النار ولا يتركون فيها أبداً**)، يعني: هؤلاء الذين يناقشون ويعذبون في النار لا يخلدون إذا ماتوا على التوحيد، فمن مات على التوحيد فهو من أهل الجنة، لكن من مات على توحيد خالص سالم من الكبائر فإنه يدخل الجنة من أول يوم فضلاً من الله تعالى ومنة منه سبحانه. ومن مات على توحيد ملطخ بالكبائر فهو على خطر فقد

يعفو الله عنه بتوحيده وإيمانه وإسلامه فيدخل الجنة من أول وهلة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] وقد يعذب، ولكن إذا عذب فلن يخلد في النار، وإنما يعذب على قدر جرائمه، ومن كثرت جرائمه واشتد فحشه فإنه يطول مكثه في النار مثل القاتل، فقد أخبر الله أنه يخلد في النار والخلود هو المكث الطويل.

❒ أقسام الخلود في النار:

الخلود في النار خلودان:

الخلود الأول: خلود مؤمد له أمد ونهاية، وهو خلود العصاة.

الخلود الثاني: خلود مؤبد لا نهاية له، وهو خلود الكفار، نسأل الله السلامة والعافية.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المَائدة: ٣٧] وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٧] هؤلاء هم الكفار نعوذ بالله، ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النَّبَإ: ٢٣].

ثم قال المؤلف: **(ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحدا)**. فعصاة أهل الإيمان لا بد أن يخرجوا من النار ولو طال مكثهم خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يقولون بخلود العصاة في النار، وقولهم هذا من أبطل الباطل وهو من اعتقاد أهل البدع، فهم يقولون: إن العصاة يخلدون في النار مثل الكفرة.



رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[(١)]، والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، والأخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها).

الشَّرْحُ

من معتقد أهل السنة والجماعة أنهم يشهدون أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة وينظرون إليه.

رؤية المؤمنين لربهم ثابتة في القرآن العزيز وفي السنة المطهرة:

❒ أما في القرآن العزيز:

١- قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣].

وجه الدلالة: إذا ذكر الوجه مع حرف الجر دل على أن المراد النظر بالعين التي في الرأس إلى الرب جل جلاله.

٢- قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطفّفين: ١٥]

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٤)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٣).

استدل الشافعي بهذه الآية على إثبات الرؤية للمؤمنين[١]؛ لأن الله حجب الكفار فلما حجب الكفار عن الرؤية دل على أن المؤمنين يرونه، وإلا لو كان المؤمنون محجوبون لكانوا مثل الكفار، ولتساووا، فلما حجب الله الكفار عن الرؤية دل على أن المؤمنين يرون ربهم.

٣- قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] جاء في صحيح مسلم[٢] في تفسير الزيادة: بأنه النظر إلى وجه الله الكريم.

٤- قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [قٓ: ٣٥] والزيادة هي: النظر إلى وجه الله.

❐ وأما السنة:

فإن الأخبار متواترة رواها من الصحابة نحو ثلاثين صحابياً في الصحاح والسنن والمسانيد، وقد ساقها العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه: (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)، وعقب عليها فقال: (فكأنك تسمع رسول الله وهو يقول ويبلغه لأمته ولا شيء أقر لأعينهم منه وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون).أ.هـ[٣]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨١): عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عز وجل»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٣٠٤).

فالجهمية والمعتزلة وكل من ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ كفَّروا من أثبت رؤية الله وقالوا: من أثبت رؤية الله فهو كافر، لأنه تنقص الله، وقالوا: الذي يُرى هو الجسم المحسوس، والله ليس بجسم وليس بمحسوس فلا يرى، مع أن الأخبار بلغت حد التواتر. ولهذا قال العلماء والأئمة: من أنكر رؤية الله فهو كافر، فكفَّر بعضُ الأئمة من أنكر رؤية الله في الآخرة.

وأما أهل البدع من المعتزلة والجهمية والخوارج فإنهم أنكروا الرؤية وكفروا من أثبت الرؤية لأنهم يزعمون أن من أثبت الرؤية فقد تنقص الله، وقالوا: الشيء الذي يُرى لا بد أن يكون جسم، ومن أثبت الرؤية لله فقد جعل الله جسماً وإذا كان جسماً صار مشابهاً للمخلوقات وكذلك يكون محدوداً، ومتحيزاً.

فنقول: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أثبت رؤية المؤمنين لربهم وكذلك رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت ذلك، وكل موجود يمكن رؤيته، والله تعالى أظهر من كل موجود وأحق بأن يرى، لكن رؤية الله في الدنيا ممتنعة شرعاً فلا يستطيع أحد أن يرى الله في الدنيا ولا يستطيع بصره أن ينظر إلى الله في الدنيا لضعفه، لكن في يوم القيامة ينشئ اللهُ الناسَ تنشئة قوية يستطيعون من خلالها رؤية الله، ولهذا لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤيا قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أخبر الله أنه لن يستطيع قال الله: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: لن تستطيع: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فالجبل الصلب ما استطاع أن يثبت لرؤية الله له بل اندكَّ ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والرؤية أيضاً نعيم خاص بأهل الجنة، يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الخبر: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»، في لفظ:

«**لا تضامون في رؤيته**»[١]، في لفظ: «**لا تضارون في رؤيته**»[٢]، وفي لفظ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة أربع عشرة**»[٣]، وفي لفظ: إنهم قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟ قال: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس صحواً ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[٤].

○ وقوله: **(والتشبيه في هذا الخبر وقع للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي)** المعنى: أن رسول الله شبه رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة برؤية الناس للقمر في الدنيا.

■ **مسألة: هل هذا فيه تشبيه لله بالقمر؟**

• **الجواب:** لا، بل التشبيه للرؤية بالرؤية. يعني: كما أننا في الدنيا نرى القمر واضحاً لا لبس فيه، فكذلك نرى الله يوم القيامة رؤية واضحة لا إشكال فيها، وليس المراد تشبيه الله بالقمر تعالى الله، فالله تعالى لا يشابه أحداً من خلقه، وهذا هو معنى قول المؤلف، فالله تعالى لا يماثل أحداً من خلقه قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

○ وقوله: **(والأخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها)**، كتاب الانتصار هو للمؤلف وقد ساق فيه الأدلة والأحاديث التي فيها الرؤية، فمن أراد أن يتوسع فليرجع إلى كتاب الانتصار حتى يرى هذه النصوص.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٤)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٣).
(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٣٩)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٣).
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٨٥١).
(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٣٩)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٣).



الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لا يخرجون منها أبداً، [ويؤمر بالموت فيذبح على سور بين الجنة والنار] وأن المنادي ينادي يومئذ: «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت» على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ).

الشَّرْحُ

عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، دائمتان لا تفنيان، خلافاً للمعتزلة، فإنهم يقولون: الجنة والنار ليستا مخلوقتان الآن، وإنما تخلقان يوم القيامة.

ويمكن أن ينتظم القول في أمور ثلاثة:

الأمر الأول: هناك نصوص تدل على أن الجنة والنار مخلوقتان: قال تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ [البَقَرَة: ٢٤] أعدت شيء مضى.

الأمر الثاني: قول المعتزلة وجودهما الآن وليس فيهما أحد فيه عبث؛ والعبث محال عن الله وهذا قول باطل أيضاً، فمن قال إنه لا توجد الآن حاجة للجنة والنار؟! ومن قال إن وجودهما عبث؟!

فالجنة فيها الحور العين، وفيها أرواح المؤمنين تتنعم فيها[(١)]، وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسبح في الجنة وترد أنهارها[(٢)]، والكافر إذا مات نقلت روحه إلى النار تعذب في النار نعوذ بالله، وجاء في الحديث: «**أن المؤمن إذا مات فتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها، والكافر يفتح له باب من النار فيأتيه من حرها وسمومها**»[(٣)] وهذا أيضاً دليل على أن النار موجودة الآن، والجنة موجودة الآن، والله تعالى قال في كتابه العظيم عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، والعرض غدواً وعشياً في البرزخ.

إذن النار موجودة الآن وقول المعتزلة من أبطل الباطل.

---

(١) لحديث: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ**». أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٧٧٧)وانظر ما قبله وما بعده، والنسائي في سننه، كتاب الجنائز (٢٠٧٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد (٤٢٧١)، والإمام مالك في الموطأ رقم (٤٩)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥١٣) رقم (٤٦٥٧)، والأجري في الشريعة (٣/ ١٣٥٥) (٩٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٦٣)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد(٦/ ١٢٢٠) رقم (٢١٦٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٠٢)، وغيرهم.

(٢) كما جاء في الحديث: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً**»، **فَقَالَ**: «**هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا**». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (١٨٨٧)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) مسند الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٧٥٣)، مصنف عبدالرزاق (٣/ ٥٨٠)،مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٥)، المستدرك للحاكم (١/ ٩٣)رقم (١٠٧)، الإيمان لابن منده (٢/ ٩٦٢)، شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٦١٠)، ورواه غيرهم.

الأمر الثالث: ثبت أن النبي ﷺ في حديث الإسراء قال: «**ثم أدخلت الجنة**»[1]. وفي حديث الكسوف: أن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»[2].

فقول المعتزلة: إن الجنة والنار غير مخلوقتان الآن، من أبطل الباطل.

والصواب: أنهما موجدتان الآن مخلوقتان دائمتان لا تفنيان أبد الآباد خلافاً أيضاً للجهمية الذين يقولون: إن الجنة والنار تفنيان، وهذا من أبطل الباطل، ولهذا كفَّرهم أهل السنة والجماعة.

❍ وقوله: **(وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً)** معناه: أن الجنة لا تفنى، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون منها أبداً، أما العصاة فيخرجون؛ لأن العصاة ليسوا من أهل النار؛ ولأن المعصية شيء عارض، فهم موحدون مؤمنون، والمعصية تحتاج إلى تطهير، مثل الثوب إذا أصابته نجاسة فإنه يغسل بالماء، فالعصاة إن عفا الله عنهم طهروا، وإن لم يعف الله عنهم فلا بد أن يطهروا بالنار حتى تنتهي المعصية، فإذا طهروا من المعاصي أخرجهم الله إلى الجنة فليسوا من أهل النار وإنما أهل النار هم الكفرة الذين يبقون فيها أبد الآباد ـ نسأل السلامة والعافية ـ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [النِّسَاء: ٥٧].

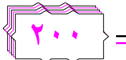
قال المؤلف رحمه الله: **(ويؤمر بالموت فيذبح على سور بين الجنة والنار، وأن المنادي ينادي يومئذ: «يا أهل الجنة خلود ولا موت،**

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٣٤٩)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٦٣).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الكسوف (١٠٥٢)، صحيح مسلم، كتاب الكسوف (٩٠٧).

ويا أهل النار خلود ولا موت» كما جاء في الحديث) والحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ**» وهذا بعد خروج العصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة، «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩] **وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا»**[(١)]. ـ نسأل الله السلامة العافية ـ.



(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٧٣٠)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٤٩).



الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان؟ فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه[(١)]).

الشَّرح

من مذهب أهل الحديث وأهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء: أن الإيمان:

قول باللسان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ويذكر الله، ويقرأ القرآن، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله، كل هذا من الإيمان.

وتصديق بالقلب أي: فأعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان مثل النية، والإخلاص، والرغبة، والرهبة، والمحبة، والخشية،

(١) صريح السنة لابن جرير الطبري (٢٨)، حديث السراج (٣/ ٨٠)، شعار أصحاب الحديث (٨).

وأعمال الجوارح، مثل: الصلاة والصيام والزكاة والحج. كل هذه داخلة في مسمى الإيمان، **فالإيمان مكون من أربعة أشياء:**

الأمر الأول: قول اللسان وهو الإقرار والنطق.

الأمر الثاني: قول القلب وهو التصديق والإقرار.

الأمر الثالث: عمل القلب وهو النية والإخلاص.

الأمر الرابع: عمل الجوارح.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والمعرفة هي تصديق القلب)**.

○ وقوله: **(يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)** فإذا فعل الإنسان الطاعات زاد الإيمان، وإذا فعل المعاصي نقص، ولهذا قال بعضهم: الإيمان قول وعمل. وبعضهم يقول: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، ـ أي: بالجوارح ـ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ومن العلماء من قال: قول وعمل ونية، فالإيمان قول وعمل، والقول شيئان: قول القلب وقول اللسان، والعمل شيئان: عمل القلب، وعمل الجوارح، وهذا هو قول أهل السنة قاطبة خلافاً للمرجئة، الذين يقولون: الإيمان تصديق القلب فقط، **وهم أربع طوائف:**

الطائفة الأولى: الجهمية، وهم المرجئة المحضة،ويقولون: الإيمان مجرد معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ومن جهل ربه بقلبه فهو كافر، وهذا قول الجهم بن صفوان، وأفسد ما قيل في تعريف الإيمان هو تعريف الجهم.

ـ من لوازم قول الجهمية:

١ـ أن يكون إبليس مؤمناً؛ لأنه يعرف ربه بقلبه.

٢ـ أن يكون اليهود مؤمنين لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم.

٣- أن يكون أبو طالب عم الرسول ﷺ الذي مات على الشرك مؤمناً؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، حيث قال:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية ديناً

الطائفة الثانية: الكرامية، الذين يقولون: الإيمان الإقرار باللسان فقط.

فعند الكرامية من نطق بالشهادتين بلسانه فهو مؤمن، وإن كان مكذباً بقلبه **يكون مخلداً في النار، فقولهم فيه تناقص.**

- من لوازم قول الكرامية:

أن المنافق مؤمن كامل الإيمان ولا يخلد في النار.

الطائفة الثالثة من المرجئة: الماتريدية والأشاعرة: يقولون: الإيمان تصديق القلب فقط، وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة.

الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء: وهم أبو حنيفة وأصحابه الذين يقولون: الإيمان شيئان: إقرار اللسان، وتصديق القلب. أما الأعمال فليست داخلة في مسمى الإيمان وإن كانت واجبة لكن ليست من الإيمان، فالصلاة، والصوم والزكاة، والحج، بر وتقوى وهي مطلوبة، والفَرق بينهم وبين الجهمية، أن الجهمية يقولون: ليست مطلوبة، وهؤلاء يقولون: مطلوبة.

وأما عامة أهل السنة والجماعة وهو مذهب الأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وهو الذي عليه الصحابة والتابعون والأئمة: أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح.

ومرجئة الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه يقولون: من ارتكب الكبيرة عليه الوعيد ويقام عليه الحد، ومن فعل الطاعات يمدح وله الثواب لكن لا يسميها إيمان.

أما الجهمية الأولى: فيقولون: الأعمال ليست مطلوبة، فلو فعل الإنسان جميع الكبائر والمنكرات لا يكفر إلا إذا جهل ربه بقلبه، وهذا من أبطل الباطل.

وأهل السنة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وقد نقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإمام أحمد: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد إذا فعل الإنسان الطاعات وينقص إذا فعل المعصية.

أما المرجئة فيقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فهو شيء واحد بالقلب، وإيمان أهل الأرض وإيمان أهل السماء واحد وهو التصديق، فمن صدق بقلبه فهو مؤمن، ولا يزيد إيمانه ولا ينقص، وهذا من أبطل الباطل، بل إن الإيمان يزيد وينقص فإذا فعل الإنسان الطاعات، زاد الإيمان، وإذا فعل المعاصي نقص.

○ قوله: **(عن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص، قيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه زاد الإيمان فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه)**، ولهذا كان يقول معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجلس بنا نؤمن ساعة[(١)] يعني: يزيد إيماننا فيجلسون يذكرون الله.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**» معلقا، وانظر مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٦٤)، والإيمان للقاسم بن سلام (٢٠)، والسنة للخلال (١١٢١)، والإبانة الكبرى لابن بطة (١١٣٥)، وشرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (١٧٠٧).



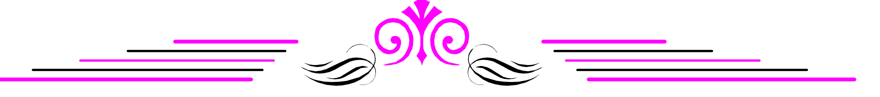
قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكى قال: حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيري قال: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إدريس المكي وأحمد بن شداد الترمذي قالوا: حدثنا الحميدي قال: حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل سألت هشام بن حسان؟فقال: قول وعمل، وسألت ابن جريج فقال: قول وعمل، وسألت سفيان الثوري فقال: قول وعمل، وسألت المثنى بن الصباح فقال: قول وعمل، وسألت محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان فقال: قول وعمل، وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال: قول وعمل، وسألت فضيل بن عياض فقال: قول وعمل، وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال: قول وعمل).



وهذا كله يدل على أن الإيمان قول وعمل وهو الذي عليه جماهير أهل السنة والجماعة خلافاً للمرجئة الذين يقولون: العمل ليس من الإيمان.





قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(وأخبرنا أبو الحيري قال: حدثنا محمد ومحمد بن إدريس سمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد، تقول ينقص فقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء[(١)]).

الشَّرْحُ

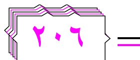
هذا يؤيد مذهب أهل السنة والجماعة **الإيمان ينقص ولكنه لا ينتهي على الصحيح إلا إذا وجد الكفر الأكبر**، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، **لكن المعاصي تضعفه** ولهذا جاء في الحديث: «**أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان**»[(٢)]، فلا ينتهي الإيمان بالمعاصي أبداً ولو كثرت، فإذا جاء الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر أو النفاق الأكبر انتهى الإيمان، **وعليه فلا يجتمع كفر وإيمان** بل إذا جاء الكفر الأكبر ذهب الإيمان، وإذا جاء الإيمان ذهب الكفر، **بخلاف المعاصي فإنه يكون معها إيمان،** فإذا كثرت المعاصي أضعفت الإيمان حتى لا يبقى إلا أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان.

وقول: أبي محمد: أسكت بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء فيه نظر، والصواب أنه لابد أن يبقى منه شيء، ويكون لا يبقى منه شيء بالنسبة للكافر، لأن الكافر ينتهي الإيمان منه، أما العاصي فلابد أن يبقى من إيمانه شيء.

---

(١) الشريعة للآجري (٢/٦٠٧) (٢٤٤)، الإبانة الكبرى لابن بطة (١١٥٥)، شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (١٧٤٥).

(٢) سبق تخريجه.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي ومالكاً وسعيد بن عبدالعزيز ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل).



قول الوليد بن مسلم أنه سمع الأوزاعي ومالكاً وسعيد ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل، أي: أنهم ينكرون على المرجئة، لأنهم يقولون: الإيمان إقرار بلا عمل، وهذا ليس بصحيح، ولهذا قال نقلاً عن هؤلاء الأئمة: لا إيمان إلا بعمل.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قلت: فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيماناً، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص).



أي: فإيمانه ناقص وهذا صحيح، فإنه كلما كثرت الطاعات والحسنات زاد الإيمان، وإذا قلت الطاعات وكثرت المعاصي والغفلة والإعراض نقص الإيمان وهذا قول أهل السنة.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(وسمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكريه الجلاد يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبدالله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلاً، وأنا أبغضهم عن معرفة. أولا: إن أول أمرهم أنهم لا يرون للسلطان طاعة. والثاني: أنه ليس للإيمان عندهم قدر. والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل.

وسمعت الحاكم يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانيء يقول: سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قدم ابن المبارك الري فقام إليه رجل من العباد، الظن أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال له: يا أبا عبدالرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال لا أخرجه من الإيمان، فقال: يا أبا عبدالرحمن على كبر السن صرت مرجئا؟ فقال: لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو علمت أني قبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة.

ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل، عن هذيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو وزن إيمان أبي بكر

بإيمان أهل الأرض لرجح[١].

سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن زكريا الشيباني يقول: سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول: أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين الله به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص).



(١) رواه بتمامه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٦٧٠)، وروى أثر عمر من طريق عبدالله بن المبارك ابن بطة في الإبانة الكبرى (٩/ ٨٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٣٤).

لا يكفر المؤمن بكل ذنب

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار).

الشَّرْح

هذا فيه بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الذنوب وأصحاب الكبائر من المسلمين، فقد بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن عقيدة أهل السنة والجماعة في الموحدين الذين يرتكبون الكبائر ويموتون عليها من غير توبة أنهم تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنهم وغفر لهم بتوحيدهم وإسلامهم وأدخلهم الجنة من أول وهلة، وإن شاء سبحانه وتعالى عذبهم بذنوبهم على قدر جرائمهم ثم يخرجون منها إلى الجنة كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] وإذا عذب العاصي في النار فإنه لا بد أن يخرج منها، إما بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بأنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر مؤمنون، موحدون، مصلون، فلا تأكل النار أثر

السجود فيعذبهم الله مدة ثم يخرجهم.

وقد ثبت أن النبي ﷺ يشفع أربع شفاعات[١]، وكذلك بقية الأنبياء يشفعون، والملائكة يشفعون، والأفراد يشفعون، والصالحون يشفعون، والشهداء يشفعون، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته، فيقول الرب ﷻ: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»[٢] أي: زيادة على التوحيد والإيمان، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة **خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يقولون**: إن صاحب الكبيرة يخلد في النار وهذا مذهب باطل أنكره عليهم أهل السنة وبدعوهم وضللوهم؛ لأن النصوص في إخراج العصاة من النار متواترة، ومع ذلك أنكرها أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، **فالخوارج عندهم** أن الزاني يكفر ويخلد في النار، ومن شرب الخمر كفر وخلد في النار، وكذلك المعتزلة يخرجونه من الإيمان ولا يدخلونه في الكفر لكن يخلدونه في النار كالخوارج، ومن تعامل بالربا عند الخوارج والمعتزلة كفر وخلد في النار فهو عندهم كالكافر سواء بسواء نعوذ بالله، ومن عق والديه كفر عندهم وخلد في النار وهذا مذهب باطل.

ومذهب أهل السنة والجماعة في ضعيف الإيمان أنه لا يكفر ولكن يكون ناقص الإيمان ولا يخلد في النار وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر، بل هو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، ثم أخرجه، كما قال المؤلف رحمه الله هنا.

---

(١) سبق ذكرها.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٣).

ومحل النزاع هو: إذا خرج من الدنيا غير تائب منها، أما من فعل الكبيرة ثم تاب، تاب الله عليه بالاتفاق، فمن تاب قبل الموت من الشرك والذنوب تاب الله عليه، فإن الله تعالى قد عرض التوبة على المثلثة النصارى الذين يقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤] **فالتوبة تَجُب ما قبلها وليس هناك ذنب لا يغفر أبداً،** قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٥٣] يعني: لمن تاب، وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية في التائبين، **فمن تاب تاب الله عليه حتى عند الخوارج المعتزلة.**

لكن من مات على كبيرة من غير توبة هذا هو محل النزاع، فأهل السنة يقولون: هو ناقص الإيمان، أو ضعيف الإيمان، وهو تحت المشيئة قد يعفى عنه وقد يعذب، قد يعذب في قبره، وقد تصيبه شدائد وأهوال في موقف القيامة، وقد يعذب في النار.

أما الخوارج والمعتزلة فيقولون: هو كافر مخلد في النار ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

ويجب على طالب العلم أن يعتني بهذا الأمر حتى لا يقع في معتقد أهل البدع.



قال المصنف رحمه الله:

([وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله ﷻ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار وإن شاء عفا عنه، وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار]).

الشَّرح

الدليل على هذا هو الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨] **فهذه الآية في غير التائبين؛ لأن الله سبحانه وتعالى خص وعلق**، فخص الشرك بأنه لا يغفر، وعلق ما دونه بالمشيئة، فدل على أنها ليست في التائبين، أما آية الزمر وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] **فهي في التائبين**، فإن الله عمم وأطلق فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] يعني: لمن تاب، **فمن تاب توبة نصوحاً بأن:**

١- أقلع عن الذنب.

٢- ندم عليه.

٣- عزم على ألا يعود إليه.

٤- رد المظلمة إلى أهلها.

٥- كانت توبته قبل الموت وقبل طلوع الشمس من مغربها.

فإن الله تعالى يغفر ذنبه مهما كان.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وكان شيخنا سهل بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار، ومعنى ذلك: أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار، ويلقى فيها منكوساً في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال، والمؤمن المذنب إذا ابتلي بالنار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير إلقاء وتنكيس ومعنى قوله: لا يلقى في النار إلقاء الكفار أن الكافر يحرق بدنه كله كلما نضج جلده بدل جلداً غيره ليذوق العذاب كما بينه الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّسَاء: ٥٦]، وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار، ولا تحرق أعضاء السجود منهم إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده، ومعنى قوله: لا يبقى في النار بقاء الكفار. أن الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبداً، ولا يخلد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحداً، ومعنى قوله: ولا يشقى في النار شقاء الكفار: أن الكفار ييأسون فيها من رحمة الله ولا يرجون راحة بحال؛ وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة؛ لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلاً من الله ومنة).

الشَّرْح

هذا الكلام الذي نقله المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخه سهل بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ يبين فيه: الفرق بين المؤمن العاصي الذي يعذب بالنار وبين

الكافر، **وأن بينهما فروق ثلاثة:**

الفرق الأول: أن الكافر يؤتى به ويقذف في النار على أم رأسه، ويدخل فيه سلسلة من النار ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٢].

أما المؤمن فيدخلها على رجليه مثل المجرم الذي يدخل السجن في الدنيا.

الفرق الثاني: أن الكافر تغمره النار من جميع الجهات وتحرق بدنه.

أما المؤمن فلا تغمره من جميع الجهات، بل تلهبه النار على حسب أعماله، فقد تصل النار إلى ركبتيه، أو إلى كعبيه أو إلى حقويه على حسب المعاصي.

الفرق الثالث: أن الكافر ييأس من رحمة الله فليس له طمع بأن يخرج من النار بل هو يائس والعياذ بالله أبد الآباد.

وأما المؤمن فإنه لا ييأس بل يرجو رحمة الله ويرجو الخروج من النار؛ لأن دخوله مؤقت؛ فإن المؤمن الموحد الأصل أنه من أهل الجنة فهو خلق لها، لكن هذه المعاصي خَبَثٌ لابد أن يُطَهَّر منها؛ **فمنهم من يطهر منها بعفو الله** فإذا عفا الله عنه طهر منها، **وإذا لم يعفُ عنه فلا بد أن يطهر بالنار،** مثل النجاسة التي تصيب الثوب والبدن لا بد من غسلها، فنجاسة المعاصي تغسل بالنار إذا لم يعف الله عنها حتى تزول، فإذا طهر صاحبها أخرج منها بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين.

○ قـــــول الله: (﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]) **معنى التبديل**: التجديد، وليس المعنى أنه يؤتى بجلود أخرى، وإنما المعنى أنه كلما نضجت جدد من جديد حتى

يستمر في العذاب ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ، والكافر تلفح وجهه النار.

أما المؤمن فلا تلفح وجهه النار، والمؤمن المصلي لا تأكل النار مواضع السجود منه، وهي: الجبهة، واليدين، والركبتين، وإنما تأكل بقية جسده، ولهذا جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه: «**وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ**»[١]. أما الكافر فتلهمه النار من جميع الجهات ـ نعوذ بالله ـ.

ㅇ قوله: **(لا يبقى في النار بقاء الكفار)** أي: أن الكافر يخلد فيها، ولا يخرج منها أبداً.



(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٨٠٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٨٢).

حكم ترك الصلاة

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمداً، فكفره بذلك أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ **وجماعة من علماء السلف، وأخرجوه به من الإسلام؛ لقوله** ﷺ **في الخبر الصحيح: «بين العبد والشرك ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر»**[1].

وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى أنه لا يكفر ما دام معتقداً لوجوبها، وإنما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام. وتأولوا الخبر السابق أن معناه: من ترك الصلاة جاحداً لها، كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧﴾ [يوسف: ٣٧] **ولم يك بتلبس بكفر ففارقه، ولكن تركه جاحداً له).**

الشَّرح

هذه المسألة وهي مسألة حكم تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً، مسألة عظيمة وجديرة بالعناية والبحث؛ ولهذا اعتنى بها العلماء.

فأما من ترك الصلاة جاحداً لوجوبها فهذا كافر بإجماع المسلمين حتى ولو صلى، وليس هذا محل النزاع، ولو جحد الزكاة فهو كافر ولو زكى، ولو جحد الصوم وقال: الصوم ليس واجباً،

---

(١) رواه بلفظه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٨٠)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ١٣٧)، وسيأتي تخريجه قريبا.

فمن شاء صام ومن شاء أفطر، فهذا كافر بإجماع المسلمين، وكذلك لو جحد تحريم الزنا فهو كافر ولو لم يزن، أو جحد تحريم الربا فهو كافر ولو لم يراب، أو جحد شرب الخمر فهو كافر ولو لم يشرب الخمر، **فمن جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وجوبه، أو أمراً معلوماً من الدين بالضرورة تحريمه، فهو كافر بالإجماع.**

وأما لو جحد شيئاً مختلفاً فيه فلا يكفر، كأن يجحد الوضوء من أكل لحوم الإبل فلا يكفر؛ لأن المسألة خلافية، فبعض أهل العلم يرى الوجوب، وبعضهم لا يرى الوجوب، وكذا لو جحد تحريم الدخان فإنه لا يكفر؛ لأن المسألة فيها شبهة، وإن كان الصواب أن الدخان حرام، فهذا لا يكفر لأجل الشبهة التي عنده، وأما من جحد تحريم الخمر فإنه يكفر؛ لأنه مجمع على تحريمه.

إذن محل النزاع الذي ذكره المؤلف هو في: رجل ترك الصلاة وهو يؤمن بوجوبها وأنها فريضة ولكنه تركها كسلاً وتهاوناً، **فما حكمه؟ هل يكفر أو لا يكفر؟**

• **الجواب:** في هذه المسألة قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنه يكفر كفراً أكبر مخرجاً من الملة، وهذا هو الذي **أجمع عليه الصحابة،** وقد نقل الإجماع على هذا التابعي الجليل عبدالله بن شقيق العقيلي، فقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً تركه كفر غير الصلاة[(١)]. ونقله أيضاً إسحاق بن راهويه الإمام المشهور[(٢)]، وهو قرين الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ونقل

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان (٢٦٢٢)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٩٤٨)، السنة للخلال (١٣٧٨).

(٢) قال محمد بن نصر المروزي في كتابه القيم «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٩٢٩) (٩٨٩): سَمِعْتُ إِسْحَاقَ، يَقُولُ: قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَأْيُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ لَدُنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا كَافِرٌ. ا.هـ.

الإجماع أيضاً أبو محمد بن حزم رحمه الله[(١)].

إذن فالصحابة مجمعون على أن من ترك الصلاة تكاسلاً وتهاوناً فهو كافر كفراً مخرجاً من الملة، وهو رواية عن الإمام أحمد، وأحد الوجهين في مذهب الشافعي، ومذهب جماعة كبيرة من السلف كإسحاق بن راهويه وعامر الشعبي و أبي عمرو الأوزاعي وجماعة من التابعين والأئمة.

وهذا المذهب تدل عليه النصوص، فمن تلك النصوص الصريحة:

الدليل الأول: ما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[(٢)]. **وجه الدلالة فيه من وجهين:**

الوجه الأول: أنه أتى بـ(أل) في الشرك والكفر، وهذه تفيد الاستغراق، ولو كان كفراً أصغر لأتى بالكفر منكراً، مثل حديث: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»[(٣)]، فأل إذا دخلت على الكفر دلت على الاستغراق وأن المراد هو الكفر الأكبر.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ جعل الصلاة حداً فاصلاً بين الكفر وبين الإيمان، فالبينية تفصل بين الشيء وغيره، أي: بين كذا وبين

---

(١) كما قال في المحلى (٢/ ١٥): مَا نَعْلَمُ؛ لِمَنْ ذَكَرْنَا مِنْ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم مُخَالِفًا مِنْهُمْ، وَهُمْ يُشَنِّعُونَ بِخِلَافِ الصَّاحِبِ إذَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ عُمَرَ وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أَنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ فَرْضٍ وَاحِدَةٍ مُتَعَمِّدًا حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ.أ.هـ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٨٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٦٧).

كذا، وبين الرجل وبين الكفر.

الدليل الثاني: عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» أخرجه أهل السنن(١) وأحمد بسند جيد(٢)، فجعل الصلاة حداً فاصلاً بين المسلم والكافر.

الدليل الثالث: في صحيح البخاري عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»(٣)، والذي يحبط عمله هو الكافر، وأما المؤمن فلا يحبط عمله بالمعصية، فلما عبر النبي ﷺ بحبوط العمل دل على أنه كافر، والدليل على أن الذي يحبط عمله إنما هو الكافر: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

الدليل الرابع: أن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله**»(٤).

الدليل الخامس: حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: (أن النبي ﷺ ذكر الصلاة يوماً فقال: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا،**

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان (٢٦٢١)، سنن النسائي (١/ ٢٣١) (٤٦٣)، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٢٩٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٣).

(٤) المستدرك للحاكم (٦٨٣٠)، المعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ١٩٠)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٨٨٥)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥٢٤).

وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»[١]، **وجه الدلالة:** وهؤلاء هم رؤوس الكفر، فكونه يحشر مع هؤلاء الكفرة دليل على أنه كافر مثلهم.

قال بعض العلماء: إنما يحشر مع هؤلاء الأربعة لأنه إن اشتغل عن الصلاة برئاسته وملكه حشر مع فرعون ملك مصر الذي ادعى الربوبية، وإن اشتغل عن الصلاة بوزارته حشر مع هامان وزير فرعون، وإن اشتغل عن الصلاة بأمواله فإنه يحشر مع قارون صاحب الأموال من بني إسرائيل، وإن اشتغل عن الصلاة بتجارته وشهواته ووظائفه حشر مع أبي بن خلف، فهذا يدل على كفر تارك الصلاة.

الدليل السادس: حديث عوف بن مالك الأشجعي في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم** ـ المراد بالأئمة هنا: ولاة الأمور ـ **وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**» قلنا: يا رسول الله! أفلا نبادرهم بالسيف؟» قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»[٢]، يعني: لا تقاتلونهم ما داموا يقيمون الصلاة. وهذه الجملة لها مفهوم ومنطوق، فمنطوقها أنهم إذا أقاموا الصلاة فهم مسلمون لا يقاتلون، ومفهومها: أنهم إذا لم يقيموا الصلاة فهم كفار يقاتلون.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦٥٧٦)، صحيح ابن حبان (١٤٦٧)، سنن الدارمي (٢٧٦٣)، المنتخب من مسند عبد بن حميد (١/ ٢٨٥)، المعجم الكبير للطبراني (١٤/ ١٢٧)، شعب الإيمان (٤/ ٣١٢)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/ ١٣٣) (٥٨)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٦٨٣)، الشريعة للآجري (٢/ ٦٥١) (٢٧٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٨٥٥).

الدليل السابع: الحديث الذي في الصحيحين في المنع من الخروج على الأمراء، وهو أن النبي ﷺ منع من الخروج على ولاة الأمور فقال: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**»[(١)] وقال في الحديث السابق: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»، فإذا جمعت بين حديث: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**» وحديث: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**» دل على أن ترك الصلاة كفر بواح.

الدليل الثامن: إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك.

فهذه الأدلة واضحة صريحة.

القول الثاني: وهو قول المتأخرين فقد ذهبوا إلى أن ترك الصلاة كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو القول المشهور عن الإمام أحمد وأبي حنيفة ومالك والشافعي

استدلوا بما يلي:

الدليل الأول: أنه مؤمن مصدق، وما دام أنه مصدق فلا نجعله كالكافر.

الدليل الثاني: نصوص فضل التوحيد، وأن الموحد لا يخلد في النار إذا قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، فقد جاء أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟! قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»[(٢)]، وآخر: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ**

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن (٧٠٥٦)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٧٠٩).
(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم (٩٩).

دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١)، وفي آخر: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**(٢). وجاء في حديث عتبان رضي الله عنه: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»(٣).

الجواب عن أدلة أصحاب القول الثاني:

أن الأحاديث التي فيها فضل التوحيد مقيدة بعدم ترك الصلاة؛ لأن أداء الصلاة شرط في صحة التوحيد، فمن ترك الصلاة فهو ليس بموحد. وقوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(٤)، ولا يمكن أن يوجد إنسان يترك الصلاة وهو يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.

إذن: فالصلاة شرط في صحة التوحيد والإيمان، ومن لم يصل فليس بموحد ولا مؤمن، وتنتقض عليه كلمة لا إله إلا الله، ولو قال: لا إله إلا الله ولم يصل بطلت صلاته، وذلك مثل من قال: لا إله إلا الله ثم يسب الله، أو يسب الدين، أو يسب الإسلام، فإنه ينتقض توحيده، فكذلك من قال: لا إله إلا الله ولم يصل فإن توحيده ينتقض؛ لأنه ترك شرطاً فيها، كالذي يصلي ولم يتوضأ فإن صلاته لا تصح؛ لأن الطهارة شرط في الصلاة، وكذلك الصلاة شرط في صحة التوحيد، فمن قال: لا إله إلا الله ولم يصل لم يصح توحيده ولا إيمانه.

وبهذا يتبين لنا أن القول بكفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً هو القول الراجح والله أعلم.

---

(١) مسند الإمام أحمد، برقم (٢٢٠٦٠)، مسند الحميدي (٣٧٣)، صحيح ابن حبان (٢٠٠)، شعب الإيمان للبيهقي (١/٢٤٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٢٠٤٥)، وغيرهم.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٤٢٥)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٣٣).

(٤) الحديث السابق.

❁ حكم تأخير الصلاة عن وقتها عمداً:

○ قوله: (حكم تارك الصلاة) وإنما تكلمت ـ يعني: في هذه المسألة ـ لأن هذه المسألة قد عمت بها البلوى، فهناك كثير من الناس ـ والعياذ بالله ـ صاروا لا يبالون بالصلاة، فمنهم من يتركها حتى يخرج وقتها، وحديث بريدة في البخاري، قال ﷺ: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»[1] يدل على أنه يكفر، ومن ذلك الشخص الذي لا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس، وقد حدد وقتها بطلوع الشمس، فلو صلى الإنسان قبل دخول الوقت لما صحت صلاته، وإذا صلى بعد خروجها فلا تصح إلا من عذر وهذا لا عذر له، فليس نائماً أو متأولاً أو ناسياً، ولو كان كذلك لكان معذوراً، فمن نام عن صلاة فإنه يصليها إذا ذكرها، لكن إذا كان الإنسان لا يصلي الفجر يومياً متعمداً إلا بعد طلوع الشمس، كأن يرتب الصلاة على العمل، فيستيقظ مرة واحدة لعمله وصلاته وفطوره، فقد أفتى جمع من أهل العلم بأنه يكون مرتداً؛ لأنه لم يؤد الصلاة في وقتها، وممن أفتى بهذا: سماحة شيخنا العلامة عبدالعزيز بن باز ـ رحمة الله عليه وجمعنا وإياه في جنته ـ فإنه يفتي بأن الشخص الذي لا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس دائماً أنه كافر؛ لأنه لم يؤد الصلاة في وقتها.

أما الذي تفوته الصلاة مع الحرص عليها وبدون اختياره فهذا معذور، لكن الذي ينام عنها باستمرار، أو جعل المنبه يوقظه بعد الفجر فقد تعمد التأخير، وهذا أمر جد خطير.

---

(١) سبق تخريجه قريبا.

۞ حكم ترك الصلاة تعمداً :

○ قوله: **(واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمداً، فكفره بذلك أحمد بن حنبل)** يعني: في أحد الروايتين، وإلا فالمشهور من مذهب الإمام أحمد: أنه كفر أصغر.

○ قوله: **(فكفره بذلك أحمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف وأخرجوه به من الإسلام للخبر الصحيح المروي عن النبي ﷺ أنه قال: «بين العبد والشرك ترك الصلاة؛ فمن ترك الصلاة فقد كفر». وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى أنه لا يكفر بذلك)** يعني: لا يكون كفراً أكبر، لكنه يكفر كفراً أصغر **(ما دام معتقداً لوجوبها، وإنما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام)** يعني: أن طائفة قالت: يقتل حداً مثلما يقتل الزاني المحصن والقاتل.

وتأولوا الخبر في أن المقصود من قوله ﷺ: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**»، هو: «**فمن ترك الصلاة**»، أي: جاحداً لها. ويقولون: لو أراد الرسول كفره لقال جاحداً، والرسول لم يقل جاحداً، وهذا من التأويل السائغ، وهو تأويل أصحاب القول الأول.

وقالت طائفة ثانية: عندنا دليل، وهو أن الله سبحانه أخبر عن يوسف عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يُوسُف: ٣٧] قالوا: إن المراد بقوله: ﴿تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ يعني: تركتها جاحداً لها، ولا يلزم من ذلك أن يكون تلبس بالكفر، فكذلك قوله: من ترك الصلاة يعني: من ترك الصلاة جاحداً لوجوبها لكن هذا التأويل ليس بظاهر، والصواب: **القول الأول.**

مسألة خلق أفعال العباد

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد: أنها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه).

الشرح

أهل السنة يقولون: إن الله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم، فأفعال العباد مخلوقة لله، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦]، لكن العبد له اختيار ومشيئة وفعل إلا أن مشيئته تابعة لمشيئة الله، أنت الآن تقرأ، وتستطيع أن تتوقف عن القراءة وتقفل الكتاب، فلك اختيار ولا أحد يمنعك، فالإنسان يفعل باختياره وليس مجبوراً، إلا أن مشيئته واختياره تابعة لمشيئة الله، وهو مخلوق لله بذاته وأفعاله كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦]، **هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.**

وهناك طائفتان منحرفتان في هذه المسألة، هما:

الطائفة الأولى: **القدرية الجبرية،** قالوا: إن العبد مجبور على أفعاله وليس له اختيار، كالريشة في الهواء، وقالوا: بأن الأفعال أفعال الله، فإذا صليت فهذا فعل الله، والله هو المصلي والصائم، فالأفعال التي تفعلها إنما هي وعاء للأفعال وإلا فالله هو الفعال، فالعباد بمثابة وعاء للأفعال والله تعالى هو الذي يفعل بهم ذلك،

وقالوا: مثل الله في ذلك مثل إنسان عنده كوب يصب فيه الماء، فالعباد كأنهم كوب والله كصباب الماء فيه، تعالى الله عما يقولون.

الطائفة الثانية: **القدرية النفاة**، قالوا: إن العباد خالقون لأفعالهم، الطاعات والمعاصي، فما خلقها الله ولا أرادها ولا شاءها، والعبد هو الذي يخلق فعل نفسه استقلالاً.

وتوسط أهل السنة والجماعة فلم يقولوا بقول القدرية النفاة ولا بقول الجبرية، بأن العباد خالقون لأفعالهم، **بل قالوا**: إن الله خالق العبد وخالق فعله، **ولم يقولوا**: إن العبد مجبور كما قالت الجبرية، **بل قالوا**: إن العبد له اختيار ومشيئة فهو يفعل باختياره ومشيئته؛ لأن الله أعطاه القدرة على الفعل لكن الله خلقه وخلق قدرته.

الخلاصة:

أن المذاهب في أفعال العباد ثلاثة:

- **مذهب القدرية**: وهو أن الأفعال خلقها العباد من الطاعات والمعاصي لأنفسهم استقلالاً من دون الله.

- **مذهب الجبرية**: وهو أن العبد مجبور على أفعاله، والأفعال أفعال الله والعبد مجبور كالريشة في الهواء، وكحركة المرتعش والنائم، وكنبض العروق، وكحركة الرياح للأشجار.

- **مذهب أهل السنة**: وهو أن الله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم، وأعطاهم القدرة على الأفعال، فالأفعال أفعالهم تنسب إليهم، والعبد هو المصلي والصائم والبر والفاجر، فالأفعال أفعال العبد، والله تعالى خلق العبد بذاته وصفاته وأفعاله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦].

مسألة الهداية والضلال

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه، ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣] الآية، وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية. سبحانه خلق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فريقين: فريقاً للنعيم فضلاً، وفريقاً للجحيم عدلاً، وجعل منهم غوياً ورشيداً، وشقياً وسعيداً، وقريباً من رحمته وبعيداً، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]).

الشرح

أهل السنة والجماعة يشهدون أن الله تعالى هو الهادي وهو المضل، كما قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨]، فمن هداه الله فبفضله، ومن أضله الله فبعدله سبحانه، والهداية ملك لله يعطيها من يشاء، فإذا أعطى العبد الهداية فهذا فضله، وإذا منع العبد من الهداية وأضله، فله سبحانه الحكمة ولا يعد هذا ظلماً؛ لأنه لم يمنعه شيئاً يملكه، والله تعالى خص العبد المؤمن بنعمة دينية، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ [الحُجرَات: ٧-٨]. فللَّه نعمة دينية على المؤمن خصه بها دون الكافر، وخذل الكافر حكمة منه وعدلاً، وله الحكمة البالغة فلا يسأل عما يفعل، وليس هذا ظلماً وإنما هو عدل منه سبحانه وتعالى، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء إلى دينه، ويضل من يشاء لا حجة لمن أضله الله عليه ولا عذر له لديه)**؛ لأن الله تعالى أعطى الإنسان السمع والبصر والفؤاد والعقل، وميزه عن الحيوانات؛ ولهذا فإنه إذا فقد العقل ارتفع عنه التكليف، فالصغير الذي لم يبلغ، والمجنون، والشيخ الكبير الهرم الذي زال عقله لا تكليف عليهم، فإذا فُقد العقل زال التكليف.

○ قوله: **(قال الله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩])** والشاهد من الآية: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعَام: ١٤٩]. إذن: لو شاء لهدى الناس أجمعين، لكن اقتضت حكمته أن يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

○ قوله: **(وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السَّجدَة: ١٣])** والشاهد أن الهداية بيد الله.

○ قوله: **(وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩])** فقد أضلهم الله حكمة منه وعدلاً، والطوائف هنا في مسألة الهداية ثلاث: أهل السنة والقدرية والجبرية.

فالقدرية قالوا: إن الله لا يهدي من يشاء ولا يضل من يشاء، بل المؤمن يهدي نفسه والكافر يضل نفسه، ويقولون في قوله تعالى:

﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ٨] إن معناها: أنه يسميه هادياً أو يسميه ضالاً.

والجبرية قالوا: بأن الله تعالى يتصرف في ملكه بما يشاء، ولا يسمى هذا ظلماً، فلو عذب الأنبياء والأبرار، وحملهم أوزار الكفرة والفسقة ما كان هذا ظلماً؛ لأنه يتصرف في ملكه، والظلم: هو تصرف المالك في غير ملكه، والرب يتصرف في ملكه فلا يكون ظالماً، ويجوز أن يعطيهم شيئاً من التشجيعات والجزاءات، ويجوز على الله أن يحمل الأبرار والأنبياء أوزار الكفار والفجرة، وينعم الكفار والفسقة؛ لأنه يتصرف في ملكه، وهذا من أبطل الباطل.

وأهل السنة والجماعة يقولون: بأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، كأن يمنع أحداً من ثواب عمله أو يحمله أوزار غيره، وهذا الظلم الذي تنزه الله عنه وهو قادر عليه، ولهذا قال سبحانه في الحديث القدسي: «**إني حرمت الظلم على نفسي**»[1]. وقال: ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ [غافر: ١٧]، وقال: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: ١١٢].

والظلم عند الجبرية لا وجود له، ولا يقدر الله عليه بل الظلم ممتنع؛ لأن الظلم تصرف المالك في غير ملكه والله يتصرف في ملكه، ولا شيء خارج عن ملكه، وهذا من أبطل الباطل.



(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٧٧).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال جل وعلا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩-٣٠]. وقال جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ٣٧]).



هكذا: قوله تعالى: (﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **وقال جل وعلا:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) الشاهد: أن الله جعلهم فريقين، ففريقاً هداه الله وفريقاً أضله، فالله هو الهادي والمضل.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو ما سبق لهم من السعادة والشقاوة[١].

أخبرنا أبو محمد المخلدي أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا يوسف بن موسى أخبرنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات: رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»، [وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها]).

الشَّرْحُ

هذا الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم[٢]، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والطيالسي وابن أبي عاصم في السنة، ورواه جمع غيرهم[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ٤١٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق (٣٢٠٨)، صحيح مسلم، كتاب القدر (٢٦٤٣).

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٧٠٨)، سنن الترمذي، أبواب القدر (٢١٣٧)، سنن ابن ماجه، المقدمة (٧٦)، سنن النسائي الكبرى (١٠/ ١٣٠)، مسند الإمام أحمد (٣٦٢٤)، مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٢٣٨) (٢٩٦)، السنة لابن أبي عاصم (١٧٥).

۞ وهذا الحديث فيه فوائد:

١- إثبات القدر، وأن كل أمر واقع بقضاء الله وقدره خيره وشره.

٢- أنه: دليل على أن كل إنسان صائر لما قدره الله، وأن الإنسان بعد مضي أربعة أشهر يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته، وهذا لا ينافي ما كتب في اللوح المحفوظ بل هو تفصيل منه يوافق ما في اللوح المحفوظ، فكل إنسان بعد أن تمضي عليه أربعون نطفة وأربعون علقة وأربعون مضغة، يأتيه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة رزقه، يقول: يا رب ما الرزق؟ فيكتب، ما الأجل؟ هل يموت صغيراً؟ هل يموت في بطن أمه أو يموت طفلاً؟ أو يموت شاباً أو شيخاً أو كهلاً أو هرماً؟ وما هو الرزق؟ وما العمل؟ فكل هذا يكتب وهو في بطن أمه، وهذا دليل على أن الله قدَّر كل الأشياء.

٣- أن فيه رد على القدرية الذين يقولون: إن العبد يهدي نفسه، فالشقاوة والسعادة مكتوبة عليه وهو في بطن أمه، ولكن الإنسان لا بد أن يصير إلى ما قدره الله، ولهذا سأل الصحابة النبي ﷺ فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَعْمَلُ فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ، أَوْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**»، قالوا: فَفِيمَ نَعْمَلُ إِذًا؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[(١)]، وفي رواية في الصحيحين زيادة أنه ﷺ: قال: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ**

(١) رواه بلفظه الإمام أحمد في مسنده (١٦٦٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٣٧) (٤٢٣٥).

فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٥-٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦])[1].



(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٣٦٢)، صحيح مسلم، كتاب القدر (٢٦٤٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

([وأخبرنا أبو محمد المخلدي أخبرنا أبو العباس السواد حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ـ هو ابن راهويه ـ أنبأنا عبدالصمد بن عبدالوارث حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا**: أن رسول الله** ﷺ **قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل النار، فإذا كان قبل موته عمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته عمل بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة»]).**

الشَّرْحُ

هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في المسند، **وهذا الحديث دليل على مسائل:**

١- إثبات القدر.

٢- أن الهداية والإضلال والشقاء والسعادة بيد الله.

٣- أن الإنسان لا بد أن يصير إلى ما كتب له، فالمؤمن لا بد أن يموت على التوحيد ثم يدخل الجنة، والكافر لابد أن يموت على الكفر فيدخل النار، نسأل الله السلامة والعافية.

٤- الرد على القدرية الذين يقولون: إن الإنسان يهدي ويضل نفسه، ويشقي ويسعد نفسه، وهذا من أبطل الباطل.





مذهب أهل السنة في الخير والشر والنفع والضر

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويشهد أهل السنة ويعتقدون: أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لا مرد لهما ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا عليه، لما ورد به خبر عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]).

الشَّرْح

هذا مذهب أهل السنة والجماعة في الخير والشر، فيشهد أهل السنة والجماعة ويعتقدون: أن الخير والشر والنفع والضر والحلو والمر كله بقضاء الله وقدره، فكل شيء مقدر، حتى العجز والكيس، **والعجز هو**: الشيء الذي تعجز عنه، **والكيس هو**: النشاط والقوة فكل شيء مكتوب، مثاله: يريد الإنسان أن يفعل خيراً ثم يقول: لا، أنا كسلان اليوم فهذا مكتوب، فالعجز والكسل مكتوبان، وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، وكل شيء قدره الله، قال الله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

فالشر والخير والنفع والضر كله بقضاء الله وقدره ولا مرد لهما

ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتب له ربه، فكل ما يصيب الإنسان من أوجاع وأمراض، وكذلك الموت الذي يصيبه، والهم والغم والحزن، وإيذاء الناس له، والنقص الذي يحصل عليه في ماله وبدنه، فكل هذا مكتوب، ولا يصيب المرء إلا ما كتب له ربه.

○ قوله: **(ولو جهد الخلق)**، يعني: لو اجتهدوا **(أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله لم يقدروا عليه، ولو عملوا جهدهم في أن يضروه بما لم يقضه الله عليه لم يقدروا)**. فلو اجتمع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم في أن يوصلوا إليك خيراً ما أراده الله لما استطاعوا، ولو اجتمع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم إنسهم وجنهم على أن يضروك بشيء ما كتبه الله عليك لم يقدروا، قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]. وكما ورد بذلك الخبر عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: وهو حديث لا بأس به، وقال الترمذي: حسن صحيح، يقول رضي الله عنه: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1] يعني: انتهى الأمر فكل شيء مكتوب.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، مسند الإمام أحمد (٢٧٦٣)، المستدرك للحاكم (٦٣٠٣)، مسند أبي يعلى الموصلي (٤/ ٤٣٠) (٢٥٥٦)، السنة لابن أبي عاصم (١٣٥)، المعجم الكبير للطبراني (١١/ ١٢٣)، شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣٧٤)، وغيرهم.

وقـــال الله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يُونس: ١٠٧] يعني: إذا مسك ضر فلن يستطيع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم أن يرفعوا هذا الضر عنك إلا إذا أراده الله، وإذا أصابك خير قدره الله لك فلن يستطيع الخلق كلهم أن يمنعوا هذا الخير إلا إذا أراد الله.



معنى قول النبي ﷺ: «والشرُّ ليس إليك»

قال المصنف رحمه الله:

(ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه: أنه لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد، فيقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح: «تباركت وتعاليت والشر ليس إليك»[(١)]. ومعناه والله أعلم: والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر! ويا مقدر الشر! وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعاً، لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه، فقال فيما أخبر الله عنه في قوله جل وعلا: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله ﷻ فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، ولذلك قال مخبراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه).



يبين المؤلف رحمه الله: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة مع

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١).

كونهم مؤمنين بأن الخير والشر والضر والنفع من الله لا يضيفون الشر إلى الله تنزيهاً له، وإنما يضاف إلى الله الخير ولا يضاف الشر إليه، فلا يقال: إن الله تعالى مقدر الشر، لكن الشر يدخل في العموم، ويؤتى بصيغة المبني للمجهول، كقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفَلَق: ٢] فأضاف الشر إلى الخلق، تنزيهاً لله سبحانه، وإلا فالله خالق الخير والشر. قال ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»(١)، ولم يقل: من الشر الذي خلقه الله، أضاف الشر إلى الخلق، فقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفَلَق: ٢].

ومثله قول الله تعالى حكاية عن مؤمني الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠] فانظر إلى مؤمني الجن، فإنهم لم يضيفوا الشر إلى الله، بل قالوا: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ وهذه صيغة المبني للمجهول، ولما جاء الخير أضافوه إليه، فقالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾.

ومثله ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**والشر ليس إليك**».

ومثله قصة الخضر، فالخضر أضاف العيب إلى نفسه ولم يضفه إلى الله، فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، ولما جاء بالخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

فمذهب أهل السنة وطريقتهم أنه لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد؛ تنزيهاً لله، فلا يضاف إليه الشر، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، فلا تضيفها

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨).

إلى الله تنزيهاً له، بل على جهة العموم ولا تخصص، فتقول: إن الله خالق كل شيء، كما قال الله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[1].

❐ **في معنى قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»، قولان:**

القول الأول: الشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر، أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لها جميعاً.

القول الثاني: أن معنى الشيء الذي ليس إلى الله هو: الشر المحض الذي لا حكمة في تقديره وإيجاده ولا خير فيه، والشرور الموجودة في الدنيا شرور بالنسبة للعبد، فالكفر مثلاً شر نسبي بالنسبة للمخلوق، والمعصية شر نسبي، فهي شر بالنسبة إلى العبد الذي فعل الكفر فضره هذا الكفر وساءه، لكن بالنسبة إلى الله فإنه يضاف إليه إضافة خلق، فالله تعالى خلق الكفر لحكمة، فهي بالنسبة إلى الله خير، وبالنسبة إلى العبد شر، فالكفر الذي صدر من العبد بالنسبة إلى الله يضاف إليه إضافة الخلق، فقد خلقه لحكمة عظيمة يترتب عليها: انقسام الناس إلى شقي وسعيد، ويترتب عليها قدرة الله على إيجاد المتضادات، ويترتب على الكفر أيضاً التوبة والمعصية، فالتوبة يترتب عليها عبودية الولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحب في الله والبغض في الله، فهذه مصالح عظيمة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١).

فالله تعالى خلق الكفر لحكمة؛ فيكون خلق الكفر بالنسبة لله خير؛ لأنه مبني على الحكمة، وبالنسبة إلى العبد شر.

○ قوله: («والشر ليس إليك»)، يعني: الشر المحض الذي لا حكمة في إيجاده وتقديره.

إذن: فكل الشرور الموجودة الآن في الدنيا نسبية فليس يوجد شر محض أبداً، ولهذا قال النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**»، يعني: الشر المحض الذي لا حكمة في إيجاده وتقديره فهذا لا يوجد، **وهذا هو الصواب.**

والمؤلف رحمه الله أتى بالمعنى الآخر وأن الشر ليس مما يضاف إلى الله إفراداً وقصداً، ولكن يضاف إلى الله مع غيره، أما أن يفرد الشر فهذا ممنوع، فالشر لا يضاف إلى الله، وإن كان الله خالق الخير والشر، ولكن يدخل في جملة المخلوقات التي قدرها الله.



المشيئة والإرادة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدره وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة ويسخط الكفر والمعصية، قال الله ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٧]).

الشَّرْح

عقيدة أهل السنة والجماعة أن **الإرادة نوعان:**

النوع الأول: إرادة كونية خلقية قدرية. هذه عامة تشمل جميع الأشياء، وترادف المشيئة في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ [المَائدة: ١].

النوع الثاني: إرادة دينية شرعية أمرية ترادف المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، فهذه إرادة دينية شرعية.

۞ الفرق بين الإرادتين:

الفرق الأول: أن الإرادة الكونية الخلقية لا يتخلف مقتضاها، وأما الإرادة الدينية الشرعية فقد تحصل وقد لا تحصل، فإذا أراد الله كوناً وقدراً من هذا العبد هذا الفعل فلا بد أن يفعله، وإذا أراد منه أن يموت فلابد أن يموت فلا يتخلف مراده. أما الإرادة الدينية الشرعية فقد تحصل وقد لا تحصل، فالله تعالى أراد من العباد كلهم الإيمان والصلاح، لكن منهم من آمن ومنهم من لم يؤمن.

الفرق الثاني: أن الإرادة الكونية الخلقية والإرادة الدينية تجتمعان في حق المؤمن، وتنفرد الكونية في حق الكافر، فالله تعالى أراد الإيمان من أبي بكر كوناً وقدراً وديناً وشرعاً فوقع. وأراد الإيمان من أبي لهب ديناً وشرعاً ولكنه لم يرده كوناً وقدراً، فوقعت الإرادة الكونية، فاجتمعت الإرادتان في حق المؤمن المطيع، وانفردت الإرادة الكونية في حق الكافر والعاصي، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

۞ أما أهل البدع فلهم مذهبان:

المذهب الأول: الجبرية من الأشاعرة والجهمية، قالوا: ليس هناك إلا إرادة واحدة، وهي إرادة كونية قدرية، وأنكروا الإرادة الدينية الشرعية.

المذهب الثاني: المعتزلة والقدرية أثبتوا الإرادة الدينية والشرعية، وأنكروا الإرادة الكونية، فكان كل من الجبرية والقدرية يثبتون نوعاً واحداً من الإرادتين.

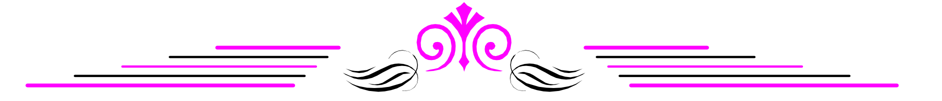
وأهل السنة قسموا الإرادة إلى قسمين على حسب النصوص:

القسم الأول: إرادة كونية قدرية خلقية ترادف المشيئة.

القسم الثاني: إرادة دينية شرعية أمرية ترادف المحبة والرضا.

○ قوله: **(ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، فلم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة)**: لكن له الحكمة البالغة، فقسمهم إلى شقي وسعيد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، **(ولو شاء أن لا يعصى لما خلق إبليس)** لكنه خلقه لحكمة يعلمها. **(فكفر الكافرين، وإيمان المؤمنين)** وإلحاد الملحدين، وتوحيد الموحدين، وطاعة المطيعين، ومعصية العاصين؛ كلها **(بقضائه ﷻ وقدره وإرادته ومشيئته)** وله الحكمة البالغة، فقد **(أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية، قال الله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٧])**.





الاستثناء في الإيمان والشهادة على المعين بأنه في الجنة أو النار

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث: أن عواقب العباد مبهمة لا يدري أحد بم يختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار؛ لأن ذلك مغيب عنهم لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، ولذا يقولون: إنا مؤمنون إن شاء الله، أي: من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء الله.

ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة؛ فإن الذين سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها، ولم يتوبوا منها؛ فإنهم يردون أخيراً إلى الجنة، ولا يبقى أحد في النار من المسلمين فضلاً من الله ومنة، ومن مات ـ والعياذ بالله ـ على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى).

الشَّرْح

إنَّ عواقب العباد مبهمة، فلا أحد يدري ما يختم له به، ولهذا فإن أهل السنة والجماعة لا يشهدون لأحد بعينه أنه من أهل الجنة، أو من أهل النار إلا من شهدت له النصوص كالعشرة المبشرين بالجنة، والحسن والحسين وابن عمر، وكذلك عبدالله بن سلام وعكاشة بن محصن، وأهل بيعة الرضوان؛ لقوله ﷺ: «**لا يلج النار**

أحد بايع تحت الشجرة»[١]. فمن شهد له النبي ﷺ بالجنة نشهد له بالجنة، ومن شهدت له النصوص بالنار نشهد له بالنار كأبي لهب وأبي جهل.

ونشهد لعموم المؤمنين بأنهم في الجنة، ونشهد لعموم الكفار بأنهم في النار.

أما الشخص المعين من المسلمين ـ فلان بن فلان ـ لا نشهد له بالجنة، ولا نشهد عليه بالنار إلا إذا علمنا أنه مات على الكفر، كأن يكون يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً يعبد الأصنام والأوثان والحجة قائمة عليه، ومات على ذلك فإنا نشهد له بالكفر وبالنار، أما من لم تقم عليه الحجة، أو لم نعلم حاله فإننا نشهد عليه بالعموم، فنقول: كل كافر أو كل يهودي أو كل نصراني أو كل وثني أو كل منافق في النار، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: **(ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث: أن عواقب العباد مبهمة)** يعني: لا يدري أحد ما يختم لهذا، هل يختم له بالخير أو بالشر؟

وينبغي أن يقيد كلام المؤلف هنا بقيد: إلا من شهدت له النصوص. فنقول: ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل الجنة إلا لمن شهدت له النصوص؛ لأن ذلك مغيب عنهم فلا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، أعلى الإسلام أم على الكفر؟ ولذلك يقول ـ يعني: المؤمن ـ أنا مؤمن إن شاء الله، أي: من المؤمنين الذين يختم لهم بالخير إن شاء الله. وكذلك أيضاً يقول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء

(١) مسند الإمام أحمد (١٤٧٧٨)، سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٦٥٣)، سنن الترمذي، أبواب المناقب (٣٨٦٠)، سنن النسائي الكبرى (١٠/ ٢٦٤)، صحيح ابن حبان (٤٨٠٢).

الله. إذا أراد أن لا يزكي نفسه، وأنه لا يدري هل أدى ما عليه؛ لأن شعب الإيمان متعددة، فلا يجزم بأنه أدى الواجبات وترك المحرمات.

○ قوله: **(فإن الذي سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون بالنار مدة بذنوبهم التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها فإنهم يردون أخيراً إلى الجنة، ولا يبقى أحد في النار من المسلمين فضلاً من الله ومنة)** يعني: من مات على التوحيد ثم عذب بالنار فإنه يعذب فيها مدة ويخرج منها إلى الجنة؛ لأنه مات على التوحيد والإسلام. ثم قال: **(ومن مات ـ والعياذ بالله ـ على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى)**: فلا تنفع فيه الشفاعة، ولا يدفع أحد عنه عذاب الله ولو أتى بملئ الأرض ذهباً، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن ينقذوه من عذاب الله ما استطاعوا، ومن مات على الكفر فلا حيلة فيه، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثر: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المَائدة: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٧]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هُود: ١٠٦-١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسرَاء: ٩٧]. فمن مات على الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الظلم الأكبر وهو ظلم الكفر، أو الفسق الأكبر وهو فسق الكفر، فلا حيلة فيه، وليس له شفاعة، ولا نصيب له في الرحمة، وهو آيس من رحمة الله، نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتوفانا على الإسلام وعلى التوحيد والإيمان غير مغيرين ولا مبدلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



المبشرون بالجنة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فأما الذين شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً للرسول ﷺ فيما ذكره ووعده لهم؛ فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، والله تعالى أطلع رسوله ﷺ على ما شاء من غيبه وبيان ذلك في قوله ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. وقد بشر ﷺ عشرة من أصحابه بالجنة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح[١]، وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنه من أهل الجنة. قال أنس بن مالك: فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول: إنه من أهل الجنة)).

الشَّرح

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم يشهدون لمن شهد له النبي ﷺ بالجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة وثابت بن قيس بن

(١) لحديث رواه الإمام أحمد في المسند (١٦٧٥)، والترمذي في السنن، أبواب المناقب (٣٧٤٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٧/٣٢٨)، وابن حبان صحيحه (٧٠٠٢)، والبغوي في شرح السنة (١٤/١٢٨) (٣٩٢٥)، والبزار في مسنده (٣/ ٢٣٠) (١٠٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٤٧) (٨٣٥).

شماس؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، قال أنس: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.(١) وهذه شهادة من النبي ﷺ شهد له بها. وكذلك الحسن والحسين فقد شهد لهما النبي ﷺ بأنهما «**سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢)، وكذلك عكاشة بن محصن(٣)، وعبدالله بن عمر(٤)، وعبدالله بن سلام(٥)، وبلال بن رباح فقد سمع النبي ﷺ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١١٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٠٩٩٩)، سنن الترمذي، أبواب المناقب (٣٧٦٨)، سنن ابن ماجه، المقدمة (١١٨)، صحيح ابن حبان (٦٩٥٩)، المستدرك للحاكم (٤٧٧٨).

(٣) كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب**»... فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**». متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الطب (٥٧٥٢)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٢٠).

(٤) كما جاء عنه رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ، وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ إِلَيْهِ، قَالَ فَقَصَصْتُهُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَرَى عَبْدَاللهِ رَجُلًا صَالِحًا**». رواه البخاري، كتاب التهجد (١١٥٦-١١٥٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٨)، وهذا لفظه.

(٥) لحديث سعد بن أبي وقاص قال: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ**» قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠] الآيَةَ. رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار (٣٨١٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٨٣)، وهذا لفظ البخاري.

دف نعليه في الجنة[١]، وجماعة غيرهم شهد لهم النبي ﷺ، والعشرة المبشرون بالجنة الذين عدهم المؤلف رحمه الله كلهم يشهد لهم بالجنة، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، فمن شهد له النبي ﷺ بالجنة فإنا نشهد له بالجنة، وكذلك أهل بيعة الرضوان، قال ﷺ: «**لن يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**»[٢] وكانوا ألفاً وأربعمائة. وأهل بدر كذلك، فقد قال النبي ﷺ: «**وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٣].

أما من لم يشهد له النبي ﷺ بالجنة فإنا نشهد له بالعموم، فنشهد لجميع المؤمنين بالجنة من باب العموم، لكننا لا نشهد بالخصوص إلا لمن شهد له النبي ﷺ، واليهود والنصارى والوثنيون في النار، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، لكن فلان ابن فلان بعينه لا نشهد له بالجنة إلا لمن شهد له الرسول، وفلان ابن فلان بعينه لا نشهد له بالنار إلا إذا علمنا أنه مات على الكفر، وقامت عليه الحجة، وهذه عقيدة أهل السنة، فأبو لهب مثلاً شهدت نصوص القرآن بأنه في النار وأبو جهل كذلك، وما عدا ذلك فإننا نشهد للمؤمنين على وجه العموم بالجنة، ونشهد للكفار بالنار، لكن أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن الثواب والعفو عن المسيئ،

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ: «**عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ**». رواه البخاري، كتاب التهجد (١١٤٩)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٥٨)، وهذا لفظ البخاري، وجاء في حديث جابر بن عبدالله الأنصاري أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ**». رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٥٧).

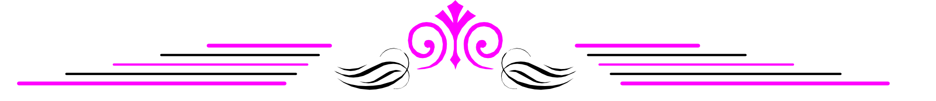
(٢) سبق تخريجه قريبا.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٧)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٩٤).

فإذا رأوا إنساناً مستقيماً على طاعة الله يؤدي ما أوجب الله عليه، وينتهي عما حرم الله عليه، فإنهم يرجون له خيراً، ويرجون أن يغفر الله له ويدخله الجنة، لكن لا يشهدون له بالجنة.

والمسيئ الذي يعمل المعاصي والكبائر يخافون عليه من النار، ولا يشهدون عليه بها؛ ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فأما الذين شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً للرسول ﷺ فيما ذكره ووعده لهم؛ فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، وقد أطلع الله تعالى رسوله على ما شاء من غيبه، وبيان ذلك في قوله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧])، والنبي ﷺ ينزل عليه الوحي، فإذا شهد لأحد بالجنة؛ فإن هذا من الغيب الذي أطلعه الله عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: ٣-٤].





تفاضل الصحابة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويشهدون ويعتقدون: أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر رسول الله ﷺ خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن جمهان عن سفينة: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة)[1]. وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول ﷺ).

الشَّرح

يعتقد أهل السنة وأهل الحديث ويشهدون: أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويشهدون أنهم هم الخلفاء الراشدون، وترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهذا هو الذي عليه الجماهير، وروي عن الإمام أبي حنيفة: أن علياً أفضل من عثمان ولكن روي عنه أنه رجع ووافق الجمهور، وتفضيل علي على عثمان مسألة سهلة خفيفة، لكن تقديم علي على عثمان في الخلافة أمر منكر؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذلك

(١) مسند الإمام احمد (٢١٩١٩)، سنن الترمذي، أبواب الفتن (٢٢٢٦)، سنن النسائي الكبرى (٧/ ٣١٣)، صحيح ابن حبان (٦٦٥٧)، مسند أبي داود الطيالسي (٢/ ٤٣٠)، مسند البزار (٩/ ٢٨٠)، السنة لابن أبي عاصم (١١٨١)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ١١٦٩)، المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٥)، الاعتقاد للبيهقي (ص٣٣٣)، وغيرهم.

أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله)[(١)]؛ لأن المهاجرين والأنصار أجمعوا على تقديم عثمان في الخلافة، فتقديم علي على عثمان في الخلافة أمر منكر شنيع باطل، أما تقديم علي على عثمان في الفضيلة فهذا سهل، وقد قال به بعض أهل السنة، وروي عن الإمام أبي حنيفة، ولكن روي أنه رجع ووافق الجمهور، وخلافة الخلفاء الراشدين خلافة نبوة، ولهذا قال النبي ﷺ في حديث سفينة رضي الله عنه: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[(٢)]. وهو حديث حسن لا بأس به. خلافة أبي بكر سنتان، وخلافة عمر عشر سنوات، وخلافة عثمان ثنتا عشرة سنة، وخلافة علي ست سنوات، وهذا الترتيب، فتكون الجميع ثلاثون سنة، لكن هذا فيه جبر؛ فإن خلافة أبي بكر سنتان وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنوات ونصف، وخلافة عثمان ثنتي عشرة سنة، وخلافة علي خمس سنين وأشهر، ثم بقي من الثلاثين السنة ستة أشهر وهي التي تولى فيها الحسن بن علي رضي الله عنه، وتنازل فيها لمعاوية فتمت الخلافة ثلاثون سنة بنهاية الستة الأشهر التي تنازل فيها الحسن بن علي لمعاوية، وانتهت الخلافة الراشدة وبدأ الملك، وأول ملوك المسلمين هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ولهذا قال المؤلف: **(وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه رسول الله ﷺ)**، لكن معاوية صحابي جليل، وخلافته وإن لم تكن كخلافة الخلفاء الراشدين إلا أنه ملك عادل وصحابي جليل.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).
(٢) سبق تخريجه.

القول في خلافة أبي بكر رضي الله عنه

قال المصنف رحمه الله:

(ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: رضيه رسول الله ﷺ لديننا فرضيناه لدنيانا[1] - يعني: أنه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه، وهي الدين؛ فرضيناه خليفة لرسول الله ﷺ علينا في أمور دنيانا-.

وقولهم: قد مات رسول الله ﷺ فمن يؤخرك! وأرادوا أنه ﷺ قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك؟

وكان رسول الله ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه والله، وارتفعوا به وارتفقوا حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استُخلف لما عُبد الله» ولمّا قيل له: مه يا أبا هريرة! قام بحجة صحة قوله، فصدقوه فيه وأقروا به.).

الشَّرْح

استخلف النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه ﷺ، والصلاة رأس الإسلام وأصل في الدين، فرضيناه رضي الله عنه خليفةً للرسول ﷺ علينا في أمور دنيانا. وقد قال

(١) وورد هذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنظر الشريعة للآجري (٤/ ١٧٢١) (١١٩٢).

الصحابة رضوان الله عليهم: قدمه رسول الله ﷺ فمن ذا الذي يؤخره، وأرادوا أنه ﷺ قدمه في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءه بأمره ﷺ فمن ذا الذي يؤخره بعد تقديمه إياه، وكان رسول الله ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر رضي الله عنه في حال حياته فيما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه وارتفعوا، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عُبد الله[1]. ولما قيل له: مه يا أبا هريرة! قام بحجة صحة قوله، فصدقوه فيه وأقروا به.

ـ وأهل الحديث وأهل السنة والجماعة يثبتون خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وأنه الخليفة الأول خلافاً للرافضة الذين يقولون: الخليفة الأول هو علي رضي الله عنه، وأن أبا بكر اغتصب الخلافة منه، وكذلك عمر وعثمان، وهذا قول باطل، والذي عليه أهل السنة والجماعة وأهل الحديث أن أبا بكر هو الخليفة الأول.

ـ وثبتت الخلافة لأبي بكر باختيار الصحابة وانتخابهم، وهذا هو الأرجح. وقال بعض العلماء: ثبتت خلافة أبي بكر بالنص، واستدلوا بأدلة منها:

١- أن النبي ﷺ لما جاءته امرأة وقال لها: «**ائتني في وقت كذا**»، أي: في وقت لاحق. فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك، تعني الموت. فقال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[2]. قالوا: وهذا دليل على أنه الخليفة.

٢- تقديم النبي ﷺ له في أيام مرضه في الصلاة.

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص٣٤٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٩)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٣٨٦).

٣- قوله ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[(١)].

٤- روي في هذا منامات.

وهم على قولين: منهم من قال: ثبتت بالنص الجلي، ومنهم من قال: ثبتت بالنص الخفي. وقال آخرون: إنما ثبتت بالانتخاب والاختيار، وهذا هو الأرجح، فإنها ثبتت باختيار الصحابة وانتخابهم، واستدلوا بهذه الأدلة على أنه هو الخليفة، واستدلوا بكون النبي ﷺ قدمه للصلاة، فهذا دليل على أنه هو الأحق بالخلافة.

وكذلك أيضاً: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب كتاباً واختلفوا عنده، قال: «**قوموا، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**» يعني: يأبى الله تقديراً وقضاءً، والمسلمون اختياراً وانتخاباً إلا أبا بكر.

واستدلوا: بإرشاد النبي ﷺ إلى اختياره.

فالصواب أن الخلافة ثبتت لأبي بكر رضي الله عنه بالاختيار والانتخاب.

○ قول المؤلف رحمه الله: **(ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: رضيه رسول الله ﷺ لديننا؛ فرضيناه لدنيانا)**، يعني: أنه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه وهي الدين، فرضيناه خليفة لرسول الله ﷺ في أمور دنيانا.

• **فرع:**

لما وجه رسول الله ﷺ أسامةَ بن زيد في سبع مائة إلى الشام فلما نزل بذي خشب قُبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٤٦٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٣٨٢).

واجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر، رد هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشا وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ، فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام[١].

وأيضا فإن النبي ﷺ لما توفي ارتدت قبائل العرب؛ فمنهم من عبد الأوثان، ومنهم من أنكر نبوة النبي ﷺ، ومنهم من منع الزكاة، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه، وأشكل هذا على بعض الصحابة ومنهم عمر إذ قال: كيف تقاتل من قال: لا إله إلا الله؟! فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله! لو منعوني عقالاً - وفي رواية: عناقاً[٢] - كانوا يؤدونه إلى النبي ﷺ لقاتلتهم عليه[٣].

فأجمع وعزم على قتالهم؛ حتى شرح الله صدر عمر، وصدر من كان عنده إشكال، فأجمعوا على قتالهم فكان في قتالهم خير عظيم، فرجع الناس إلى دين الله بعد أن خرجوا منه، فلهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: لولا أن أبا بكر استخلف لما عُبد الله؛ لأن أكثر العرب ارتدوا فقاتلهم الصديق والصحابة حتى رجعوا إلى الإسلام.



(١) الاعتقاد للبيهقي (ص٣٤٥).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة (١٤٠٠).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٢٠).

القول في خلافة عمر رضي الله عنه

قال المصنف رحمه الله:

(ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه ـ بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه ـ وعده).

الشرح

أهل السنة والجماعة يثبتون ويعتقدون أن الخليفة بعد أبي بكر هو: عمر رضي الله عنه، فقد ثبتت له الخلافة بالعهد من أبي بكر رضي الله عنه إليه، واتفاق الصحابة بعده عليه، ولهذا أنجز الله سبحانه وعده بإعلاء الإسلام وإعظام شأنه، فالخليفة الثاني هو عمر رضي الله عنه خلافاً للرافضة الذين يقولون: إن أبا بكر وعمر مغتصبان للخلافة، ويقولون عن الصحابة إنهم كفرة ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخفوا النصوص التي فيها أن الخليفة بعده علي، وينكرون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ويقولون: إنهم ظلمة وفسقة وكفرة، فولاية هؤلاء الثلاثة زور وبهتان وظلم، وإلا فالخليفة الأول هو علي، وهذا منصوص عليه. هكذا يقول الرافضة، وهذا من أبطل الباطل.





القول في خلافة عثمان رضي الله عنه

قال المصنف رحمه الله:

(ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه).



الشرح

الخليفة الثالث بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هو عثمان رضي الله عنه ثبتت له الخلافة باختيار المهاجرين والأنصار جميعاً، وأجمعوا عليه إجماعاً.

❁ ❁ ❁

القول في خلافة علي رضي الله عنه

قال المصنف رحمه الله:

(ثم خلافة علي رضي الله عنه ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم رضي الله عنهم أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه).

الشَّرح

الخليفة الرابع بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هو علي رضي الله عنه، ثبتت له الخلافة بمبايعة أكثر أهل الحل والعقد، وامتنع عن البيعة معاوية وأهل الشام، لا لأن معاوية يطلب الخلافة؛ بل لأنه يطالب بدم عثمان رضي الله عنه.

* * *

خلاصة الأمر أن الخلافة ثبتت:

لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع الصحابة.

ولعمر رضي الله عنه بولاية العهد من أبي بكر واتفاق الصحابة عليه.

ولعثمان رضي الله عنه بإجماع المهاجرين والأنصار.

ولعلي رضي الله عنه بمبايعة أكثر أهل الحل والعقد دون معاوية رضي الله عنه وأهل الشام.





قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] الآية. وفي قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]).

الشَّرْح

فهؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدون خلافتهم راشدة، وخلافة نبوة، وقد نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور الله بضيائهم وبهائهم الظلام، وتحقق في خلافتهم وعده في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥]، وقد حصل هذا، فقد استخلفهم في الأرض، ومكن لهم الدين وبدل بهم من بعد الخوف أمناً.

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، فيه وصف للصحابة، ولهذا استنبط الإمام مالك

رَحِمَهُ اللَّهُ من قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفَتْح: ٢٩] أن من أغاظه الصحابة فإنه يكون كافراً بنص القرآن؛ لأن الله قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] (١).



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٢).



الفوز لمن أحب الصحابة، والهلاك لمن أبغضهم

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فمن أحبهم، وتولاهم، ودعا لهم، ورعى حقوقهم، وعرف فضلهم فهذا من الفائزين، ومن أبغضهم، وسبهم، ونسبهم إلى ما تنسبهم إليه الروافض والخوارج ـ لعنهم الله ـ فقد هلك في الهالكين).



○ قوله: (فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقوقهم وعرف فضلهم): فهو من أهل السنة والجماعة أهل الحق الفائزين.

○ قوله: (ومن أبغضهم وسبهم): وكفرهم فهو من الهالكين ـ نسأل الله العافية ـ لأن الله زكاهم ووعدهم بالجنة، فمن كفرهم أو فسقهم فهو مكذب لله، ومن كذب الله فقد كفر.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله»).



هذا الحديث عند الإمام أحمد في فضائل الصحابة مرسل عن عطاء[(١)] وهو مركب من حديثين: فالجملة الأولى: «**لا تسبوا أصحابي**»[(٢)] جزء من حديث صحيح، أما الجملة الثانية: «**فمن سبهم فعليه لعنة الله**»[(٣)] فهي جزء من حديث آخر.

لفظ آخر للحديث: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده! لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

❁ ❁ ❁

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٥٤) (١١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٣)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٥٤٠).

(٣) المستدرك للحاكم (٦٦٥٦)، المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ١٤٠)، السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٣)، الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٦٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٣٢٠)، حلية الأولياء (٢/ ١١).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقال: (من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله)[(١)]).



هذا الحديث ضعيف، ويحتمل أن المؤلف ذكره؛ لأن له شواهد.



(١) مسند الإمام أحمد (١٦٨٠٣)، سنن الترمذي، أبواب المناقب (٣٨٦٢)، صحيح ابن حبان (٧٢٨٦)، مسند أبي يعلى (٤١٧٥)، شعب الإيمان (٣/ ٩٣)، شرح السنة للبغوي (١٤/ ٧٠)، وغيرهم؛ والطرف الأخير من الحديث ليس منه بل هو في حديث آخر، انظر التخريج السابق.

الصلاة خلف الإمام البر والفاجر والجهاد معه والدعاء له

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل).



عقيدة أهل السنة والجماعة في ولاة الأمر من المؤمنين:

١- عدم الخروج عليهم.

٢- جواز صلاة الجمعة والعيدين خلفهم.

٣- الجهاد والحج معهم ولو كانوا فساقاً، ولو ارتكبوا الكبائر، ما داموا مسلمين؛ لأن هذه المعاصي التي يفعلها ولاة الأمر مثل: شرب الخمر، أو الظلم، أو قتله بغير حق، أو أخذ مالاً بغير حق، تعتبر من الظلم والفسق، فلا يجوز الخروج عليهم لأنه يؤدي إلى مفسدة أكبر.

وقواعد الشريعة تدل على أنه: إذا وجدت مفسدتان ولا يمكن تركهما جميعاً، فترتكب المفسدة الصغرى لدفع الكبرى، وإذا وجدت مصلحتان كبرى وصغرى ولا يمكن فعلهما جميعاً نترك الصغرى ونأتي بالكبرى، **فهذه المسألة تتماشى مع قواعد الشرع بهذه الكيفية؛** فولي الأمر إذا فسق أو عصى فإن ذلك يعتبر مفسدة كبرى، لكن الخروج عليه يؤدي إلى مفسدة أكبر، وهي إراقة الدماء، وانقسام الناس إلى فريقين، واختلال الأمن، واختلال المعيشة، وتدهور الاقتصاد، والزراعة والتجارة والتعليم، وتربص الأعداء بهم الدوائر، وتأتي بفتن لا أول لها ولا آخر تقضي على الأخضر واليابس، فهذه مفاسد عظيمة فلا نرتكبها، بل على الرعية أن يصبروا على جور الولاة، فإن في هذا مصلحة كبيرة، والنصيحة مبذولة من قبل العلماء والدعاة وأهل الحل والعقد، فإن قَبِل الولاة فالحمد لله، وإن لم يقبلوا فقد أدى الناس ما عليهم، ولا يجوز خروجهم على ولاة الأمور في مثل هذا الحال.

وولاة الأمور لا يتسلَّطون على الناس إلا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، فعليهم أن يتوبوا إلى الله، فقد يكون جور الولاة تأديباً للفسقة، وامتحاناً وابتلاء للصالحين، ورفعاً لدرجاتهم، مثل المصائب والنكبات، والأمراض والأسقام، يكفر الله بها السيئات، **فإذا أراد الناس أن يصلح الله لهم ولاة أمورهم فليصلحوا أحوالهم وليتوبوا إلى ربهم.**

والمراد بالإمام: إمام المسلمين، وولي أمرهم، ويقوم مقامه رئيس الدولة أو الجمهورية أو الملك أو الأمير. **(براً كان أو فاجراً)** أي: تقياً كان أو عاصياً.

❍ قوله: **(ويرون جهاد الكفرة معه، وإن كانوا جورة فجرة)** أي: إذا أراد ولي الأمر أن يقاتل الكفار وعقد راية فعلى الناس أن يقاتلوا معه ولو كان فاجراً، أو جائراً أو ظالماً.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة جهاد الكفرة مع ولاة الأمور وإن كانوا جورة فجرة، أي: جائرين، ظالمين وعاصين.

والحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، لابد فيهما من قائد، وهذا يحصل بالإمام الفاجر، كما يحصل بالإمام البر، ولهذا فإن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يجاهدون ويصلون خلف الإمام ولو كان جائراً ظالماً، ما دام أنه لم يكفر.

❍ قوله: **(ويرون الدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، وبسط العدل في الرعية)** فأهل السنة والجماعة يدعون لهم، ولهذا جاء عن الفضيل بن عياض أنه قال: لو أن لي دعوة صالحة لصرفتها للسلطان، لأن بصلاحه تصلح الرعية. فيرون الدعاء لهم بالإصلاح، لأنهم إذا صلحوا صلحت الرعية.

❍ قوله: **(ولا يرون الخروج عليهم بالسيف)** أي: لا يجوز الخروج على ولاة الأمر بالسيف

❍ قوله: **(وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف)** أي: ولو كانوا يرون أنهم عدلوا عن الحق، ومالوا وجاروا، فإن عليهم أن يصبروا على ذلك، والذين يرون الخروج على ولاة الأمور هم أهل البدع كالخوارج، فالخوارج يخرجون على ولاة الأمور بالمعاصي؛ لأنهم يرون أن الإنسان إذا فعل معصية كبيرة فقد كفر، وحل دمه وماله، وهو مخلد في النار. **وكذلك المعتزلة** يرون الخروج على ولي الأمر بالمعاصي، وهذا أصل من أصولهم،

وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فستروا تحت الأمر بالمعروف إلزام الناس باجتهاداتهم، وستروا تحت النهي عن المنكر الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي.

وكذلك الرافضة يرون الخروج على ولي الأمر؛ لأنها لا تصح الإمامة إلا للإمام المعصوم عندهم، وهو أحد الأئمة الاثني عشر.

الخلاصة:

أن الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي هو مذهب أهل البدع، كالخوارج والمعتزلة والروافض، أما أهل السنة فلا يخرجون على ولي الأمر، ولو ارتكب الكبائر بشرب الخمر، أو قتل أحداً بغير حق، أو أخذ ماله بغير حق، أو لم يوزع المال توزيعاً عادلاً، بل الواجب الصبر، وبذل النصيحة.

○ قوله: **(ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل)**، **الفئة الباغية**: هي جماعة من الناس يخرجون على ولي الأمر وتكون لهم شوكة، فهؤلاء إذا خرجوا للقتال فعلى ولي الأمر أن يرسل لهم من يناقشهم ويبحث معهم عن سبب خروجهم، فإن كان سبب خروجهم هو انتشار المعاصي في البلاد وجب عليه أن يغير المعاصي حتى يرجعوا، فإن رجعوا وإلا قاتلهم، والناس يقاتلون معه؛ لأن هؤلاء أرادوا أن يشقوا عصا الطاعة ويفرقوا كلمة المسلمين.



موقف أهل السنة والجماعة مما شجر بين الصحابة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين).

الشَّرْحُ

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة وأزواج النبي ﷺ، فموقفهم من الصحابة أنهم يرون الترحم عليهم والترضي عنهم، وذكر محاسنهم وفضائلهم والكف عما شجر بينهم من الاختلاف والنزاع، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، كالخلافات والحروب التي وقعت بينهم، فلا يجوز ذكرها ولا كتابتها ولا تسجيلها في أي وسيلة يمكن أن تحفظ فيها، ولهذا فإن كل ما نشر في أي وسيلة من الوسائل في معايب الصحابة، يجب إتلافها وعدم سماعها ولا قراءتها ولا الاطلاع عليها؛ لأن هذا فيه نشر لعيوب الصحابة وهذا من أبطل الباطل وهي من طريقة أهل البدع.

ويجب اعتقاد أن الصحابة خير الناس وأفضلهم، وما كان ولا يكون أحد مثلهم، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء، اختارهم الله لصحبة نبيه، وهم الذين نقلوا إلينا القرآن والسنة، وحملوا إلينا الدين

والشريعة، فتجريحهم تجريح للقرآن والسنة.

أما ما شجر بينهم من الخلافات والنزاع يقال فيه كما قال السلف ـ رحمهم الله ـ من أن الخلافات التي وقعت بين الصحابة، منها ما هو كذب لا أساس له من الصحة، ومنها ما له أصل، لكن زيد فيه أو نقص منه، ومنها ما هو صحيح، والصحابة ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر. والذنوب المحققة، هناك أسباب لمغفرة هذه الذنوب فمنها التوبة، فمن تاب تاب الله عليه، ومنها أن يكون حصلت له مصائب كفر بها عنه، أو كفر عنه بحسنات عظيمة، أو بشفاعة النبي ﷺ والذين هم أولى الناس بها، هذا في الذنوب المحققة فكيف بغيرها.

وعليه فإطلاق الألسنة والكتابة وتسجيل معايب الصحابة من طريقة أهل البدع، أما طريقة أهل السنة والجماعة فهم يترضون عن الصحابة ولا يذكرون مساوئهم، ويعتقدون أن لهم من الحسنات العظيمة ما يغطي ما صدر عنهم من الهفوات، كجهادهم مع النبي ﷺ وصحبتهم له، وتبليغهم دين الله إلى مشارق الأرض ومغاربها.

○ قوله: **(ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم)** أي: نواليهم ونترضى عنهم.

○ قوله: **(وكذلك يرون تعظيم قدر أزواج النبي ﷺ والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين)** وأنهن زوجاته في الجنة، ومن قذف عائشة بما برأها الله منه فهو كافر.



دخول الجنة يكون بفضل الله ورحمته دون غيرها

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة، وإن كان عمله حسناً [وعبادته أخلص العبادات، وطاعته أزكى الطاعات] وطريقه مرتضى، إلا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله، إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه، فلو لم ييسره له لم يتيسر، ولو لم يهده لفعله لم يهتد له أبداً، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: ٢١] **وفي آيات سواها [وقال مخبراً عن أهل الجنة:** ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعرَاف: ٤٣]، **وفي آيات سواها]).**

الشَّرْحُ

يعتقد أهل السنة والجماعة ويشهدون أن دخول المؤمنين الجنة برحمة الله وفضله، وأنه لا يوجد أحد تجب له الجنة، وإن كان عمله حسناً، وعبادته أخلص العبادات، وطاعته أزكى الطاعات، وطريقه مرتضى، إلا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[(١)]، فدخول الجنة للجميع برحمة الله حتى الرسول عليه

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب (٥٦٧٣)، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦).

الصلاة والسلام، **لكن هذه الرحمة لها سبب وهو**: العمل الصالح والتوحيد والإيمان، فمن جاء بالسبب نالته الرحمة، ومن لم يأت به لم تنله الرحمة، وهذا ما جاءت به النصوص قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النّحل: ٣٢]، وقال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السَّجدَة: ١٧]، فالله حرم الجنة على الكافرين؛ لأنهم ليسوا من أهل رحمته، فقد يئسوا منها، وأما المؤمنون فهم من أهل رحمته ويدخلهم الله الجنة بسبب أعمالهم، والله تعالى هو الذي منَّ على الإنسان بالعمل، ولولا أن الله وفقه للعمل لما عمل، وهو الذي خلق الإنسان ورباه بنعمه، وأعطاه السمع والبصر والفؤاد، ومن عليه بالإسلام، وهداه، وهذا فضل من الله.





لكل مخلوق أجل

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويعتقدون ويشهدون أن الله ﷻ أجل لكل مخلوق أجلاً، وأن نفساً لن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت، وليس له منه فوت، قال الله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]. **وقال:** ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. **ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله [المسمى له]، قال الله ﷻ:** ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، **وقال تعالى:** ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]).

الشَّرْح

يعتقد أهل السنة وأهل الحديث ويشهدون أن الله ﷻ أجل لكل مخلوق أجلاً، وأنَّ كل نفسٍ لن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً، فلن يموت أحد حتى ينقضي أجله، ويستوفي رزقه، ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إن روح القدس نفث في روعي - أي: في قلبي - أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها**»[1]، وثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة خلق

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٤٠٦)، مسند الشهاب للقضاعي (٢/ ١٨٥) (١١٥١)، شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٠٣-٣٠٤)، وهو عند ابن ماجه (٢١٤٤) بلفظ مختلف.

الإنسان في بطن أمه أنه يأتيه الملك بعد أن يكون أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوماً علقة، ثم أربعين يوماً مضغة، وهي مائة وعشرون يوماً أي: أربعة أشهر، فَيَنفُخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد[(١)]، وجاء في اللفظ الآخر: «**يَا رَبِّ أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ، فَيَجْعَلُهُ اللهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ مَا أَجَلُهُ مَا خُلُقُهُ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا**»[(٢)]، وهكذا، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها الذي قدره الله لها.

وإذا انقضى أجل المرء فليس له إلا الموت، قال الله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال ﷻ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وهذا عام لكل ميت، سواء مات بسبب أو بغير سبب مات مثلاً لأنه قتل، أو مات بالسم، أو لأنه تردى من جبل، أو صدم، أو مات بمرض، أو مات على فراشه، فلم يمت في هذه الأسباب إلا لأنه قد انقضى أجله، ولهذا قال المؤلف: **(ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله المسمى)**، وهذا خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: إن المقتول قطع عليه أجله، فلو لم يقتل لاستمر في الحياة، فالمقتول عندهم له أجلان، أجل طويل وأجل قصير، فإذا قتل قطع عليه أجله الطويل، وهذا الكلام من أبطل الباطل؛ لأن الله قدر له أن يموت بهذا السبب،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر (٢٦٤٥).

ولهذا قال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وذلك لما قتل من قتل في غزوة أحد من المسلمين، قالوا: لو أنهم لم يذهبوا لما قتلوا، فقال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: لو كنتم في بيوتكم وجاء الأجل فلابد أن تخرجوا للقتال؛ حتى توافوا آجالكم.

○ قوله: **(وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨])** أي: ولو كان الإنسان في بروج مشيدة، وأخذ بجميع الاحتياطات، فإذا جاءه فلابد أن يموت.



الاعتقاد بوجود الشياطين ووسوستهم

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويعتقدون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويقصدون استزالهم، ويترصدون لهم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١]، **وأن الله تعالى يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٤-٦٥]. **وقال:** ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠] **الآية).**

الشَّرْحُ

يعتقد أهل السنة وأهل الحديث أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالق كل شيء، خالق الشياطين وخالق الملائكة، وخالق الآدميين، وخالق الحيوانات والدواب، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، والشيطان: هو من لم يؤمن، فكل كافر من الجن يسمى شيطاناً، ومن آمن من الجن لا يسمى شيطاناً.

❐ الحكمة من خلق الشياطين:

أنهم يوسوسون لبني آدم، ابتلاءً وامتحاناً ليتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر، والمجاهد لنفسه من غير المجاهد لها، خلقهم ليغووا بني آدم، ويزينوا لهم المعاصي ويحسنونها، ويترصدوا لهم، كما قال الله تعالى عن أبيهم إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، وقال في آية الأعراف: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧]، وقال في آية أخرى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩]، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الشياطين خلقهم الله وسلطهم على بني آدم لحكمة بالغة، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

وأن الله يسلطهم على من يشاء ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال الله ﷻ خطاباً لإبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٤-٦٥] وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]، فهذا ابتلاء وامتحان من الله ﷻ لعباده في هذه الحياة قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].



الاعتقاد بوجود السحر والسحرة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويشهدون أن في الدنيا سحراً وسحرة، إلا أنهم لا يضرون أحداً إلا بإذن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، ومن سحر منهم واستعمل السحر واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر.

وإذا وصف ما يُكفر به استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وإذا وصف ما ليس بكفر أو تكلم بما لا يفهم نهي عنه، فإن عاد عزر.

وإن قال: السحر ليس بحرام، وأنا أعتقد إباحته، وجب قتله؛ لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه).

الشَّرح

يشهد أهل السنة وأهل الحديث ويعتقدون أن في الدنيا سحراً وسحرة، إلا أنهم لا يضرون أحداً إلا بإذن الله، خلافاً للمعتزلة الذين أنكروا السحر والسحرة، وقالوا: لو كان هناك سحرة وتجري على أيديهم الخوارق لالتبس الأمر في الأنبياء، ولذلك أنكروا خوارق السحرة، وأنكروا كرامات الأولياء، وهذا باطل فالسحر والسحرة موجودون، والله تعالى أخبر في القرآن الكريم بوجودهم، وأنهم لا يضرون أحداً إلا بإذن الله الكوني القدري فقال تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] إلى أن قال: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢].

والسحر في اللغة: عبارة عن ما خفي سببه ولطف مأخذه.

وفي الشرع: عبارة عن عزائم ورقى وعقد وأدوية وتمائم تؤثر في القلوب والأبدان فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه.

❒ **والسحر نوعان:**

النوع الأول: سحر يتصل صاحبه بالشياطين.

وحكم صاحبه أنه كافر؛ لأن الساحر الذي يتصل بالشياطين يعقد معهم عقد، فيلتزم الساحر بمقتضى هذا العقد أن يكفر بالله ﷻ بأن يتقرب إلى الشيطان بالشركيات التي يريدها، كأن يطلب منه أن يلطخ المصحف بالنجاسة أو أن يكتب المصحف بدم الحيض أو الدخينات التي تناسب الشياطين، أو يسجد له أو يتقرب إليه بشيء من العبادات، وبمقتضى ذلك فإن الشيطان يستجيب لمطالب الساحر، فيخبره عن بعض المغيبات الموجودة في البلد، وإذا أمره أن يلطم شخصاً لطمه أو أن يقتل شخصاً قتله.

إذن: هناك عقد بين الساحر وبين الشيطان الجني، بمقتضى هذا العقد تكون بينهما خدمة متبادلة، **وهذا النوع من السحر كفر.**

فالساحر الذي يتصل بالشياطين كافر ويجب قتله، في أصح قولي العلماء، وعلى هذا فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم.

وقيل: إن قتله حد لمنع شره وفساده.

والصواب: أنه يقتل كفراً؛ لأنه كافر بالله ﷻ، وفي الحديث: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»[(١)] روي موقوفاً ومقطوعاً.

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عماله أن يقتلوا كل ساحر وساحرة، قال الراوي: فقتلنا ثلاث سواحر[(٢)].

وصح عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت[(٣)].

النوع الثاني: سحر لا يتصل صاحبه بالشياطين، لكنه يستعمل الأدوية ويعالج الناس ويضرهم ويأكل أموالهم بالباطل، فتجده يتخذ العلاج مهنة وهو ليس من أهلها، فكل من جاءه يشكو يقول له: عندي علاجك، ويأتي بأنواع من الأعشاب والأدوية فيقول له: هذا تدهن به، وهذا تشربه، وهذا تغتسل به وهكذا، فيأكل أموال الناس بالباطل وقد يضرهم بهذه الأدوية.

فهذا حكمه أنه إذا استحل أكل أموال الناس بالباطل أو استحل الإضرار بهم فقد كفر، وإن لم يستحلها فإنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

وعليه فالساحر الذي لا يتصل بالشياطين يستتاب، فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه يؤذي الناس ويأكل أموالهم بالباطل ويضرهم.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الحدود (١٤٦٠)، مصنف عبدالرزاق الصنعاني (١٠/ ١٨٤)، المستدرك للحاكم (٨٠٧٣)، المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦١)، السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٢٣٤)، سنن الدارقطني (٤/ ١٢٠) (٣٢٠٤).

(٢) مسند الشافعي (ص٣٨٣)، مسند الإمام أحمد (١٦٥٧)، مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦/ ٤٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٥٦٢)، السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٢٣٣).

(٣) موطأ الإمام مالك (٢/ ٨٧١)، مسند الشافعي (ص٣٨٣)، المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ١٨٧)، السنن الكبرى للبيهقي(٨/ ٢٣٤).

ـ **ولا يجوز الإتيان إلى السحرة**، ولا سؤالهم ولا العلاج عندهم؛ لما يلي:

١- ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(١).

٢- في السنة أنه ﷺ قال: «**من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٢).

٣- جاء عند البزار والطبراني أنه ﷺ قال: «**ليس منا من سحر أو سحر له، أو تكهن أو تكهن له، أو تطير أو تطير له**»(٣)، والمريض سواء كان مرضه بالسحر أو بغيره، فإنه يعالج مرضه بالطرق المشروعة لا الممنوعة.

أما النشرة وهي: حل السحر عن المسحور، **فإن لها حالتان:**

الحالة الأولى: حلها بسحر مثله، فهذا حرام لا يجوز، وروي عن الحسن البصري: (لا يحل السحر إلا ساحر)(٤).

الحالة الثانية: حل السحر بأدوية وعقاقير طبية، أو برقية شرعية: كآيات من القرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية شرعية. فهذه

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام (٢٢٣٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (٩٥٣٦)، مسند البزار (١٨٧٣)، مسند أبي داود الطيالسي (٣٨١)، المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٦٩)، السنة للخلال (٤/ ١١٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٩٠٠)؛ ورواه بلفظ قريب منه أبو داود في سننه (٣٩٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٢١).

(٣) مسند البزار (٣٥٧٨)، المعجم الكبير للطبراني (١٨/ ١٦٢)، المختارة للمقدسي (١١/ ٤٠٤).

(٤) قال الشيخ سليمان بن عبدالله في كتابه تيسير العزيز الحميد (ص٣٥٨): هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في "جامع المسانيد" بغير إسناد. ا.هـ.

النشرة جائزة ومثالها: ما روي عن بعض السلف: أنه يُقرأ في إناءٍ فيه ماء سبع آيات في السحر منها خمس آيات في سورة الأعراف وهي: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝١١٩ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٢﴾ [الأعراف: ١١٨-١٢٢]. وآية في سورة طه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه: ٦٩]. وآيتان في سورة يونس: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾ [يونس: ٨١-٨٢]. فتُقرأ هذه الآيات في إناء فيه ماء وتصب على رأس المسحور فيشفى بإذن الله، ويسن أيضاً قراءة آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]، وكذلك التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ويدعو بدعاء النبي ﷺ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»(١).

فالساحر إذا سَحر أو استعمل السحر واعتقد أنه يضر أو ينفع فإنه يكفر، ولو لم يعتقد أنه يضر وينفع، على الصواب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وكذلك إذا تعلم السحر أو علمه يكفر؛ لأن الساحر الذي يتصل بالشياطين لابد أن يفعل الشرك.



(١) صحيح مسلم، كتاب السلام (٢١٩١).

أخلاق أهل السنة وأصحاب الحديث وصفاتهم

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويحرم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة المتخذة من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك مما يسكر، يحرمون قليله وكثيره، ويجتنبونه وينجسونه ويوجبون به الحد).

الشَّرْحُ

يحل أصحاب الحديث ما أحل الله ويحرمون ما حرم الله، ويتأدبون بالآداب الشرعية الواجبة والمستحبة.

وأصحاب الحديث هم في مقدمة أهل السنة والجماعة وهم أهل الحق، وهم الفرقة الناجية، الذين يعملون بالسنة ويجتنبون البدعة، فهم الصحابة والتابعون والأئمة والعلماء وفي مقدمتهم أهل الحديث.

فأصحاب الحديث يحرمون المسكر من الأشربة المتخذة من أي نوع مما يسكر، يحرمون قليله وكثيره؛ لأنهم يعملون بالسنة، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة: أن النبي ﷺ نهى عن كل مسكر، من ذلك ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ بِخَوَاتِمِهِ، فَقَالَ: «**أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ أَسْكَرَ عَنِ الصَّلَاةِ**»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل**

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة (١٧٣٣).

مسكر خمر، وكل مسكر حرام»[١] وعلى هذا فكل مسكر حرام، وهو من الخمر، سواء كان مأكولاً أو مشروباً أو مشموماً، وقد كانت الخمر تتخذ في الأزمنة القديمة من العنب، فيعصر العنب، فإذا مضى عليه ثلاثة أيام وهو في شدة الحر، قذف بالزبد وتخمر وصار خمراً.

وأحياناً يؤخذ من التمر، ويسمونه المريس، فيوضع في الماء لكي يكون طعمهُ حلواً فإذا جلس ثلاثة أيام في الحر تخمر، وأحياناً يؤخذ من العسل، وأحياناً من الذرة، ولهذا كان النبي ﷺ يعصر له العصير فيشربه اليوم الأول ومن الغد فإذا كان اليوم الثالث أهراقه أو سقاه الخادم؛ خشية أن يتخمر كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنْتَبَذُ لَهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَيَشْرَبُهُ إِذَا أَصْبَحَ يَوْمَهُ ذَلِكَ، وَاللَّيْلَةَ الَّتِي تَجِيءُ، وَالْغَدَ وَاللَّيْلَةَ الْأُخْرَى، وَالْغَدَ إِلَى الْعَصْرِ، فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ سَقَاهُ الْخَادِمَ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَصُبَّ**»[٢]، وذلك في شدة الحر، لكن العصير الآن إذا جعل في الثلاجة لا يتخمر، لكن إذا ترك في شدة الحر تخمر، وقد ظهرت أنواع جديدة من الخمور منها: المأكول والمشروب، وقد تكون أقراصاً، وقد تكون بالشم ونحوه، فكل ما يسكر فهو حرام؛ لقوله ﷺ: «**كل مسكر خمر**»[٣]، وهذا النص من جوامع الكلم الذي أوتيه النبي ﷺ، و«**كل**» من صيغ العموم.

وهذا مذهب جمهور العلماء على أن الخمر من كل شراب.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة (٢٠٠٣)، واللفظ الثاني من الحديث عند البخاري - أيضا - في صحيحه، كتاب المغازي (٤٣٤٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة (٢٠٠٤).

(٣) سبق تخريجه.

وذهب أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن الخمر لا تكون إلا من عصير العنب، والصواب: أن الصفة عامة في العنب وفي غيره. **وللخمر أسماء كثيرة كما ذكر العلماء**، منها: السكر، وتسمى الجفن، والجعة، والمزر، والبزر، والسكركة، والفضيخ، والطلاء، والباذق.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»[(١)]، وفي الحديث الذي رواه البخاري معلقاً: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**»[(٢)]، فقوله: «**الحر**» أي: الفرج، يعني: الزنا. وقوله: «**والمعازف**» هي آلات الغناء.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «**ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يعزف على رءوسهم بالمعازف والقينات والمغنيات يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير**» رواه ابن ماجه ولا بأس بسنده[(٣)].

○ قوله: (**يحرمون قليله وكثيرة ويجتنبونه**) أي: يبتعدون عنه، وفي النسخة الأخرى (**ينجسونه**) أي: يرون أنه نجس، وهذه مسألة خلافية بين أهل العلم **هل الخمر نجس أو ليس بنجس، على قولين**:

القول الأول: الجمهور على أن الخمر نجس، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٢٩٠٠)، سنن أبي داود، كتاب الأشربة (٣٦٨٨)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن (٤٠٢٠)، شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٤٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن (٤٠٢٠).

القول الثاني: أنه ليس بنجس، وإليه ذهب بعض العلماء قالوا: لا يلزم من التحريم النجاسة، واستدلوا بحديث أنس ﵁ أنه قال: كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي: «**أَلَا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ**» قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ[١]. والناس يمشون إلى المسجد حافين، فيطؤونها ولم يأمرهم النبي ﷺ بغسل أرجلهم، فدل ذلك على أنها ليست نجسة، وعلى كل حال فهي محرمة سواء كانت نجسة أو ليست نجسة.

○ قوله: **(ويوجبون به الحد)** أي: من شرب الخمر وثبت عليه ذلك، فإنه يقام عليه الحد أربعين جلدة أو ثمانين جلدة. فإن حد شارب الخمر على عهد النبي ﷺ أربعين جلدة، وكذلك في عهد أبي بكر، أما في آخر عهد عمر فإنه جلد ثمانين جلدة، وأخذ الناس من بعده بذلك، كما جاء في حديث أنس بن مالك ﵁: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَجَلَدَهُ بِجَرِيدَتَيْنِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ**»، قَالَ: وَفَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ اسْتَشَارَ النَّاسَ، فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: أَخَفَّ الْحُدُودِ ثَمَانِينَ، «**فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ**»[٢].



(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم (٢٤٦٤)، صحيح مسلم، كتاب الأشربة (١٩٨٠)، واللفظ للبخاري.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الحدود (١٧٠٦).

أهل الحديث يسارعون إلى إقامة الصلوات

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات، وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى أواخر الأوقات [إحرازاً للأجور الجميلة بها والمثوبات]).

الشَّرْحُ

أهل السنة والجماعة يرون المسارعة إلى أداء الصلوات جماعة في المساجد وإقامتها في أوائل الأوقات، فإن ذلك أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات عملا بما يلي:

١- قول الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨].

٢- وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٧٧].

٣- قوله تعالى على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤].

٤- ما جاء في الأحاديث الصحيحة من الحث على المسارعة إلى أداء الصلاة في أول وقتها، ومن ذلك ما جاء في الحديث

الصحيح: أن النبي ﷺ سئل: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»(١) وفي رواية: «**الصلاة في أول وقتها**»(٢).



(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة (٥٢٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٨٥).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة (٤٢٦).

وجوب قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد عند أهل السنة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام).

الشَّرْحُ

قراءة الفاتحة ركن في حق الإمام والمنفرد بالاتفاق، فلا تصح صلاة أحدهما إلا بقراءتها في كل ركعة، فلو تركها الإمام أو المنفرد في ركعة من الركعات لم تصح صلاتهما، لبطلان هذه الركعة إلا أن يستأنفها. أما **قراءة المأموم ففيها خلاف بين أهل العلم على أربعة أقوال:**

القول الأول: أنها لا تجب لا في السرية ولا في الجهرية، وهذا أضعفها، وهذا مذهب أبو حنيفة، واستدلوا بحديث (من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة)، لكنه حديث ضعيف عند أهل العلم.

القول الثاني: أنها تجب في السرية والجهرية إلا إذا أدرك الإمام راكعاً، فإنها تسقط عنه؛ لحديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: زادك الله حرصاً ولا تعد).

القول الثالث: أنها تجب في السرية دون الجهرية.

ومذهب الجمهور: أنها تجب في السرية والجهرية، وأنها في الجهرية تسقط عن المأموم.

القول الرابع: أنها تجب في السرية والجهرية، وإذا أدرك الإمام راكعاً فإنه لا يدرك الركعة.

والراجح: أنها تجب على المأموم مطلقاً في السرية والجهرية، إلا أنه إذا أدرك الإمام راكعاً فإنها تسقط عنه وهو القول الثاني، وهي في حق المأموم واجب مخفف، بحيث إذا نسيها سقطت عنه، أو إذا أدرك الإمام راكعاً، أو أدركه في آخر ركعة فإنها تسقط عنه، أو قلد من يقول أنها ليست بواجبة.

والدليل على هذا قول النبي ﷺ في الحديث الذي لا بأس بسنده: «**لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟!**» قالوا: نعم يا رسول الله! قال: «**فلا تفعلوا إلا بأم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**»[(١)] ويكون مخصصاً لعموم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أي: إلا الفاتحة فإنها مستثناة فتقرأ في الصلاة، وحديث: «**وإذا قرأ فأنصتوا**»[(٢)] أي: إلا الفاتحة.

والقول بوجوبها حتى في الجهرية قول قوي اختاره الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه وألَّف رسالة في هذا[(٣)]، واختاره ابن خزيمة، وجماعة من الشافعية، كالبيهقي، والنووي، وابن حجر، واختاره أيضاً ابن حزم والشوكاني وهو اختيار جمع من أصحاب الحديث، وكذلك المؤلف رحمه الله قال بوجوبها.



(١) مسند الإمام أحمد (٢٢٧٥٠)، سنن أبي داود، كتاب الصلاة (٨٢٣)، القراءة خلف الإمام للبخاري (١٥٨-١٥٩)، سنن الدارقطني (١٢١٣)، السنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٢٣٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٤٠٤).

(٣) وهي الموسومة بـ(القراءة خلف الإمام).

وجوب إتمام الركوع والسجود والطمأنينة فيهما عند أهل السنة

قال المصنف رحمه الله:

(ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتماً واجباً، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها).

الشَّرْحُ

لابد من إتمام الركوع والسجود، فمن لم يتم الركوع والسجود ولم يطمئن فيهما فصلاته باطلة؛ **لأن الطمأنينة ركن من أركان الصلاة.**

والطمأنينة في الركوع هي: أنه إذا ركع يظل راكعاً حتى يعود كل مفصل إلى موضعه.

واطمئنان المصلي هو: أن يجلس حتى يعود كل مفصل إلى موضعه، ويطمئن في الركوع والسجود، وكذلك إذا رفع رأسه من الركوع يقف حتى ينتصب قائماً وإذا سجد فعليه أن يطمئن، وكذلك إذا رفع رأسه من الجلوس بين السجدتين فعليه أن يطمئن، فلا بد من الطمأنينة في الأركان كلها، «**وكان النبي ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَامَ حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّى يَقُولَ**

القَائِلُ: قَدْ نَسِيَ»[(١)]، يعني: أنه يطيل هذين الركنين.

وهذا هو القول الأول في المسألة، وهو ما عليه الجمهور.

القول الثاني ـ وهو لبعض الأحناف ـ: لا يرون الطمأنينة واجبة، فبمجرد أن يقول المصلي: سمع الله لمن حمده يسجد مباشرة، وإذا رفع رأسه من السجدة عاد مباشرة وسجد، فهم لا يرون الطمأنينة واجبة بعد الركوع وبين السجدتين.

وقول الأحناف غلط مخالف لصلاة النبي ﷺ، فإنه لابد من الطمأنينة، فقد جاء في حديث المسيء صلاته أنه جاء وصلى ركعتين ولم يتم الركوع ولا السجود فأمره النبي ﷺ ثلاث مرات بقوله: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» حتى فعل ذلك ثلاثاً، ثم بعد ذلك أرشده إلى الطمأنينة، وقال له: «**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا**»[(٢)].



(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٨٢١)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٤٧٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان (٧٥٧)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٣٩٧).

قيام الليل وصلة الأرحام وإفشاء السلام

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والمنكح والملبس، والسعي بالخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، واتقاء سوء عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر).

الشَّرْحُ

إن من صفات وأخلاق أهل الحق والاستقامة، أهل السنة والجماعة أهل الحديث، أنهم يتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، كما قال الله تعالى عن المتقين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السَّجدَة: ١٦].

فقيام الليل من أفضل القربات وأجل الطاعات، وهو من صفات المتقين، قال سبحانه في وصف المتقين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذّاريَات: ١٧-١٨].

فتراهم يتواصون بقيام الليل، بعد النوم وإن لم يكن واجباً ولكنه مستحب، وهذه من صفات المؤمنين.

ويتواصلون بصلة الأرحام، والأرحام: هم القرابات من جهة الأم أو من جهة الأب، وأقرب الأرحام: الأبوان الأب والأم، ثم الأقرب فالأقرب من الأبناء والبنات وأبنائهم والأجداد والجدات، ومن الأعمام والعمات وأبنائهم، ومن الأخوال والخالات وأبنائهم الأقرب فالأقرب، وتكون الصلة بحسب الحالة، فقد تكون بالسؤال عن حاله وإبلاغه السلام، أو بزيارته وإجابة دعوته، أو بمشاركته في آماله وآلامه والهدية له والنفقة عليه إن كان محتاجاً، وكل هذه الأعمال من صلة الرحم.

وأقل شيء فيها السؤال عن حالهم والسلام عليهم بين فترة وفترة، وإن كان هذا لا يكفي، لكن قد يكون في بعض الأحيان بعيداً فيكفي هذا.

وأهل الحق كذلك يتواصون بإفشاء السلام، فعليك أيها المؤمن أن تسلم على كل من لقيت عرفته أو لم تعرفه، فإن السلام من أَجَلِّ القُرُباتِ، وهو من صفات المؤمنين ومن أسباب المحبة والألفة، والمحبة من أسباب دخول الجنة، فمن أراد دخول الجنة فعليه أن يفشي السلام، ويسلم على كل من لقي، وهذا فيه إزالة للوحشة؛ فإنك إذا لقيت شخصاً ولم تسلم عليه، دخلت جفوة ووحشة بينك وبينه، قال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[١].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٥٤).

وإطعام الطعام من أفضل القربات، ومن أجل الطاعات، ومن أسباب دخول الجنة، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[(١)].

فهذه الأعمال من أسباب دخول الجنة، وهي إفشاء السلام والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام ممن فقدوا أبائهم وهم صغار دون البلوغ، ومعاملتهم بالعطف عليهم والإحسان إليهم، والنفقة عليهم، والتواضع لهم، وخفض الجناح لهم، والاهتمام بأمور المسلمين، وتفقد أحوالهم وإطعام جائعهم، وتعليم جاهلهم، والصفح عن أخطائهم، والسؤال عن أحوال الضعفاء والأقليات والمجاهدين في كل مكان، كل هذا من صفات أهل الحديث وأهل السنة.

ومن صفاتهم التعفف عن الحرام في مأكلهم وفي مشربهم وفي ملبسهم، ونكاحهم فلا يفعلون الحرام، ويسعون في الخيرات عموماً، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، وقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) مسند الإمام أحمد (٢٣٧٨٤)، سنن الترمذي، أبواب الأطعمة (١٨٥٥)، سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة والسنة فيها (١٣٣٤)، سنن الدارمي (١٥٠١)، المستدرك للحاكم (٤٢٨٣)، وغيرهم.

فهم يبادرون إلى فعل الخيرات أجمع سواء كان الخير من الأقوال، أو من الأفعال، وهم يتقون سوء وشر عاقبة الطمع الذي يجعل الإنسان يقدم على الشبهات في المآكل أو في المشارب، ويتواصون بالحق والصبر، ويدعون إلى الله، ويصبرون على الابتلاء في ذلك، فكل هذه الأخلاق من صفات المؤمنين.



الحب في الله والبغض في الله

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه).



أهل الحق يتحابون في الدين ويتباغضون فيه، وهذا أصل عظيم من أصول الإيمان، هو: الحب في الله والبغض في الله، وهو أن تحب ما يحب الله من شخص أو فعل، فتحب هذا الشخص؛ لأنه مستقيم على طاعة الله؛ لأنه يؤدي فرائض الله، ولو كان بعيداً، ولو كان أعجمياً، وتبغض من كان مستروحاً للمعاصي والكبائر والآثام والشرك، ولو كان قريباً لأمك وأبيك، فهذا من الأصول العظيمة التي أميتت في هذا الزمن عند كثير من الناس، فتجد أناساً لا يتحابون إلا لأجل الدنيا، وإذا كان بينك وبينهم مصالح حصلت المحبة، فإذا انتهت المصلحة زالت المحبة، هذا إذا كان الحب لأجل الدنيا، وأعظم من ذلك وأشد إثماً أن تكون المحبة من أجل الاشتراك في المعاصي والبدع، فيكون شريكه في المعصية أو في البدعة؛ ولذلك فهو يحبه، وأعظم منه أن يكون الحب لأجل الاشتراك في الشرك نعوذ بالله.

فالحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان، ولهذا جاء

في الحديث: «**أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**»[(١)]، وفي الحديث الآخر: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[(٢)]، وفي الحديث الآخر: «**لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ، وَيُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذَا أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللهِ**»[(٣)]، وفي الحديث أيضا: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»[(٤)]، وفي الحديث المتفق عليه: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[(٥)].



(١) مسند الإمام أحمد (٢١٣٠٣)، سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٥٩٩)، وفي سنده: يزيد بن أبي زياد، وقد ضعفوه.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة (٤٦٨١)، المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١٣٤)، الاعتقاد للبيهقي (ص١٧٨)، شرح السنة للبغوي (١٣/ ٥٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٥٥٤٩)، وفي سنده رشدين بن سعد، وهو مضعف.

(٤) مسند الإمام أحمد (١٨٥٢٤)، مسند أبي داود الطيالسي (٧٨٣)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٣٩٣)، شعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٠٤)، ومداره على ليث بن أبي سليم، وقد ضعفوه.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، (١٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٤٣).



البعد عن الجدل والخصومات

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(ويتقون الجدال في الله والخصومات فيه، ويتجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات).

الشَّرْحُ

من أوصاف أهل السنة والجماعة، وأهل الحق، الفرقة الناجية، أنهم يتقون الجدال في الله والخصومات فيه؛ فإن الجدال يؤدي إلى الخصومات، ويؤدي أيضاً إلى الشبه والشكوك، فأهل الحق يجتنبون الجدال، إلا إذا كان جدالاً لإيضاح الحق ورد الباطل بدون ترتب مفسدة على ذلك، أما إذا كان جدالاً عقيماً لا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً فهذا يجب تركه.

وكذلك اجتناب الخصومات والنزاعات لأنها تؤدي إلى البغضاء والعداوة وتنافر القلوب.

كذلك فإن أهل السنة يجتنبون أهل البدع والضلالات ويعرضون عنهم، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، وهذه هي طريقة أهل السنة والجماعة وأهل الحق وأهل الحديث.



الاقتداء بالرسول والصحابة والسلف الصالح

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ويقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان رسول الله ﷺ يقوله فيهم، ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين).

الشرح

إن من أوصاف أهل الحديث وأهل السنة أنهم يقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه، ويعملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإذا لم يكن في المسألة نص في السنة عملوا بسنة الخلفاء الراشدين، وإذا لم يوجد في سنة الخلفاء الراشدين، ووجد قول صحابي وليس له معارض من الصحابة فإنهم يعملون به، وأما قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا كما كان رسول الله ﷺ يقول فيهم)** فهو يشير إلى حديث: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[(١)]، وهذا حديث باطل سنداً ومتناً، وبعضهم يقول: إنه موضوع؛ وهو ليس بموضوع، ولكنه حديث ضعيف جداً، باطل سنداً ومتناً.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٦٤) (٧٠٢)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ٩٢٥)، وقال: هذا إسناد لا تقوم به حجة.أ.هـ.

فأما سنده فإنه لا يوجد له سند صحيح في شيء من دواوين السنة.

وأما متنه فإن معناه غير صحيح؛ لأنه إذا قال ابن عباس مثلاً: إن ربا الفضل حلال، ويرى زيد بن ثابت أنه حرام، فمعنى الحديث: أنك إن اقتديت بمن يقول حلال فأنت مهتد، وإن اقتديت بمن يقول: أنه حرام فأنت مهتد أيضاً! وهذا باطل؛ لأنهما قولان متناقضان، والقاعدة أن الصحابي إذا قال قولاً وعارضه صحابي آخر، تعارضا فتساقطا وعند ذلك نرجع إلى أصول السنة وإلى قواعد الشريعة وأصولها، ونبحث عن دليل آخر. أما إذا قال الصحابي قولاً واشتهر ولم يعارضه أحد فهو حجة، فهذا الحديث ـ «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**» ـ ليس بصحيح، وإن كان يستدل به الأصوليون.

ومن علامات أهل الحق أنهم يقتدون بالسلف الصالح من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين.



بغض أهل البدع ومجانبتهم

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت. وفيه أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]).

الشَّرْحُ

من صفات أهل الحديث وأهل السنة أنهم يبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه.

فهم يبغضون أهل البدع، ولا يحبونهم؛ لمخالفتهم للسنة، ولا يتخذونهم أصحاباً، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين؛ خشية إثارة الشبه، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان ووقرت بالقلوب ضرت، وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما الله به عليم، وهكذا شأن أهل السنة ولهذا أنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾، ويدخل في هذا أهل البدع، فإنهم يخوضون في آيات الله بغير بصيرة، فيجب الإعراض عنهم.

علامات أهل البدع

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة، اعتقاداً منهم في أخبار الرسول ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير، وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [محمد: ٢٣]، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [الحج: ١٨]).

الشرح

علامات أهل البدع بادية على أهلها ظاهرة، **ومن أظهرها**: شدة معاداتهم لأهل السنة والجماعة، وحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم؛ واستخفافهم بهم، فهم ينبزونهم بالألقاب الشنيعة، فيسمونهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة.

فالمعطلة الجهمية والمعتزلة يسمون أهل السنة مشبهة؛ لأنهم يثبتون الصفات، والروافض يُسَمُّون أهل السنة النواصب، وقد يسمونهم حشوية، وسيأتي كلام للمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن كل طائفة تنبز أهل السنة بلقب؛ اعتقاداً منهم بأن أخبار الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تفيد العلم،

وأن العلم هو ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، وأما الأحاديث والنصوص فإنها تعزل عندهم؛ لأنها ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وإنما يفيد اليقين عندهم الأدلة العقلية، ويسمونها قواطع عقلية، وبراهين يقينية، وأما الكتاب والسنة فظواهر لفظية لا تفيد اليقين! وهكذا سول لهم الشيطان، ولهذا يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يرون أن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ٢٣﴾ [محمد: ٢٣]) يعني: أنهم يدخلون في عموم الآية، وإن كانت هذه الآية للكفرة لكن يدخل فيها المبتدعة: (﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [الحج: ١٨])، وهؤلاء تركوا السنة فأهانهم الله.



الحيرة عند أهل البدع

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول: سمعت جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه).

الشَّرْح

المبتدع يبغض أهل الحديث؛ لأن أهل الحديث يعملون بالسنة، وإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه، ولهذا صار أهل البدع في حيرة وشكوك حتى إنهم حاروا في آخر أمرهم، ولهذا فإن الإمام الرازي رَحِمَهُ اللهُ حار وقال هذه الأبيات المعروفة:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهو قد تاب في آخر حياته كما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في بيان حال الرازي[1]، والشيخ الثاني المعروف بالشهرستاني، وله كتاب

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (٤/ ٧٣)، ومقدمة بيان تلبيس الجهمية.

في الفرق تكلم فيه عن الملل والنحل وهو الذي قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم[١]

وهكذا حصلت الحيرة عند بعضهم، وجاءتهم الأوهام، فتجد الرجل منهم في حيرة والعياذ بالله.





(١) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص٧).



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وسمعت الحاكم يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبدالله أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبدالله! ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: (زنديق زنديق زنديق) حتى دخل البيت[1]).

الشَّرْحُ

هذا الأثر عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، فيه أن ابن أبي قتيلة سئل عن أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فلما سمع الإمام أحمد إمام أهل السنة هذا الكلام، قام وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق، يعني: هذا الرجل الذي تكلم في أصحاب الحديث زنديق، والزنديق هو المنافق والعياذ بالله، كما كانت تسميتهم في الصدر الأول، ثم في زمان الإمام أحمد وبعده سمي المنافق زنديقاً، وهي كلمة فارسية معربة، وصار في زماننا الآن يسمى العلماني، فالعلماني هو المنافق، والعلمانيون هم المنافقون

(١) رواه الحاكم في: معرفة علوم الحديث (ص٤)، ورواه من طريق الحاكم الخطيب البغدادي عن شيخه أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد الواحد المروروذي عن الحاكم به في كتابه: شرف أصحاب الحديث (ص٧٤).

والزنادقة، فقد كان هناك منافقون في زمن النبي ﷺ على رأسهم عبدالله بن أبي كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ثم بعد ذلك صاروا يسمون زنادقة، ويطلق هذا على الملحد، فهم في زماننا العلمانيون، والعلمانيون الآن منتشرون بين المسلمين ويحاولون الدس على الإسلام والمسلمين، فلنفاقهم وخبث قلوبهم، يودون أن يفسد الإسلام والمسلمون، ويريدون إفساد المرأة بخروجها عارية متبرجة بين الناس، تقود السيارة وتختلط بالرجال حتى يفسد المجتمع؛ لأنه إذا فسدت المرأة فسد المجتمع، فهم لا دين عندهم، لكنهم لا يستطيعون إظهار ما هم عليه من الكفر والنفاق؛ لأنهم لو أظهروا كفرهم الصريح فإن رقابهم ستقطع؛ لأن المؤمنين وأهل الخير كثيرون، لذا تجد العلماني يخفي كفره، ويحاول الإفساد وإدخال الشر على المسلمين.





أهل البدع يردون الآثار

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وسمعت الحاكم أبا عبدالله يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث، وروايته بإسناده).

الشَّرْح

هذا الأثر أخرجه الحاكم في كتابه: معرفة علوم الحديث[١] والخطيب البغدادي في كتابه: شرف أصحاب الحديث[٢]، فليس شيء أثقل على أهل الإلحاد، ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده؛ لأن الحديث يلزمهم بالعمل، ويلزمهم أن يتقيدوا بالشريعة، والمنافقون الزنادقة لا يريدون أن يعملوا بالشريعة، بل يريدون أن يعملوا بأهوائهم وآرائهم، والحديث يقيدهم، فأبغض شيء إليهم سماع الآيات والأحاديث، فإذا ذكرت لهم الدليل من القرآن والسنة، ضاقوا وكأنه صاعقة عليهم، لخبثهم بسبب النفاق ـ والعياذ بالله ـ.



(١) (ص٤).
(٢) (ص٧٣).



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وسمعت الحاكم يقول: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ أبو بكر: حدثنا فلان، فقال له الرجل: دعنا من حدثنا! إلى متى حدثنا؟ فقال الشيخ له: [قم يا كافر فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبدا] ثم التفت إلينا وقال: (ما قلت لأحد ما تدخل داري إلا هذا)).

الشَّرْحُ

هذا الإسناد أخرجه الحاكم في كتابه: معرفة علوم الحديث[1]، وذلك أن أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه ناظر رجلاً، فقال أبو بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا فلان، يريد رواية الحديث، فكان عنده رجل منافق، **(فقال: دعنا من حدثنا، إلى متى حدثنا؟)** فغضب الشيخ ومن شدة غضبة واندفاعه قال له: **(قم يا كافر، يعني: أنت تنكر الحديث، فاخرج من بيتي، (فلا يحل لك أن تدخل داري أبداً بعد هذا)** ثم التفت الشيخ أبو بكر وقال: ما قلت لأحد: قم من داري إلا لهذا الرجل، مع أن هذا الرجل قد لا يكون منافقاً، وقد لا يكون كافراً، لكن قد يكون عنده مثلاً ضعف في الإيمان أو أنه رجل جاهل، لكن من شدة إنكار أبي بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشدة غضبه عليه وحنقه عليه، رماه بالكفر، وهذا لا بأس به كونه قاله متأولاً، مثل ما حصل لعمر عندما قال عن حاطب بن أبي بلتعة: يا رسول الله! دعني

(١) (ص٤).

أضرب عنق هذا المنافق[١] ـ وفي رواية ـ قد خان الله ورسوله والمؤمنين[٢]؛ مع أن حاطباً ليس منافقاً، لكن عمر ﵁ تأول بسبب فعله، وقد بوَّب البخاري ﵀ بابا في صحيحه فقال: باب: من كفَّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال[٣]، فلو قال شخص لشخص: يا كافر بدون سبب، فهذا لا يجوز، بل هذا من الكبائر، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا**»[٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[٥]، وهذا إذا كان بدون تأويل، لكن بسبب التأويل إذا عمل عملاً ينافي السنة ويخالفها، ثم قال له: يا كافر؛ متأولاً، فهذا لا يدخل في هذا الحديث، كما فعل أبو بكر بن إسحاق هنا، فإنه قال له ذلك من باب التأويل.



(١) متفق عليه، وسبق تخريجه.
(٢) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٣٩).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، الباب الثالث والسبعون.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب (٦١٠٣) من رواية أبي هريرة ﵁، وهو في الصحيحين ـ أيضا ـ من رواية عبدالله بن عمر ﵄ بلفظ: «**إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»، وهذا لفظ مسلم.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان (٤٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٦٤).



نبز المبتدعة لأهل الحق

قال المصنف رحمه الله:

(سمعت الأستاذ أبا منصور محمد بن عبدالله بن حمشاد العالم الزاهد يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقري الرازي يقول: قرأ علي عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي ـ عنى به الإمام في بلده أباه أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي ـ يقول: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة[(١)]).

الشَّرْحُ

هذا كلام الإمام أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي ـ وهو إمام معروف رحمه الله ـ يقول: إن أهل البدع لهم علامات، كالوقيعة في أهل الأثر وفي أهل الحديث، فإذا رأيت الرجل يتنقص أهل الحديث فاعلم أنه مبتدع، سواء كان بغيبة، أو عيب، أو سب.

○ قوله: **(وعلامة الزنادقة)** يعني: أهل النفاق، **(تسميتهم أهل الأثر حشوية)**، والحشوية من الحشو: وهو الشيء الذي لا قيمة له،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٩٧) (٣٢١)، وذكره الذهبي في "العلو" (ص١٩٠).

يريدون بذلك إبطال الاحتجاج بالأثر.

❍ قوله: **(وعلامة القدرية)** وهم الذين ينكرون عموم قدر الله حتى يشمل أفعال العباد، **(تسميتهم أهل الأثر مجبرة)**، وهؤلاء يقولون: إذا كان الله يخلق المعصية ويعاقب عليها، فالعبد إذن: يكون مجبوراً، وهم يقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه.

❍ قوله: **(وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة)** فالجهمية والمعتزلة وغيرهم من الذين أنكروا الصفات، يقولون: للذي يثبت الأسماء والصفات أنت مشبه قد شبهت الله بخلقه.

❍ قوله: **(وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة)**، والشيء النابت هو الذي لا قيمة له بين الزرع، ويسمونهم أيضاً **(ناصبة)**، يعني: يناصبون العداوة لأهل البيت، وهذا افتراء، فإن أهل السنة يحبون أهل البيت ويحبون الصحابة، لكن هؤلاء الرافضة يكفرون الصحابة ويعبدون آل البيت، ومن يتولى الصحابة يسمونه ناصبياً، وهم كذبة في هذا.



عدم ضرر أهل الحق عند نبزهم

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قلت: وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث، قلت: أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة، سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحراً، وبعضهم كاهناً، وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً، وبعضهم مفترياً مختلفاً كذاباً، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨]، كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول أصحاب الحديث وحملة أخباره، ونقلة آثاره وأحاديثه، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب بريئة نقية زكية تقية، وليسوا إلا أهل السنة المُضية، والسبل السوية، والحجج البالغة القوية، قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه، ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته، والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته، ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله ﷺ: «المرء مع من

أحب»[1].

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن قول أهل البدع لأهل السنة أنهم مجبرة، أو مشبهة، أو نابتة وناصبة، هو عصبية منهم، ولا يلحق أهل السنة من هذه الأسماء الذميمة شيء وإنما يلحقهم اسم واحد هو أصحاب الحديث، أو أهل السنة والجماعة، أو أهل الحق، أو أهل الاستقامة.

إن أهل البدع بهذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة، قد سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله، مع رسول الله ﷺ؛ لأن المشركين لقبوا النبي ﷺ بألقاب سيئة وهو بريء منها، فقد قالوا عن الرسول ﷺ: إنه ساحر، وقالوا: إنه مجنون، وقالوا: إنه شاعر، ولم تلحقه هذه الصفة، فهو الرسول المصطفى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنبي المجتبى، وكذلك أهل السنة والجماعة، قالوا لهم: نابتة وحشوية وناصبة، ولا يلحقهم إلا الاسم الحق وهو اسم أهل السنة الجماعة، أو أهل الحديث.

إن النبي ﷺ لم يلحقه من المعائب شيء، فهو لم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً، قال الله ﷻ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨].

وكذلك المبتدعة خذلهم الله فاقتسموا القول في حملة أخباره، ونقلة آثاره، ورواة أحاديثه المقتدين به، المهتدين بسنته، فوصفوهم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٨٨)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٦٣٩).

بالصفات الذميمة، وأصحاب الحديث بريئون من هذه الصفات الذميمة، وعصامة من هذه المعائب، فهم بريئون أتقياء أنقياء وليسوا إلا أهل السنة المضيئة، والسيرة المرضية، والسبل السوية، والحجج البالغة القوية، وقد وفقهم الله جل وعلا باتباع كتابه ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والفعل، وزجرهم فيها عن المنكر منها، وجعلهم من اتباع أقرب أنبيائه وأكرمهم وأعزهم عليه، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته، وشرح الله صدورهم للعمل بالسنة، ومحبة النبي ﷺ وأصحابه، **(ومن أحب قوماً حشر معهم يوم القيامة، كما قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»)**، وهذا الحديث رواه الشيخان: البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه، وقد قال أنس رضي الله عنه: إنه فرح بهذا الحديث الصحابة، فقال أنس: «فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ»[(١)] فالإنسان إذا أحب أحداً، فإنه ينبغي له أن يجاهد نفسه حتى يعمل بعمله، وكذلك من يحب الرسول والصحابة فليجاهد نفسه على العمل بسنته، وإلا كان حبه دعوى.

والإنسان الذي يعمل البدع ويقول: أنا أحب الرسول فهو كذاب، إذ كيف يعمل البدع ويترك السنن ويقول: أنا أحب الرسول وأحب الصحابة؟! وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

إن الصادق في حبه هو الذي يعمل ويجاهد نفسه للعمل بالسنة، والاقتداء بالرسول ﷺ والصحابة، فإذا حصل تقصير قليل

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٦٣٩).

فإن هذه المحبة تجبر هذا النقص.

أما أن يعرض عن السنة وعن الكتاب ويدعي المحبة فهذا باطل، ولذلك لما ادعى قوم محبة الرسول ﷺ امتحنهم الله، وأنزل هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال العلماء: هذه الآية آية المحنة، ففيها امتحان واختبار وميزان لكل من يدعي محبة الرسول، إن كان متبعاً للرسول فهو صادق في محبة الله، وإن كان لا يتبع الرسول فهو كاذب في دعواه.





علامات أهل السنة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله ومنة).

الشَّرْحُ

هذه من علامات أهل السنة: أنهم يحبون أئمة السنة وعلمائها وأنصارها، ويبغضون أهل البدع، فإذا رأيت الرجل يحب أهل السنة، ويحب الأئمة العلماء كالإمام أحمد والبخاري والشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان الثوري وابن عيينة، وغيرهم من أهل الحديث، فهذا دليل على أنه من أهل السنة، وإذا رأيت قوماً يبغضون أئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، فاعلم أنهم من أهل السنة، فإن الله تعالى زين قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة، فضلاً منه وإحساناً.





قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ أسكنه الله وإيانا الجنة، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكى قال: حدثنا أحمد بن سلمة، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص، وشريكًا، ووكيعًا، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن ابن مهدي، فاعلم أنه صاحب سنة. قال أحمد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فألحقت بخطي تحته، ويحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، فلما انتهينا إلى هذا الموضع، نظر إلينا أهل نيسابور، وقال: هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى، فقلنا له: يا أبا رجاء! ما يحيى بن يحيى؟ قال: رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق بن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل أكبر من سميتهم كلهم.

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أحبهم فهو صاحب سنة، من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهديهم يهتدون ومن جملتهم ومتبعيهم وشيعتهم أنفسهم يعدون[1]).



هذا الأثر رواه المصنف عن الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أنه (إذا رأيت

(١) شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم (ص٣٠) (١٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٧٤) (٥٩)، شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص٧١).

الرجل يحب) هؤلاء المحدثين، وهؤلاء الأئمة، فاعلم أنه صاحب سنة، وهم: **(سفيان الثوري المحدث المشهور، واسمه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ومالك بن أنس وهو الإمام المشهور إمام دار الهجرة، والأوزاعي وشعبة وعبدالله بن المبارك الإمام المشهور وأبو الأحوص، وشريك، ووكيع، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي)**؛ لأن هؤلاء أئمة الحديث.

وألحق أحمد بن سلمة بخطه أئمة آخرين، وهم: **(يحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه)** قال أبو عثمان: أنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة ﷺ، فمن أحبهم فهو صاحب سنة، لأنهم من أئمة الحديث، الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون. يعني: أن من أحب أنصار السنة أهل الحديث، والأئمة والعلماء، فهذا دليل على إيمانه وتقواه وأنه من أهل السنة، وإذا كان يبغض هؤلاء ويحب أهل البدع فهذا دليل على أنه من أهل البدع، وكذلك من يحب الدعاة وأهل الخير والعلماء والمصلحين والأئمة في القديم والحديث فهذا دليل على أنه من أهل السنة، ودليل على إيمانه وتقواه، ومن أبغض أهل الحديث وأهل الخير والدعاة والمصلحين والأئمة فهذا دليل على نفاقه، وقد جاء في الحديث: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[(١)]، فعلامة الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بغض الأنصار، والأنصار في زمن النبي ﷺ هم الأوس والخزرج، وكذلك أنصار دين الله في كل زمان، فمحبتهم دليل على الإيمان، وبغضهم دليل على الكفر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٧٤).

فالذي يبغض أنصار دين الله من الدعاة والمصلحين والأئمة والعلماء في كل زمان، فهذا دليل على النفاق، والذي يحب الأنصار والدعاة إلى الله، والمصلحين، وأهل الحق، وأهل السنة والجماعة، فهذا دليل على إيمانه.





قال المصنف رحمه الله:

(وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين، منهم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي الإمام المقدم والسيد المعظم، العظيم المنة على أهل الإسلام والسنة، الموفق الملقن الملهم المسدد، الذي عمل في دين الله وسنة رسوله ﷺ من النصر لهما والذب عنهما، ما لم يعمله أحد من علماء عصره ومن بعدهم.

ومنهم الذين كانوا قبل الشافعي رحمه الله، كسعيد بن جبير والزهري والشعبي والتيمي ومن بعدهم، كالليث بن سعد والأوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب وابن عون ونظرائهم ومن بعدهم مثل يزيد بن هارون وعبدالرزاق وجرير بن عبدالحميد، ومن بعدهم مثل محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري وأبي داود السجستاني وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم بن واره ومحمد بن أسلم الطوسي وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن إسحاق بن خزيمة الذي كان يدعى: إمام الأئمة، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته).



ينبغي أن يقيد إمام الأئمة بقوله: في عصره ـ كما تقدم ـ؛ لأن إمام الأئمة بالإطلاق هو الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن قد يقال

لإمام ما بأنه إمام الأئمة في عصره وزمانه، كما يسمى محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة في عصره.







قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي [والحسن بن سفيان النسوي] وجدي - من قبل أبويّ - أبي سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي وعدي بن حمدويه الصابوني، وولديه سيفي السنة أبي عبدالله الصابوني وأبي عبد الرحمن الصابوني، وغيرهم من أئمة السنة [الذين كانوا] المتمسكين بها ناصرين لها داعين إليها دالين عليها.

وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضا، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بمجانبتهم ومهاجرتهم.).



وهؤلاء الأئمة كلهم من أئمة أهل الحديث، وكلهم علماء أجلاء، وكلهم لهم جهود مشكورة في مناصرة السنة ومحاربة البدعة، فمحبتهم دليل على الإيمان، وبغضهم دليل على النفاق.

❁ ❁ ❁

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

([وعبدالرزاق هو ابن همام الصنعاني، وجرير بن عبدالحميد الضبي وهذه الجمل التي أثبتُّها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضاً، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله ﷻ بمجانبتهم ومهاجرتهم]).



الشَّرْحُ

❍ قوله: (هذه الجمل التي أثبتُّها في هذا الجزء) يعني: في هذه الرسالة (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) هو معتقد جميع هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم، فكلهم يعتقد ما في هذه الرسالة، ولم يثبت عن أحد منهم ما يضادها.

واتفقوا مع هذا على قهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وهجرهم.

❁ ❁ ❁



معتقد الإمام الصابوني ووصيته

قال المصنف رحمه الله:

(قال الأستاذ الإمام رحمه الله: وأنا بفضل الله عز وجل متبع لآثارهم، مستضيء بأنوارهم، ناصح لإخواني وأصحابي أن لا يزلقوا عن منارهم، ولا يتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع، التي اشتهرت فيما بين المسلمين، وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه وبدعوه، ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه، ولا يغرن إخواني - حفظهم الله - كثرة أهل البدع ووفور عددهم، [وفور أهل الباطل وقلة عدد أهل الحق من علامات] فإن ذلك من أمارات اقتراب يوم الساعة؛ إذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل»[1]، والعلم: هو السنة، والجهل: هو البدعة، [قال ﷺ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»[2]، وقال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ»[3]]).

الشَّرْح

○ قوله: (الأستاذ الإمام) هو الصابوني، والقائل هو الراوي

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم (٨١)، بلفظ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ».

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة (١٨٧٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٤٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٤٨).

الذي روى عنه، وذكر أنه قال: أنا متبع لآثار الأئمة الذين ذكرت، مستضيء بأنوارهم، وأنصح إخواني أن يتبعوا أهل السنة والجماعة، ولا يشتغلوا بالمحدثات من البدع التي ظهرت وانتشرت، فإن هذه البدع لو جرت وظهرت في عصر أولئك الأئمة، كعصر الإمام أحمد والشافعي لهجروا صاحبها وبدعوه وكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه، ولا يغرن إخواني - حفظهم الله - كثرة أهل البدع والعصاة ووفور عددهم، فإن كثرة أهل البدع وكثرة العصاة هو دليل على قرب قيام الساعة؛ لأنه في آخر الزمان تكثر البدع وتنتشر، وقد قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره: «**إن من علامات الساعة أن يقل العلم، ويكثر الجهل، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد**» والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة. وجاء في الحديث الآخر قال الرسول ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»، يعني: في آخر الزمان، هذا الحديث متفق عليه أخرجه الشيخان وغيرهما. وفي الحديث الآخر: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»، وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، وهذا في آخر الزمان، فلا تقوم الساعة إلا بعد قبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، حتى لا يبقى فيها إلا الكفرة، لا يعرفون الله، ولا يذكرونه، فعليهم تقوم الساعة.

❁ ❁ ❁



قال المصنف رحمه الله:

(ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله ﷺ وعمل بها، واستقام عليها ودعا إليها، كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «له أجر خمسين، فقيل: خمسين منهم؟ قال: بل منكم»[(١)]، وإنما قال ﷺ ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته.

وجدت في كتاب الشيخ الإمام جدي أبي عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني رحمه الله، قال: أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي أن العباس بن صبيح حدثهم قال: حدثنا عبدالجبار بن مظاهر قال: حدثني معمر بن راشد قال: سمعت ابن شهاب الزهري يقول: تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة[(٢)]).

الشَّرْحُ

المتمسك بالسنة عند الفساد وعند ظهور البدع أجره مضاعف، وجاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان، واللفظ لفظ الترمذي: «**إن من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قيل: يا رسول الله! أجر خمسين منا أو منهم؟**

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم (٤٣٤١)، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن (٣٠٥٨)، صحيح ابن حبان (٣٨٥)، مسند البزار (١٧٧٦)، البدع لابن وضاح (١٨٩)، المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ١٨٢)، شعب الإيمان للبيهقي (١٢/ ٢٠١).

(٢) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري للجرجاني (١/ ٨٨).

قال: **بل أجر خمسين منكم**»[١]، والمعنى أنه يعطى أجر خمسين من الصحابة في هذه المسألة، وهي التمسك بالسنة، وليس معنى ذلك: أنه أفضل من الصحابة؛ لأن الصحابة لهم مزية الصحبة ومزية الجهاد مع النبي ﷺ وتبليغ الدين، وهذه المزايا لا يلحقهم فيها من بعدهم أحد إلى يوم القيامة، ولهذا قال النبي ﷺ: «**تجدون على الخير أعواناً، ولا يجدون على الخير أعواناً**»، والقاعدة عند أهل العلم تقول: إن المزية الخاصة لا تقضي على الفضائل العامة، وفضيلة التمسك فضيلة واحدة، لكن الصحابة لهم فضائل كثيرة، مثل مزية موسى عليه السلام أنه أول من يحشر يوم القيامة، ومع ذلك فنبينا ﷺ أفضل منه، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ**»[٢]، وهذه منقبة خاصة لموسى، والمناقب الخاصة لا تقضي على المناقب العامة، فليس معنى ذلك أنه أفضل من نبينا ﷺ.

وأثر الزُّهري رحمه الله: **(تعليم السنة أفضل من عبادة مائتي سنة)**، وورد في الآثار بمعنى هذا، منها: قول الزهري: **(ما عُبد الله بمثل الفقه)**[٣]. وقول الشافعي: **(طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة)**[٤]. وهذا صحيح، فإن طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة، وأفضل من قيام الليل.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم (٤٣٤١)، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن (٣٠٥٨)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن (٤٠١٤)، صحيح ابن حبان (٣٨٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الخصومات (٢٤١١)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (٢٣٧٣).

(٣) جامع معمر بن راشد (٢٠٤٧٩)، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٤٦٧)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١١٠).

(٤) مسند الشافعي (ص٢٤٩)، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٤٧٤)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١١٨)، حلية الأولياء (٩/ ١١٩).



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن زكريا الشيباني قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن عبدالرحمن الدغولي قال: سمعت محمد بن حاتم المظفري يقول: سمعت عمر بن محمد يقول: كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد، فحدثه بحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: احتج آدم وموسى، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين وآدم وموسى ما بينهما؟! قال: فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعارضه بكيف؟! قال: فما زال يقول حتى سكت عنه، قال: هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بكيف؟! على طريق الإنكار له والابتعاد عنه، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

الشَّرْحُ

وهذه القصة فيها أن أبا معاوية يحدث هارون الرشيد بالحديث المشهور الصحيح الذي رواه الشيخان وغيرهما أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»(١) يعني: غلبه

(١) صحيح البخاري، كتاب القدر (٦٦١٤)، صحيح مسلم، كتاب القدر (٢٦٥٢).

بالحجة. فلما حدث أبو معاوية بهذا الحديث، قال رجل عنده: **(كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ فوثب به هارون)** الرشيد أمير المؤمنين وأنكر عليه، **(وقال: يحدثك عن رسول الله وتعارضه بكيف؟! قال: فما زال يقول)** يحدثك عن رسول الله وتعارضه بكيف؟! **(حتى سكت عنه)**.

فإنه أنكر على هذا، واعتراضه على الخبر الصحيح الذي سمعه بكيف؟!؛ لأنه إنما قال ذلك على طريق الإنكار له والابتعاد عن الخبر الصحيح، ولم يتلقه بالقبول، كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول ﷺ.

فهكذا ينبغي للمسلم أن يعظم السنة ولا يعترض عليها.

وهذه القصة تدل على أن هارون الرشيد كان من الصالحين، فقد ذب عن سنة الرسول ﷺ وحمل على أهل البدع والأهواء ممن يشككون فيها، وهذا هو المقام الذي يليق بهارون الرشيد.

وقد جاء في تاريخ الطبري[١]، وفي مقدمة ابن خلدون من تاريخه[٢]: أن هارون الرشيد كان يصلي في كل يوم مائة ركعة، وأنه كان يحج عاماً ويغزو عاماً.



---

(١) (٣٤٧/٨)

(٢) (٢٣/١).





الخاتمة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلة، والآراء المضمحلة، والأهواء المذلة فضلاً منه ومنة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).



نسأل أن يتقبل دعوة المؤلف، ونسأل الله أن يرزقنا التمسك بسنته، ونسأله أن يثبتنا على دين الإسلام.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع — الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة